أضواء

على الثقافة الإسلامية

علي محمد مقبول الأهدل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أضـــــواء
على الثقـافـة الإسـلاميـة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أضـــواء

على الثقافة الإسلامية

تأليف:

د. عبد الحكيم عبد اللطيف السروري

د. علي محمد مقبـول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، نبينا محمد وعلـــى آلـــه وأصـــحابه أجمعين.. وبعد:

فهذه: «أضواء على الثقافة الإسلامية» ترمي إلى تزويدنا بثقافة نافعة عـــن إســـلامنا، تـــؤدي إلى ترسيخ مبادئه، والإيمان بقيمه ومثله، وفهم نظمه، ورد الشبهات عنه...

ولقد جاءت ثقافتنا الإسلامية بمنهجها العظيم: الذي يتناول الحياة كلها، وتتولى -هذه الثقافة- شـــئون الحياة كبيرها وصغيرها، وتنظم حياة الإنسان لا في هذه الحياة وحـــدها، ولكـــن في الـــدار الآخـــرة كذلك، ولا في عالم الشهادة وحده، ولكن في عالم الغيب المكنـــون -أيضـــاً- ولا في المعـــاملات الظاهرة المادية، ولكن في أعماق الضمير ودنيا السرائر والنوايا... فالثقافة الإسلامية إن صـــح التعـــبير مادة ضخمة مفيدة شاسعة مترامية المعالم والأهداف.

ولقد كانت «**هذه الأضواء**» ملازم يتداولها الطلاب أثناء تدريسنا لهم؛ فألحوا علينـــا بطبعهـــا.. فاستخرنا الله في إخراجها، سائلين المولى عز وجل أن يكون هذا العمـــل خالصـــاً لوجهـــه، وأن يكون من العلم النافع للناس، المقبول بقبول حسن عند الله، وعند طلبتنا الأعزاء... اللهم آمين.

المؤلفـــــــان:

د. عبد الحكيم عبد اللطيف السروري

د. علـــي محمد مقبـــول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب التمهيدي

مفهوم الثقافة الإسلامية

مصادرها – خصائصها – وأهداف دراستها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

مفهـــــوم الثقافـــة

الثقافة في اللغة[1] هي: الحذق والفطنة والخفة، فنقول: ثقف فلاناً ثقافة بمعنى صار حاذقاً خفيفـــاً فطناً.

وهي التسوية، والتشذيب، والتهذيب، والتأديب، فنقول: ثقفت الرماح بمعنى ســـويتها وأعـــددتها كما هي له، وهذبتها لتؤدي الغرض منها.

واستعمل العرب كلمة ثقافة بمعنى الظفر والمصادفة، ومن ذلك ما جاء في قولـــه تعـــالى: [إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً] [الممتحنة:2].

وفي اللغات -الأجنبية- الفرنسية والإنجليزية والألمانية يعبر عن الثقافة بلفظة (Culture) وتفيد معنى الزراعة والاستنبات، وقد طرأ على هذه الكلمة عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمؤرخين بعض التغير حتى غدت هذه الكلمة تعلق على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرهـــا في مجتمـــع مـــن المجتمعات.

وللثقافة تعريفات عديدة نذكر منها تعريف (تايلر Tailer) المشهور بأنها: «**هي ذلـــك الكـــل المعقد الذي ينطوي على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعـــرف وغـــير ذلـــك مـــن القدرات**»[2].

مفهوم الثقافة الإسلامية:

هناك عدة تعريفات للثقافة الإسلامية جاءت طبقاً لاختلاف اتجاهات الباحثين وتصوراتهم، فمنهم من يجعل حياة الأمة أساساً يدور عليه التعريف، ويركز على إحياء عناصر الثقافة ومقوماتها من وجهـــة نظر معينة سواء إسلامية أو قومية أو وطنية، ومنهم من يجعل من الدراسات الإسلامية أساســـاً يـــدور عليه التعريف، وبهذا تكون الثقافة الإسلامية مرادفة (للدراسات الإسلامية) أو (العلوم الإســـلامية) أو (التربية الإسلامية) وهناك من يعرف الثقافة الإسلامية على أساس واقع المجتمع الإسلامي عبر تاريخـــه، وآخرون من يعرفها على أساس ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع الإسلامي.

---

(1) انظر: القاموس المحيط، مادة ثقف، ومختار الصحاح، والمصباح المنير.

(2) انظر: مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدراس (ص:189).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما نحن فنعرف الثقافة الإسلامية من خلال الموضوعات التي تتناولها مادة الثقافة الإسلامية بصفتها علم جديد أوجدته الظروف والأحوال المعاصرة التي تعيشها الأمة على النحو الآتي:

الثقافة الإسلامية هي دراسة الاتجاهات المعادية للدين الإسلامي والعمل على تنفيذها والمستجدات المتعلقة بأحوال الأمة الإسلامية، وكيفية بناء الشخصية المؤمنة بربها المعتزة بدينها على أسس علمية وفقاً لمنهج يتسم بالشمولية والترابط والاتزان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

مصادر الثقافة الإسلامية

تقوم الثقافة الإسلامية على المصادر الآتية:

1- القرآن الكريم.

2- السنة النبوية .

أولاً: القرآن الكريم:

وهو المصدر الأول للثقافة الإسلامية؛ لأنه المصدر الأول للإسلام، وهو كليُّ الشريعة وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، نور الأبصار والبصائر، لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره[1]، وقد قال الله تعالى فيه [وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾] [الشعراء:192-195].

والقرآن هو: كلام الله المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة فيه، المبدوء بسورة بالفاتحة، المنتهي بسورة الناس، والمجموع بين دفتي المصحف الشريف.

وقد بدأ نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان وهو في غار حراء، وكان أول ما نزل منه سورة (العلق)، ثم تتابع الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة استغرقت حوالي ثلاث وعشرين عاماً، يتزل فيه القرآن الكريم منجماً مفرقاً لحكمة جليلة، وهو يعتبر الوثيقة الأهلية الوحيدة المحفوظة من التحريف والتبديل، مصداقاً لقوله تعالى: [إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾] [الحجر:9].

والقرآن الكريم هو المصدر الأول والقانون الأساس الذي يرجع إليه المسلمون؛ للتعرف على أحكام الدين في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، فهو بذلك جوهر الثقافة الإسلامية الذي بنى

---

(1) انظر د. علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي (ص: 87-88).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مضمونها ورسم حدودها، وصبغ شخصيتها بلون متميز فريد، وبواسطته تتكون عند المسلم صورة كاملة عن الكون والإنسان والحياة، وتصبح معارف المسلمين وعلومها موجهة بوجهته، مما يجعل ثقافتهم بكل سماتها ومظاهرها متميزة عن غيرها من الثقافات.

والقرآن الكريم بصفته كتاب هداية للبشر قد تضمن -فيما اشتمل عليه من أحكام- تنظيم علاقة الإنسان مع ربه، وعلاقة الإنسان مع نفسه، وعلاقة الإنسان مع غيره، وما تقوم عليه هذه العلاقات من أسس وقواعد تكفل الخير وتحقق العدل للجميع في كل زمان ومكان، فهو المصدر الأول للثقافة الإسلامية والرافد الذي يغذيها من خلال ما اشتملت آياته من أخبار ومواقف وقصص وأمثال، ودروس وعبر.

ثانياً: السنة النبوية:

السنة في اللغة: الطريقة، وقيل: السيرة.

والسنة النبوية باعتبارها مصدر من مصادر التشريع الإسلامي هي: ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير.

والسنة هي المصدر الثاني للإسلام الذي يستنبط منه المسلمون أحكامهم الشرعية كما يستنبطون من القرآن الكريم، ويرجعون إليها في فهم المراد من آيات الله، وهي وصف من الله تعالى، فقد وصف الله تعالى - ما يصدر عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: [وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤] [النجم:3-4] وكان جبريل عليه السلام ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن، قال تعالى: [وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ] [النحل:44].

وبهذا تكون السنة مصدراً أساساً للثقافة الإسلامية لما تقوم به من كشف وتوضيح وتفسير لما جاء في القرآن من معاني ومقاصد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث

خصائص الثقافة الإسلامية

تمتاز الثقافة الإسلامية بالخصائص الآتية التي اكتسبتها من العقيدة الإسلامية وهي:

1- الربانية:

وذلك لأن تصورها للوجود بكل خصائصه ومقوماته مستمد من الله ، فالله – جعل الإنسان خليفة في الأرض، وسخر له الكون من أجل فائدته ومتاعه، وأمره بعبادته، وعمارة الأرض حسب التكليف الرباني. وفي هذا التسخير تكريم من الله لهذا لإنسان وتكليف له وتشريف، ومعنى هذا أن كرامته وفضيلته إنما تتوقفان على أن لا يلوث روحه باتباع الشيطان وسلوك طرقه، وعلى ألاّ ينحدر من مرتبة الخلافة المتلازمة من الخضوع والطاعة إلى حضيض البغي والعصيان، ويترتب على ذلك أن العقيدة الإسلامية لا تنظر إلى الحياة على أنها الغاية الأسمى والمثل الأعلى، وإنما هي ظل زائل وعرض حائل وهي محدودة بأجل مسمى، ونهايتها هو الموت المحتوم، وإنما الشيء الوحيد الذي له البقاء والخلود في هذا العالم الفاني هو الصلاح، صلاح القلب، وصلاح الروح، وصلاح الأعمال[1].

قال تعالى: [إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ] [لقمان:33]، وقال تعالى: [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾] [المنافقون] وقال تعالى: [وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾] [البقرة:281].

---

(1) انظر: سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، (ص: 43-50).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

2- الشمولية:

وتعني أن الثقافة الإسلامية في تصورها للقضايا التي تدرسها تنطلق من شمولية الإسلام للإنسان والكون والحياة، فهو يشمل الإنسان روحاً وجسداً وعقلاً، ويشمل الحياة الدنيا والآخرة، ويشمل العمل للدنيا والآخرة في ذات الوقت، ويشمل الفرد والجماعة والأمة في الوقت ذاته، ويشمل علاقات الإنسان بربه وبنفسه وبالآخرين، وفي مجال الاعتقاد يشمل الإيمان بالله وباليوم الآخر والإيمان بالملائكة والكتب السماوية والرسل والقضاء والقدر، وبهذه الدائرة الكبيرة من الشمول ينتهي التناقض الذي أقامته التصورات الخاطئة المنحرفة في الثقافات الأخرى والتي تركز على جانب من الجوانب، حيث قسمت الإنسان إلى قسمين: بين الدنيا والآخرة، أو بين الجسد والروح، أو بين خصائصه الفردية ونزعاته الاجتماعية، الأمر الذي يدفع بالنفس إلى الحيرة والقلق والاضطراب.

3- التكامل والترابط:

كما قلنا: إن الثقافة الإسلامية تعتمد على شمول الإسلام للإنسان والحياة والعمل والكائن البشري والعلاقات والاعتقاد فكل هذه الدوائر تكمل بعضها بعضاً، فهناك تكامل بين الجسد والروح وبين الدنيا والآخرة وبين الفرد والجماعة والأمة، وهناك تكامل أيضاً بين علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبالآخرين، وهي في الوقت ذاته مترابطة فيما بينها البين.

4- التوازن:

وتعني أن الثقافة الإسلامية أقامت توازناً رائعاً بين مطالب المادة والروح، وبين الحياة الدنيا والآخرة، وبين الفرد والمجتمع، وبين الأخذ بالأسباب والإيمان بالقدر، فلا يطغى عنصر على عنصر آخر كما في سائر الثقافات الأخرى، قال تعالى: [وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾] [القصص:77] يراد لنا ألا نسخر كل طاقاتنا من أجل التنافس الوحشي على المكاسب والمنافع المادية الخاصة من دون أية مراعاة لقوانين الحياة والطبيعة الإنسانية التي أمرنا الله تعالى أن نعمل بها ونسير بهديها في أداء متكامل وواع لا يفسد الآخرة، ولا يؤدي إلى التهلكة والانزلاق إلى متاهات وانفلات الغريزة.

5- العموم والعالمية:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتعني هذه الخاصية أن الثقافة الإسلامية تنظر إلى الناس بمقياس واحد، لا تفسده القومية أو العنصرية أو الجنس أو اللون، قال تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ] [الحجرات:13].

كما تعني أنها عالمية، غير منحصرة في مكان أو زمان أو خاصة بأمة دون أخرى، وإنما هي لكل البشر؛ لأن رسالة الإسلام جاءت رحمة للعالمين ولهداية كل الناس دون استثناء أو تخصص، قال تعالى: [وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧] [الأنبياء:107]، وقال تعالى: [قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا] [الأعراف:158].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع

أهداف مقرر الثقافة الإسلامية

تنطلق أهداف مقرر الثقافة الإسلامية من رسالة الجامعة العامة الممثلة -كما جاء في المادة الخامسة من قانون الجامعات اليمنية- في «تنشئة مواطنين متمسكين بعقيدتهم الإسلامية، منتمين لوطنهم وأمتهم، متحلين بالمثل العربية الإسلامية السامية، مطلعين على تراث أمتهم وحضارتها، معتزين بهما...»[1] وكما جاء في المادة نفسها في الفقرة (ب): «تكوين الثقافة العامة الهادفة إلى تنمية مقومات الشخصية الإسلامية الصحيحة والتكوين المعرفي والعلمي القويم»[2].

وكما جاء أيضاً في المادة ذاتها الفقرة (ج): «ترسيخ الرؤية الإسلامية الصحيحة النابعة من آفاق المعرفة الإسلامية الشاملة وتصورها للكون والإنسان والحياة»[3].

فانطلاقاً من هذه المادة والفقرات المتفرعة منها تمثلت أهداف مقرر الثقافة الإسلامية في الآتي:

1- أن يستوعب الطلاب المحاور الأساسية التي يقوم عليه الإسلام باعتباره ديناً يجمع بين العقيدة والشريعة.

2- تربية الطلاب وحسن إعدادهم وتوجيههم، وتكوين شخصيتهم على أسس المثل العربية الإسلامية السامية.

3- تزويد الطلاب بالحقائق الواضحة عن الإسلام، وكشف الشبهات التي يواجهونها من قبل أعداء الإسلام الذين يستهدفون التغرير بالشباب، وزعزعة عقيدتهم الدينية، وإبعادهم عن قيمهم الروحية وأصالتهم الإسلامية.

4- بيان ما في الثقافة الإسلامية من أصالة وقدرة على مخاطبة العقل ودفع الطلاب إلى التفكير والإبداع.

5- الاقتناع بأن الإسلام بنظمه وأخلاقه هو السبيل لمواجهة مشكلات المجتمعات المعاصرة.

6- التعرف على التحديات التي تواجه الأمة اليوم، وكيفية التعامل معها.

---

(1) القرار الجمهوري رقم (18) لسنة (1995م) بشان الجامعات اليمنية وتعديلاته بالقانون رقم (30) لسنة (1997م) وتعديلاته بالقانون رقم (33) لسنة (2000م) (ص:2).

(2) المرجع نفسه (ص: 3).

(3) المرجع نفسه (ص: 3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الخامس

أهمية مقرر الثقافة الإسلامية

من خلال تلك الأهداف تتبين أهمية هذا المقرر ودوره الهام في تحقيق الآتي:

أولاً: إمداد الطالب بحصيلة من المعارف والعلوم المتعلقة بالإسلام بوصفه ديناً عاماً شاملاً صالحاً للبشرية في كل زمان ومكان، بصورة تحصن المسلم وتمده بقوة تجعله قادراً على مواجهة التيارات المعادية للدين الإسلامي، ورد الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام.

ثانياً: تنمية روح الولاء للإسلام والاعتزاز به.

ثالثاً: تزويد عقل الطالب من خلال القضايا المطروحة أمامه بالحقائق الناصعة عن الدين الإسلامي، وترجمة الأفكار والتعاليم الإسلامية إلى واقع عملي، وتربية ملكة النقد الصحيح التي تمكن الطالب من تقويم المبادئ والنظم تقويماً صحيحاً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

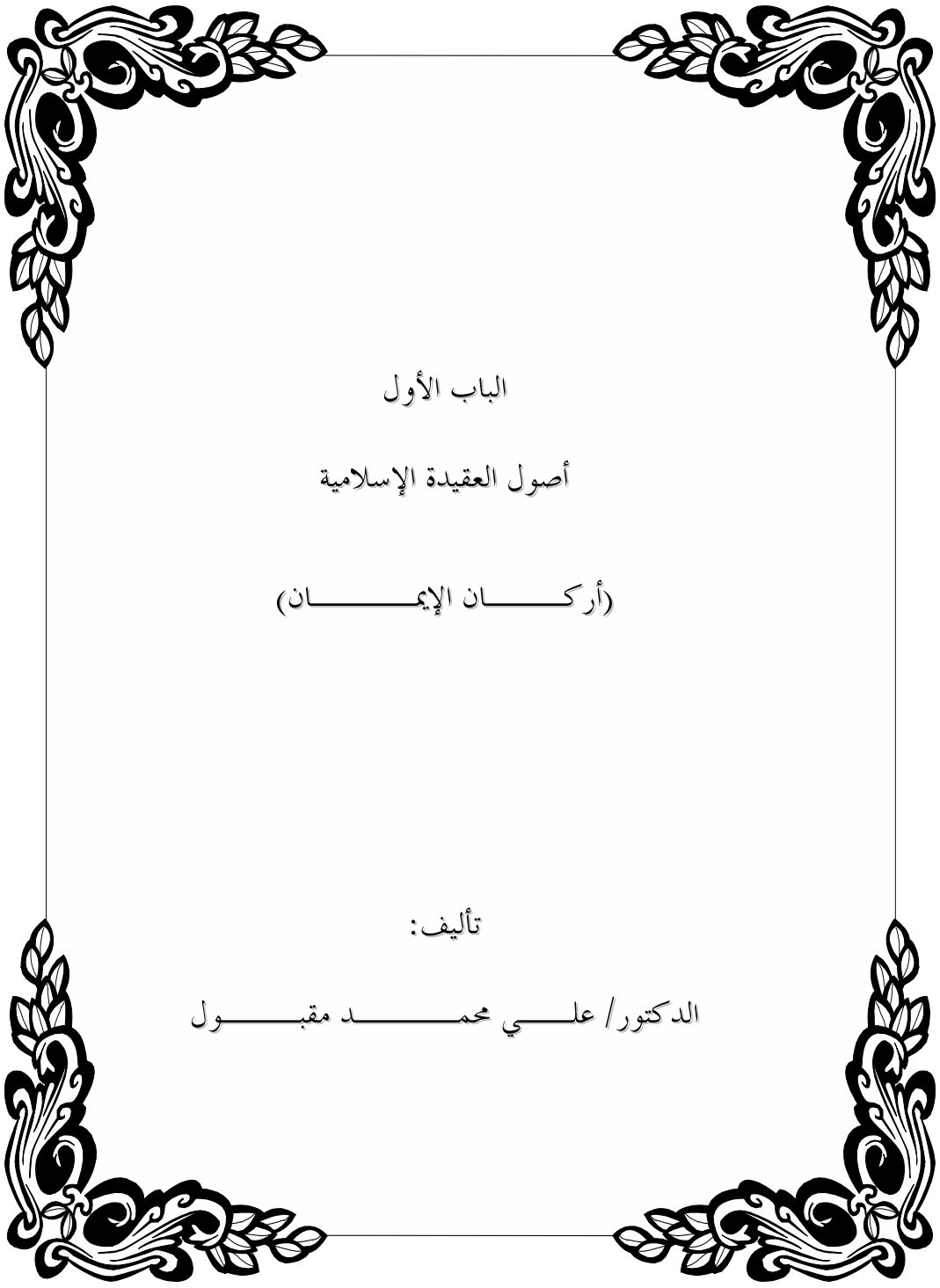

الباب الأول

أصول العقيدة الإسلامية

(أركـــــــان الإيمـــــــــان)

تأليف:

الدكتور/ علـــــي محمـــــــــد مقبـــــــول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

أهمية دراسة العقيدة الإسلامية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

أهمية دراسة العقيدة

مما لا شك فيه أن علم العقيدة الإسلامية هو الأساس الذي تجدر العناية به تعلماً وتعليماً وعملاً بموجبه؛ لتكون الأعمال صحيحة مقبولة عند الله نافعة للعالمين؛ فالعقيدة على هذا الأساس هي المقياس الذي يحدد بها مدى رقي المجتمع أو تخلفه في الميادين الإنسانية، التي تعتبر الطريق إلى التقدم في باقي الميادين الأخرى.

ولهذا كانت العقائد بهذا المنظور محور الصراعات بين الأمم منذ وجد الإنسان على وجه الخليقة، ولا سيما وأن العقيدة ترسم معالم شخصية الإنسان وتحدد سلوكه، وتثري عقله وقلبه بالقيم الروحية، لتشيع في نفسه الاطمئنان، وتضفي على حياته السعادة، وتكشف له معاني وجوده؛ إذ الإنسان المجرد من العقيدة الإسلامية إنسان فاقد لإبعاده في المجتمع الإنساني؛ ومن ثم فاقد للقيم الروحية، فهو إنسان ضائع عايش على هامش الحياة وهو أقرب إلى البهائم منه إلى الإنسان.

ومن هذا المنطلق فقد اهتم العالم الغربي النصراني بالعقيدة وأدرك أبعادها، فراح عن طريق التنصير يغزو الأمم؛ ليغرس فيها العقيدة النصرانية، هادفاً من وراء ذلك -باسم التنصير أو التبشير- تحطيم العقيدة الإسلامية، وطمس أو تحريف معالمها وتشويه معطياتها؛ نظراً لأهميتها في تكوين القيم عند الإنسان، وتزويده بالعلم وبالعمل والقوة؛ إذ المسلم المزود بعقيدته يصمد أمام كل غزو وخاصة الغزو الصليبي[1].

ومن هنا تكمن أهمية دراسة العقيدة في الآتي:

1- هي الوظيفة الأولى لكل نبي ورسول؛ قال تعالى: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ] [النحل:36]، وهي الدين الذي ارتضاه لعباده: [وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ] [الأنعام:153].

2- ولأن العقيدة حق الله أوجبها على عباده، كما قال صلى الله عليه وسلم : «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»[2].

---

(1) العقيدة في القرآن؛ عبد السلام التونجي، (ص:5).

(2) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (1) ما جاء في دعاء النبي، ج (8/ 163)، ومسلم في كتاب الإيمان باب (10) الدليل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

3- ولأن العقيدة طريق النجاة من النار، قال صلى الله عليه وسلم : «**فإن الله حرم النار على من قال: (لا إله إلا الله) يبتغي بذلك وجه الله**»[1].

4- ولأن العقيدة أول ما يجب الدعوة إليه، كما قال صلى الله عليه وسلم : «**فليكن أول ما تدعوهم شهادة أن لا إله إلا الله**» وفي رواية: «**إلى أن يوحدوا الله**»[2]، وهي ملة إبراهيم عليه السلام : [أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾] [النحل:123].

5- ولأن هذه العقيدة حرم الله مخالفتها كما قال تعالى: [قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا] [الأنعام:151].

6- لا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وحيث أن أول هذه الأمة لم تصلح إلا بصفاء العقيدة، وخلوص القلوب لعلام الغيوب، فهذا هو العلاج الوحيد لصلاح الأمة في كل زمان ومكان.

إن العقيدة ليست أموراً ذهنية مجردة؛ بل هي قوة فاعلة متحركة، إذا خالطت بشاشة القلب؛ غيرته في كل شئونه سواء من ناحية التصور أم من ناحية العمل والتوجيه، أم من ناحية انطباق السلوك على ما في القلب.

وهذه العقيدة الصحيحة هي التي حولت رعاة الإبل والغنم وعباد الأحجار والأوثان إلى قادة مؤمنين، ملئوا الدنيا صلاحاً ونجاحاً، وأنقذوا البشرية من عبودية البشر، وأدخلوهم في عبودية الواحد الأحد سبحانه، وانتشلوهم من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة..

وهذه العقيدة الحقة هي التي من أجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وقام سوق الجنة والنار،

على من مات، ج (1/ 58)، حديث رقم (31).

(1) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب (6) العمل الذي يبتغي..، (7/ 172)، ومسلم في كتاب الإيمان باب (10) الدليل على من مات، (1/ 55)، حديث رقم (31).

(2) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب (41) لا تؤخذ كرائم...، (2/ 125)، ومسلم في كتاب الإيمان باب (7) الدعاء إلى الشهادتين، (1/ 50) حديث رقم (19).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وانقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار، وأبرار وفجار، ومن أجلها وقعت الواقعة، وحقت الحاقة، وأسست الملة، وجردت السيوف للجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، وبها تقسم الأنوار: [وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾] [النور:40][1].

وإذا كانت العقيدة بهذه الأهمية فما هو تعريفها؟

العقيدة لغة: تدور حول مادة (عقد) وهي اللزوم والتأكد والاستيثاق، وعقد الحبل: شد بعضه ببعض نقيض حله[2].

وشرعاً: هي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده[3].

وقيل: العقيدة هي الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها، لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك[4].

---

(1) انظر: مسائل هامة في توحيد العبادة، د.محمد سعيد القحطاني، (ص:9).

(2) لسان العرب مادة (عقد).

(3) العقيدة الصافية، سيد عبد الغني، (ص: 19).

(4) العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، (ص:9).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

أنـــــواع العقيـــــدة

العقيدة قسمان:

1- عقيدة صحيحة.

2- عقيدة فاسدة.

أما العقيدة الصحيحة فهي: العقيدة الصحيحة السليمة القويمة التي بعث الله تعالى بهـــا الرســـول، والتي بلغها الرسل -صلوات الله عليهم- إلى الناس في أي مكان وزمان، وهي التي ارتضاها الله تعـــالى لخلقه جميعاً.

وهي عقيدة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ؛ لأنها مترلة من عند العليم الخـــبير؛ وذلـــك لأن مترلهـــا ومرتضيها هو الواحد الأحد الذي لا يتغير ولا يتبدل جل جلاله.

وهذه العقيدة الصحيحة لا توجد اليوم إلا في الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذي تكفل الله بحفظـــه إلى يوم الدين،

وهي موجودة في أصليه: (الكتاب والسنة) ندية طرية صافية، مشرقة، تقنع العقل بالحجة والبرهان، وتملأ القلب إيماناً ويقيناً وحياة، قال تعالى: [وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ] [الشورى:52].

إذن العقيدة الإسلامية: هي العقيدة الصحيحة التي تمد الإنسان بكل ما يحتاجه في حياته، وتـــرد كل تساؤلاته، وتشفي جميع ما في صدره، فهي للإنسان ضرورية ضرورة الماء والهواء؛ فالإنسان بدون هذه العقيدة لا قيمة له ولا وزن، فهو في حيرة وفي تخبط ولا يدري من أين، ولا إلى أيـــن، ولا يعلـــم وظيفته الحقيقية ولا مهمته الأساسية التي من أجلها خلق، ولا يعلم شيئاً عن مصـــيره الحتمـــي الـــذي ينتظره.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلا حياة ولا نجاح ولا فلاح في الدنيا والدين إلا بهذه العقيدة الصحيحة السليمة.

أما العقيدة الفاسدة: فهي كل عقيدة تخالف العقيدة الإسلامية -العقيدة الصحيحة- سواء أكانت عقيدة أهل الكتاب أم عقيدة الفرق والجماعات والمذاهب والأنظمة المتعددة والمختلفة.

أما بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية (أهل الكتاب) فقد دخل عليها التحريف والتغيير والتبديل، وقد تم ذلك على يد أبنائها، فانحرفوا عن الطريق المستقيم والنهج القويم.

أما بالنسبة للمذاهب والتيارات والفرق والأنظمة المختلفة مثل (الشيوعية والرأسمالية والوطنية والقومية) فكل هذه المعتقدات هي عند أصحابها عقيدة يمشون عليها، ويحيون من أجلها، ويضحون بالغالي والرخيص من أجل الذود عنها ونشرها، فهي باطلة فاسدة هابطة، وذلك لأنها من نتاج وأفكار وأذهان البشر ومن وضع عقولهم، وحق لها أن تكون عقائد فاسدة؛ لأنها تخالف خالقها وتحارب فطرتها وتتمرد على موجدها[1].

وبعد هذه المقدمة السريعة عن أهمية العقيدة، ندخل في صلب الموضوع ألا وهو (أصول العقيدة الإسلامية) أو (أركان الإيمان).

---

(1) العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، (ص:11)، والعقيدة الصافية، سيد عبد الغني، (ص:21).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث

أصول العقيدة الإسلامية
(أركان الإيمان)

قبل أن نتحدث عن أصول العقيدة الإسلامية (أو أركان الإيمان) لا بد أن نبين أن هناك ضوابط لدراسة مسائل الاعتقاد، ومن أهمها ما يلي:

أولاً: كون العقيدة الإسلامية غيبية، وليست أموراً محسوسة، فالله غيب، وكذلك الملائكة واليوم الآخر والقدر؛ أما الرسل والكتب فالإيمان بها إنما يكون بالتصديق بنسبتها إلى الله؛ أي كونه أرسل الرسل وأنزل الكتب وهذا غيب -أيضاً-.

ثانياً: مصدر هذا الغيب هو الوحي السماوي الصادق، قال الله تعالى: [الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣] [البقرة:1-3]، والإيمان بالغيب يقابل عدم التصديق إلا بالمحسوس كما هي نظرية الشيوعيين.

ثالثاً: مسائل الاعتقاد يقين، ولا تصح العقيدة مع الشك، فالشك ينافي الاعتقاد، قال تعالى: [إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ] [الحجرات:15]، وهذا بخلاف الذين ذمهم الله لريبهم وشكهم: [قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ۝٤٥] [التوبة:45].

رابعاً: العقيدة في الإسلام وحدة مترابطة، إذا هدم أصل من أصولها؛ خرج صاحبها من دائرة الإسلام؛ فالذي يكفر باليوم الآخر، أو الجنة أو النار، أو كذب الرسل أو واحداً من الرسل، أو كذب بالملائكة، أو واحداً منهم ممن أخبر الله تعالى به وهو يعلم؛ فهو كافر، قال تعالى في الذين يكفرون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ببعض أصول الاعتقاد: [إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١] [النساء:150-151][1].

ومن هذه الآية الكريمة يتبين لنا: أن القرآن الكريم ينكر على من يريد أن يفرق بين الله ورسله، ويقرر القرآن الكريم الإيمان الكامل بالله ورسله بدون تفريق بين الله ورسله، وبدون تفريق كذلك بين رسله جميعاً. وبهذا الشمول كان الإسلام هو «الدين» الذي لا يقبل الله من الناس غيره؛ لأنه هو الذي يتفق مع وحدانية الله، ومقتضيات هذه الوحدانية.

ولذلك عبرت الآية الكريمة عمن يريد أن يفرق بين الله ورسله (بأن يؤمنوا بالله ويكفروا بالرسل) وعمن يريدون التفرقة بين الرسل (بأن يؤمنوا ببعضهم ويكفروا ببعضهم) عبر عن هؤلاء وهؤلاء بأنهم (الذين يكفرون بالله ورسله، وعد تفرقتهم بين الله ورسله، وتفرقتهم بين بعض رسله وبعض، كفراً بالله وبرسله [أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ] [النساء:151] [2].

خامساً: الاعتقاد الجازم لا يكفي وحده، فقد جزم فرعون بأن الآيات التي جاء بها موسى هي من عند الله: [وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ] [النمل:14].

وإبليس جازم بصدق الرسل والكتب، فلا بد من الاعتقاد الجازم من الرضا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً نبياً، ولا بد من الإعلان عن ذلك باللسان، وتصديق ذلك بالعمل، أي: الإذعان والانقياد لله تبارك وتعالى، فما آمن من اعتقد ورفض الخضوع والطاعة لله تعالى كما هو حال الشيطان والمستكبرين.

سادساً: كل من أنكر شيئاً من أصول الاعتقاد أو فروعه المعلومة من الدين بالضرورة؛ فإنه كافر لا شك في كفره، أما الذي يترك عملاً من الأعمال الشرعية الواجبة، أو يفعل شيئاً مما حرم الله؛ فإنه

---

(1) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، د. عمر الأشقر (ص:214).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2/ 797-798).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكون عاصياً، والذين يكفرون بالذنوب والمعاصي هم الخوارج[1]، أما منهج السلف الصالح: فإنه ترك الواجبات وفعل المحرمات يعد ذنباً ومعصية، تشوه الإيمان وتنقصه، ولكنها لا تزيله وتذهبه.

سابعاً: الأصول الاعتقادية التي أثبتتها النصوص ستة: (الله، الملائكة، الكتب، الرسل، الإيمان باليوم الآخر، القضاء والقدر)[2]، والنصوص الدالة على هذه الأصول كثيرة جداً، سواء من الكتاب أم السنة، أما من الكتاب فمن ذلك:

1- قال تعالى: [لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ عز وجل وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ] [البقرة:177].

2- قال تعالى: [ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾] [البقرة:285].

أما من السنة فحديث عمر بن الخطاب المشهور، وفيه أنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم؛ إذْ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام، قال: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**»، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»، قال: فأخبرني عن

---

(1) الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجياً، والخوارج من أوائل الفرق التي ظهرت في تأريخ الإسلام، وانقسمت إلى عدة فرق (راجع: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، (2/ 1062) (خوارج).

(2) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، (ص:215).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمارتها، قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»، قال: ثم انطلق. فلبثت ملياً، ثم قال لي: يا عمر! أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[1].

ومن هاتين الآيتين وهذا الحديث يتبين لنا أن هناك أصولاً ستة للعقيدة الإسلامية هي أركان الإيمان:

الإيمان بالله.. الإيمان بالملائكة.. الإيمان بالكتب السماوية.. الإيمان بالرسل.. الإيمان باليوم الآخر.. الإيمان بالقضاء والقدر.

وسوف أتناول هذه الأصول بشيء من التفصيل على النحو الآتي:

(1) الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان باب (1) تعريف الإسلام والإيمان، (1/ 37) حديث رقم: (1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

الركن الأول من أركان الإيمان

(الإيمـــــــان بالله)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيـــــد

الإيمان بالله هو: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى واحد أحد، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولـــداً، وهو رب كل شيء ومليكه، ليس له شريك في الملك، فهو الخالق، الرازق، المعطي، المـــانع، المحيـــي، المميت، المتصرف في جميع شئون الخلق[1].

أو هو: الإيمان بوجوده ـــ وبوحدانيته في الألوهية والربوبية، والأسماء والصفات، التي وصف بهـــا نفسه في القرآن الكريم، أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم [2].

إذن فالإيمان بالله تعالى هو التصديق الجازم بوجود الله والإقـــرار بربوبيتـــه، وألوهيتـــه، وأسمائـــه وصفاته.

فتضمن الإيمان بوجود الله تعالى أربعة أمور:

الإيمان بوجود الله تعالى.. الإيمان بربوبيته.. الإيمان بإلوهية الله تعـــالى.. الإيمـــان بأسمـــاء الله وصفاته[3].

وسأتحدث عن هذه الأمور الأربعة بشيء من الإيجاز في أربعة مطالب على النحو التالي:

المبحث الأول: الإيمان بوجود الله:

وقد دل على وجود الله تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس[4].

1- أما دلالة الفطرة على وجود الله:

فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سابق تفكـــير أو تعلـــيم، ولا ينصـــرف عـــن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : «**ما مـــن مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[5].

2- أما دلالة العقل على وجود الله تعالى[6]:

---

(1) العقيدة الصافية للفرقة الناجية، سيد سعيد عبد الغني، (ص:53).

(2) ركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:8).

(3) انظر: شرح ثلاثة الأصول، للشيخ محمد بن عثيمين، (ص:80)، مقرر التوحيد، د. عبد العزيز العبد اللطيف، ص(41).

(4) انظر: شرح الأصول الثلاثة، محمد بن عثيمين، (ص:80) وما بعدها، العقيدة الصافية للفرقة الناجية، سيد سعيد عبد الغني، (ص:53)، مقرر التوحيد، د. عبد العزيز العبد اللطيف، (ص:41).

(5) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، باب (93)، (2/ 104).

(6) المراجع السابقة نفسها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها؛ إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقاً؟!

ولا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لا بد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتألق والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض، يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة؛ إذ الموجود صدفة ليس على نظام أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة، تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال تعالى: [أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾] [الطور:35]، ففي هذه الآية الكريمة دليل عقلي، فوجودهم هكذا من غير شيء أمر ينكره منطق العقل ابتداء؛ ولا يحتاج إلى جدل كثير أو قليل.

وأما أن يكونوا هم الخالقين لأنفسهم فأمر لم يدعوه ولا يدعيه مخلوق. وإذا كان هذان الفرضان لا يقومان بحكم منطق الفطرة والعقل؛ فإنه لا يبقى إلا الحقيقة التي يقولها القرآن، وهي أنهم جميعاً من خلق الله الواحد الذي لا يشاركه أحد في الخلق والإنشاء، فلا يجوز أن يشاركه أحد في الربوبية والعبادة.. وهو منطق واضح بسيط.

كذلك يواجههم بوجود السماوات والأرض حيالهم، فهل هم خلقوها! فإنها لم تخلق نفسها، أو خلقت من غير خالق، وهم كذلك لا يدعون أنهم خلقوها... وهي قائمة حيالهم.. سؤالاً حياً يتطلب جواباً على وجوده[1]؟! ولهذا لما سمع جبير بن مطعم ا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: [أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾] [الطور:35-36]، وكان جبير

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/ 3399).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يومئذ مشركاً؛ قال: «**كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي**»[1].

ويضرب لذلك مثلاً هو: أنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك شخص: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفيهاً من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه أو وجد صدفة بدون موجد؟!

3- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى[2]:

فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

المبحث الثاني: الإيمان بربوبيته (توحيد الربوبية):

الربوبية لغة: مصدر ربَّ يَرُبُّ، بمعنى: نشأ الشيء من حال إلى حال إلى حال التمام، والرب هو المالك، والسيد، والمدبر والمربي، والقيم، والمنعم.

ولا يقال: (الرب) بالإطلاق إلا لله تعالى المتكفل بما يصلح الموجودات نحو قوله تعالى: [رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢] [الفاتحة:2]، ولا يقال لغيره إلا مضافاً محدوداً، كما يقال: رب الدار، ورب الفرس. يعني صاحبها، ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: [ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ] [يوسف:42]، وقوله صلى الله عليه وسلم في ضالة الإبل: «**حتى يجدها ربها**»[3].

فتبين بهذا: أن الرب يطلق على الله معرفاً ومضافاً، فيقال: الرب، أو رب العالمين، أو رب الناس،

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب (12).

(2) انظر: شرح الأصول الثلاثة، محمد بن عثيمين، (ص:82)، العقيدة الصافية للفرقة الناجية، سيد سعيد عبد الغني، (ص:55)، مقرر التوحيد، د. عبد العزيز العبد اللطيف، (ص:42).

(3) الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب اللقطة باب (1) ضالة الإبل، (2/ 836) حديث رقم (2504)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، (2/ 70).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا تطلق كلمة الربّ على غير الله إلا مضافة، مثل: رب الدار، ورب المترل، ورب الإبل[1].

أما تعريف توحيد الربوبية في الاصطلاح فهو: أن تعتقد أن الله وحده هو الخالق البارئ المصـــور، المالك المدبر المصرف، المحيي المميت[2].

إذن: توحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله.

وتوحيد الربوبية لم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله ـــ إلا أن يكون مكابراً غير معتقد بما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: [أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾] [النازعات:24]، وقال: [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرِى] [القصص:38]، لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: [وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمًا وَعُلُوًّا] [النمل:14]، وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: [لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورًا ﴿١٠٢﴾] [الإسراء:102][3].

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى مع إشراكهم في الألوهية، قال تعالى: [قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىۡءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾

---

(1) لسان العرب كلمة (ربب).

(2) راجع عقيدة المسلمين، (1/ 263).

(3) شرح الأصول الثلاثة، محمد بن عثيمين، (ص:84).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾] [المؤمنون:84-89]، وقال تعالى: [وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾] [الزخرف:9]، وقال أيضاً: [وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾] [الزخرف:87].

وأمر الرب -سبحانه- شامل للأمر الكوني والأمر الشرعي.. فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه، يشرع العبادات، وأحكام المعاملات، حسب ما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعاً في العبادات، أو حاكماً في المعاملات؛ فقد أشرك به و لم يحقق الإيمان[1].

ولهذا أقر الكفار بتوحيد الربوبية، و لم يدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستحل دماءهم وأموالهم.

بيان استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية:

إن من أقر بتوحيد الربوبية لله، فاعترف بأنه لا خالق إلا الله، ولا رازق ولا مدبر للكون إلا الله عز وجل لزمه أن يقر بأنه لا يستحق العبادة بجميع أنواعها إلا الله، وهذا هو توحيد الألوهية -كما سيأتي معنا بيانه-[2] فإن الألوهية هي العبادة، فلإله معناه المعبود، فلا يُدعى إلا الله، ولا يستعان إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا تذبح القرابين وتنذر النذور ولا تصرف جميع أنواع العبادة إلا له؛ فتوحيد الربوبية دليل لوجوب توحيد الألوهية، ولهذا كثيراً ما يحتج الله تعالى على المنكرين لتوحيد الألوهية بما أقروا به من توحيد الربوبية، مثل قوله تعالى: [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ

(1) شرح الأصول الثلاثة، محمد بن عثيمين، (ص:85).

(2) انظر (ص:) من هذا البحث.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢] [البقرة:21-22].

فأمرهم بتوحيد الألوهية وهو عبادته، واحتج عليهم بتوحيد الربوبية من خلق الناس الأولين والآخرين، وخلق السماء والأرض وما فيها، وتسخير الرياح وإنزال المطر، وإنبات النبات وإخراج الثمرات التي هي رزق العباد، فلا يليق بهم أن يشركوا معه غيره، ممن يعلمون أنه لم يفعل شيئاً من ذلك، ولا من غيره، فالطريق الفطري لإثبات توحيد الألوهية: الاستدلال عليه بتوحيد الربوبية؛ فإن الإنسان يتعلق أولاً بمصدر خلقه، ومنشأ نفعه وضره؛ ثم ينتقل بعد ذلك إلى الوسائل التي تقربه إليه، وترضيه عنه، وتوثق الصلة بينه وبينه، فتوحيد الربوبية باب لتوحيد الألوهية؛ ومن أجل ذلك احتج الله على المشركين بهذه الطريقة، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يحتج بها عليهم، قال تعالى: [ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ] [الأنعام:102]، فاحتج بتفرده بالربوبية على استحقاقه للعبادة، وتوحيد الألوهية هو الذي خلق من أجله، قال تعالى: [وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦] [الذاريات:56]، ومعنى (يعبدون) يفردوني بالعبادة، ولا يكون العبد موحداً بمجرد اعترافه بتوحيد الربوبية، حتى يقر بتوحيد الألوهية، ويقوم به، وإلا فإن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقرون أن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، كما قال تعالى: [وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ] [الزخرف:87]، وقال: [وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٩] [الزخرف:9].

وهذا كثير في القرآن، فمن زعم أن التوحيد هو الإقرار بوجود الله، أو الإقرار بأن الله الخالق المتصرف في الكون، واقتصر على هذا النوع؛ لم يكن عارفاً لحقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل؛ لأنه وقف عند الملزوم وترك اللازم؛ أو وقف عند الدليل وترك المدلول عليه[1]، كما سيأتي توضيحه

(1) انظر: عقيدة التوحيد، د. صالح الفوزان، (ص:41) وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عند الحديث عن توحيد الألوهية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية:

للإيمان بالله ـــ ثمرات يجدها الإنسان في حياته، ومن أهم ثمرات الإيمان ما يلي:

أولاً: أن الله -سبحانه- ربّ كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره والمتصرف فيه، وإذا وقر هذا في قلب المرء المؤمن؛ شعر أن الله له الأمر كله؛ فلا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبر للكون إلا الله وحده، فلا تتحرك إلا بإذنه، فإن هذا يوجب تعلق قلب المؤمن بالله وحده، وسؤاله والافتقار إليه، والاعتماد عليه، فهو سبحانه خالقه ورازقه ومالكه.. فإذاً لم الخوف من المخلوق؟!.

ثانياً: يشعر المؤمن بالله -سبحانه- من أعماق قلبه أن ما دون الله هباء، فلا ترعه سطوة سلطان، ولا تخدعه ثروة غني.

وليثق أنه من المستحيل أن يغلب الله على أمره، أو أن يقطع شيء دونه، فالتعلق بغيره عجز، والتطلع إلى سواه حمق: [وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ] [هود:123].

ثالثاً: إن الإيمان بالله يربي في العبد العزة والكرامة، والراحة والطمأنينة، والشعور بالرضا؛ لأن العبد يعلم أن الله الواحد القهار هو الذي بيده الرزق.

إن بعض الناس يخيل إليه أن الإيمان بالله وفعل الطاعات أعمال إيمانية وتكاليف باهظة لا تطاق! فيختارون الذل والمهانة وعدم الطاعة، هرباً من هذه التكاليف، فيعيشون عيشة تافهة رخيصة مفزعة مقلقة يخافون من ظلهم.. بل يخافون من كل شيء.

هؤلاء الناس يؤدون تكاليف أفدح من تكاليف الكرامة والطاعة والإيمان بالله؛ أنهم يؤدون ضريبة الذل كاملة؛ يؤدونها من نفوسهم، ويؤدونها من أقدارهم، ويؤدونها من سمعتهم، ويؤدونها من اطمئنانهم، وكثيراً ما يؤدونها من دمائهم وأموالهم وهم لا يشعرون..

لقد شاهدنا كم من أناس يحنون رؤوسهم لغير الله الواحد القهار؛ لقد كان في وسعهم أن يكونوا أحراراً، ولكنهم يختارون العبودية لغير الله؛ وفي طاقتهم أن يكونوا أقوياء، ولكنهم يختارون التخاذل؛ وفي إمكانهم أن يكونوا مرهوبي الجانب، ولكنهم يختارون الجبن والمهانة.. هؤلاء يهربون من العبودية لله والعزة والكرامة له حتى لا يكلفهم الإيمان بالله التكاليف؛ فإذا هم يؤدون للذل والقلق والفزع ثمرة عدم الإيمان بالله..

إنه لا بد من ثمرة يؤديها الأفراد والجماعات، ثمرة الإيمان بالله والطاعة والراحة والطمأنينة؛ لأن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المرء يشعر[1] حينئذ أن الله خالقه ولن يخذله كما ورد في الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب ا أنه قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي؛ فإذا امرأة من السبي تبتغي[2] إذا وجدت صبياً في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟ قلنا: لا والله! وهي تقدر أن لا تطرحه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[3].

وخلاصة القول: إذا لم يكن إيمان بالله؛ فإن الناس يؤدون ثمرة بعدهم عن الإيمان به؛ ومن ثم الذل والمهانة والعبودية لغيره؛ والتجارب تنطق بهذه الحقيقة التي لا مفر منها ولا فكاك.

ونضرب مثالاً واحداً على ذلك، فهذا الشاعر المهجري الكبير إيليا أبو ماضي[4] يصور لنا ما قلناه تماماً في قصيدته الموسومة بـ(الطلاسم) في ديوانه الجداول؛ حيث يقول[5]:

جئت لا أعلم من أين؟ ولكني أتيتُ
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى ماشياً إن شئتُ هذا أم أبيتُ
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟
لست أدري!

. . .

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجودْ
هل أنا حر طليق أم أسير في قيودْ
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقودْ
أتمنى أنني أدري ولكن
لست أدري!

. . .

وطريقي ما طريقي! أطويل أم قصيرْ؟

---

(1) انظر: دراسات إسلامية، سيد قطب، (ص:124) وما بعدها.

(2) تبتغي من الابتغاء وهو الطلب، أي تطلب.

(3) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب (18) رحمة الوالد وتقبيله ومعانقته. (7/ 74)، ومسلم في كتاب التوبة باب (4) سعة رحمة الله، حديث رقم (22) (3/ 2109).

(4) إيليا بن صاهر أبي ماضي: كان من كبار شعراء المهجر، ولد في لبنان (1900) له عدة دواوين (راجع الأعلام(2/ 35).

(5) ديواني أبي ماضي (ص:291، 292، 200، 202).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هل أنا أصعد أم أهبط فيه وأغورْ
أأنا السائر في الدرب أم الدرب يسيرْ
أما كلانا واقف والدهر يجري؟
لست أدري!
ليت شعري وأنا في عالم الغيب الأمينْ
أتراني كنت أدري أنني فيه دفينْ
وبأني سوف أبدو وبأني سأكونْ
أم تراني كنت لا أدرك شيئا؟
لست أدري!

. . .

أتراني قبلما أصبحت إنساناً سوياً
أتراني كنت محواً أم تراني كنت شيئاً
ألهذا اللغز حل أم سيبقى أبدياً
لست أدري... ولماذا لست أدري؟
لست أدري!

. . .

ولقد قلت لنفسي وأنا بين المقابرْ
هل رأيت الأمن والراحة إلا في الحفائرْ؟
فأشارت فإذا للدود عيث في المحاجرْ
ثم قالت أيها السائل إني. . . لست أدري!

. . .

إن يك الموت قصاصاً، أيُّ ذنب للطهارة
وإذا كان ثواباً أي فضل للدعارة
وإذا كان وما فيه جزاء أو خسارة
فلم الأسماء إثم وصلاح؟..
لست أدري!
إن يك الموت رقاداً بعده صحوٌ طويلْ
فلماذا لا يبقى صحونا هذا الجميلْ؟
ولماذا المرء لا يدري متى وقت الرحيل؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومتى ينكشف السر فيدري؟
لست أدري!
أوراء القبور بعد الموت بعث ونشورُ
فحياة فخلود أم فناء فدثورُ
أكلام الناس صدق أم كلام الناس زورُ
أصحيح أن بعض الناس يدري؟
لست أدري!

. . .

إن أكن أبعث بعد الموت جثماناً وعقلاً
أترى أبعث بعضاً أم ترى أبعث كلاً
أترى أبعث طفلاً أم ترى أبعث كهلاً
ثم هل أعرف بعد الموت ذاتي؟
لست أدري!

. . .

يا صديقي لا تعللني بتمزيق الستور
بعد ما أقضي فعقلي لا يبالي بالقشور
إن أكن في حالة الإدراك لا أدري مصيري
كيف أدري بعدما أفقد رشدي..
لست أدري!

إنه لا يدري إلى أين المصير ومصير الإنسان يهمه ويعنيه، ويريد أن يطمئن على ذلك المصير، وهنا نرى لوعة الشاعر وأساه؛ لأنه لا يدري إلى أين المصير، وماذا سيصير؟ إنه الضلال، الضلال عن الحقيقة، إنه الشقاء: شقاء القلب المثقل، الذي أتعبه المسير؛ وكم في الحياة من أمثال هذا الشاعر البائس...

وبعض الناس يستطيع أن يفصح عن شقوته، وحيرته، وبعضهم يحس ويعاني وتبقى أفكاره حبيسة نفسه الشقية.

«لست أدري» تلك هي الإجابة عن التساؤلات الخالدة، وليست هي قولة شاعر فحسب «فسقراط» الفيلسوف الذي يعدّ من عمالقة الفلاسفة يقول بصريح العبارة: «الشيء الذي لا أزال أجهله جيداً أنني لست أدري».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالإسلام وحده يصبح الإنسان يدري؛ يدري من أين جاء، والى أين المصير، يدري لماذا هو موجود، وما دوره في الوجود، يدري ذلك حقاً وصدقاً وعدلاً، وفرق بين من يدري ومن لا يدري: [أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾] [الملك:22] [1].

إن حالة من لا يؤمن بالله ولا يجد أثر الإيمان هي حالة الشقي المنكود الضال عن طريق الله، المحروم من هداه، الذي يصطدم بنواميس هذا الكون، فهذا الذي لا يؤمن بالله دائماً في تعثر، ودائماً في عناء ودائماً في ضلال[2].

رابعاً: أن الإنسان بلا إيمان ولا دين سيجد نفسه في النهاية أنه لا يملك شيئاً يحيى من أجله؛ فالإيمان بالله وثمراته تحي الروح، وتصنع الهدف، وتوقظ الهمة، وتكثر البركة...

والإنسان المتدين سعيدٌ في حياته لأنه يحس ثمرة إيمانه بالله وصدق الله العظيم القائل: [مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾] [النحل:97]، فمن ثمرات الإيمان الحياة الطيبة في هذه الأرض.

لا يهم أن تكون ناعمة رغيدة ثرية بالمال؛ فقد تكون به، وقد لا يكون معها. وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية: فيها الاتصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه. وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة، وفيها الفرح بالإيمان وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة.. فيها آثار الإيمان حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله. فالإيمان بالله يجعل الخير أصيلاً ثابتاً يستند إلى أصل كبير لا عارضاً مزعزعاً يميل مع الشهوات والأهواء حيث تميل.. ولو لم يكن للإيمان من ثمرات إلا هذه لكفى... [3]

المبحث الثالث: الإيمان بألوهيته أو (توحيد الألوهية):

---

(1) العقيدة في الله؛ د. عمر الأشقر، (ص:15).

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/ 3644).

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج (4/ 2193).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

توحيد الألوهية هو توحيد العبادة؛ لأن الألوهية هي العبادة والإله أصل للفظ الجلالة (الله) حذفوا الهمزة وأدغموا اللام في اللام فصارتا لاماً واحدة مشددة مفخمة. والتأله التنسك والتعبد[1].

أما توحيد الألوهية اصطلاحاً فهو: إفراد الله بالعبادة والطاعة.

أو هو: توحيد الله بأفعال عباده: كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والذبح، والنذر، والخوف، والرجاء، والمحبة، على معنى أنهم يفعلونها طاعة له، وابتغاء مرضاته، متمثلين في ذلك الأمر بالفعل المأمور، ولنهيه، وذلك بترك المنهي عنه.

ولذا يعلم أنه لا يتحقق توحيد الألوهية إلا بوجود أصلين:

الأول: أن تصرف جميع أنواع العبادة له سبحانه دون سواه.

الثاني: أن تكون العبادة موافقة لأمر الله ونهيه عن معصيته.

ويجمع هذين الأصلين: الإخلاص والمتابعة؛ الذي هو بالتالي مدلول كلمة الشهادة: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)؛ لأنه توحيد للمرسِل (بكسر السين) الذي هو الله، وتوحيد للمرسَل (بفتح السين) الذي هو الرسول صلى الله عليه وسلم .

فلا عبادة، ولا طاعة إلا لله، ولا طريق لذلك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل طريق غيره فإنه لا يوصل إلى المطلوب[2].

ومن هذا المنطلق صار هذا التوحيد أعظم أنواع التوحيد كلها وأهمها؛ إذ به تساس الحياة، وعليه تبنى الشريعة؛ إذ لا حكم ولا طاعة في أمر من الأمور إلا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لذا فما أرسل الله من رسول إلا وبعثه بمدلوله، كما قال ـ: [وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾] [الأنبياء:25]. وقد أخبر سبحانه أنه هو الغاية من الخلق فقال جل وعلا: [وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾] [الذاريات:56].

وهو حق الله الذي لا يكون لغيره كما قال صلى الله عليه وسلم : «**وحق الله على العباد، أن**

---

(1) انظر: لسان العرب مادة (أله)، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب، (ص 32).

(2) انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د. إبراهيم البريكان، (ص:110).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يعبدوه فلا يشركوا به شيئاً»[1].

ولأجل هذا التوحيد شرع الله الجهاد، واستبيحت الدماء كما قال صلى الله عليه وسلم: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»[2].

وهو أول واجب يدعى العباد إليه، كما قال صلى الله عليه وسلم: لمعاذ ا، لما بعثه إلى اليمن: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله**»، وفي رواية: «**أن يوحدوا الله**»[3][4].

وخلاصة القول: إن التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الألوهية لله وحده؛ بأن يشهد أن لا إله إلا الله ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله...

وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية -وهو اعتقاد أن الله وحده هو خالق العالم- كما يظن ذلك أهل الكلام وغيرهم؛ فهم يظنون هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأنهم إذا شهدوا هذا وفَنُوا فيه، فقد فَنُوا في غاية التوحيد؛ فإن الرجل لو أقر بما يستحق الرب تعالى من الصفات ونزهه عن كل ما ينّزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده؛ فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له. و(الإله) هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة[5].

ومن ذلك نعرف خطأ من ظن أن توحيد الربوبية كافٍ كامل؛ مع أن توحيد الربوبية هو الذي أقر به المشركون؛ وهذا الخطأ ترتب عليه ضلال كثير من الناس؛ وذلك بالوقوع فيما يضاد توحيد الألوهية من الشرك ووسائله بدعوى أنهم لم يناقضوا التوحيد حيث آمنوا بربوبية رب العالمين.. وهذا يدعونا إلى ذكر الفروق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية..

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (1)، ج (8/ 164)، ومسلم في كتاب الإيمان باب (10) الدليل على من مات..، ج (1/ 58).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب (17) فإن تابوا..، ج (1/ 11)، ومسلم في كتاب الإيمان باب (8) الأمر بقتال الناس، ج (1/ 52) حديث (33).

(3) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب (41) لا تؤخذ من كرائم...، (2/ 125)، ومسلم في كتاب الإيمان باب (7) الدعاء إلى الشهادتين،(1/ 51) حديث رقم (31).

(4) المدخل لدراسة العقيدة، د. البريكان، (ص:111)، وعقيدة التوحيد، د. صالح الفوزان، (ص:46) وما بعدها.

(5) العقيدة الصافية للفرقة الناجية، سيد سعيد عبد الغني، (ص:250).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية:

1- الاختلاف في الاشتقاق؛ فالربوبية: مشتقة من اسم الله (الرب)، والألوهية: مشتقة من لفظ (الإله).

2- أن متعلق الربوبية الأمور الكونية: كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، ونحوها. ومتعلق توحيد الألوهية الأوامر والنواهي: من الواجب، والمحرم، والمكروه.

3- أن توحيد الربوبية قد أقر به المشركون[1]، أما توحيد الألوهية فقد رفضوه، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه: [مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ] [الزمر:3]، وقال عز وجل:

[أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝] [ص:5].

4- أن توحيد الربوبية مدلوله علمي، وأما توحيد الألوهية فمدلوله عملي.

5- أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ بمعنى أن توحيد الألوهية خارج عن مدلول توحيد الربوبية، لكن لا يتحقق توحيد الربوبية إلا بتوحيد الألوهية، كما أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ بمعنى أن توحيد الربوبية جزء من معنى الألوهية.

6- أن توحيد الربوبية لا يدخل من آمن به[2] في الإسلام بعكس توحيد الألوهية، فإن الإيمان به يدخل في الإسلام.

7- أن توحيد الربوبية توحيد الله بأفعاله كالخلق ونحوه، وأما توحيد الألوهية فهو توحيد الرب بأفعال عباده من الصلاة والزكاة، والحج، والصيام، والخشية، والرهبة، والخوف، والمحبة، والرجاء، ونحو ذلك[3].

وإذا كان توحيد الألوهية هو توحيد العبادة؛ لأن الألوهية هي العبادة؛ فإن هذا يدعونا إلى الحديث عن العبادة من ناحية:

أولاً: معنى العبادة:

---

(1) أقروا بأصله، أو يقال: أقروا به في الجملة؛ لأن المشركين عندهم خلل في توحيد الربوبية.

(2) لا بد من قيد من آمن بأصله، وإلا فإن من آمن بكل معاني الربوبية فهو سوف يؤمن بالألوهية بلا ريب، ولا يغلط في الألوهية إلا من لم يحقق الربوبية..

(3) انظر: المدخل لدراسة العقيدة، د. إبراهيم البريكان، (ص:112)، وحقيقة التوحيد والفرق بين الربوبية والألوهية، د. علي نفيع العلياني، (ص:114).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العبادة لغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء، وأصل العبودية: الذل والخضوع. والعبادة: الطاعة والتعبد والتنسك[1].

أما العبادة اصطلاحاً فهي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[2].

وممكن أن يقال في تعريف العبادة: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة، مع كمال المحبة، والذل، والخضوع، والبراءة مما ينافي ذلك ويضاده».

فيكون بذلك تعريفاً مانعاً جامعاً، وهو المختار؛ لاشتماله على المراد بالعبادة... وعلى هذا فالعبادة بهذا المفهوم هي الدين كله، فهي تشمل جميع جوانب الحياة المختلفة، كما قال تعالى: [قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾] [الأنعام:162-163].

وبهذا ندرك أن حقيقة العبادة المشروعة لا بد لها من أمرين:

الأول: هو الالتزام بما شرعه الله ودعا إليه رسله، أمراً ونهياً، وتحليلاً وتحريماً، وهذا هو الذي يمثل عنصر الطاعة والخضوع لله.

فليس عبداً ولا عابداً لله من رفض الاستسلام لأمره، واستكبر عن اتباع منهجه، والانقياد لشرعه، وإن أقر بأن الله خالقه ورازقه، فقد كان مشركو العرب يقرون بذلك، ولم يجعلهم القرآن بذلك مؤمنين ولا عباداً لله طائعين، فخضوع الإقرار بالربوبية لا يكفي، وخضوع الاستعانة في الكربات والاستغاثة في الشدائد لا يكفي، بل لا بد من خضوع التعبد والانقياد والاتباع الذي هو حق الألوهية، وبهذا يتحقق [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾] [الفاتحة:5].

الثاني: أن يصدر هذا الالتزام من قلب يحب الله تعالى فليس في الوجود من هو أجدر من الله بأن يُحب، فهو صاحب الفضل والإحسان، الذي خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً، وخلق ما في السموات والأرض، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وخلقه في أحسن تقويم، وصوره فأحسن

---

(1) لسان العرب، مادة (عبد) (9/ 11) والمعجم الوسيط، مادة (عبد) (ص:579).

(2) انظر: العبودية لابن تيمية، (ص:31).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صورته...

فمن عرف الله أحبه، وبقدر درجته في المعرفة تكون درجته في المحبة؛ ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أشد الناس حباً لله؛ لأنه كان أعرفهم بالله، وكانت قرة عينيه في الصلاة؛ لأنها الصلة المباشرة بين قلبه وبين الله، وكان في دعائه يسأل الشوق إلى لقائه، ولذة النظر إلى وجهه سبحانه، ولما خير بين البقاء في الدنيا وبين اللحوق بربه قال: «**أختار الرفيق الأعلى**»[1].

إذن: لا بد في العبادة من العنصرين معاً: غاية الخضوع لله، وغاية المحبة لله...

ثانياً: أركان العبادة:

يقول ابن القيم: «العبادة تجمع أصلين -أي ركنين-: غاية الحب، وغاية الذل والخضوع.. فمن أحببته و لم تكن خاضعاً له؛ لم تكن عابداً له، ومن خضعت له بلا محبة؛ لم تكن عابداً له حتى تكون محباً خاضعاً. ومن هاهنا كان المنكرون محبة العباد لربهم منكرين حقيقة العبودية؛ والمنكرون لكونه محبوباً منكرون لكونه إلهاً وإن أقروا بكونه رباً للعالمين وخالقاً لهم؛ فهذا الإقرار غاية توحيدهم؛ وهو توحيد الربوبية الذي اعترف به مشركوا العرب و لم يخرجوا به عن الشرك..[2].

ثالثاً: شروط العبادة:

للعبادة شروط أهمها ثلاثة:

الشرط الأول:صدق العزيمة:

ومعناه ترك التكاسل والتواني عن امتثال الأمر والنهي، وبذل الجهد، في أن يكون فعله مصدقاً لقوله، كما قال تعالى: [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢] [الصف:2].

فهذا الفعل وهو القول بدون فعل لا يليق بالمسلم الحق العابد لله ــ والقرآن يستنكر هذا الفعل وهذا الخلق في صور تضخم هذا الاستنكار: [كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣] [الصف:3]، وهذا المقت الذي يكبر عند الله هو أكبر المقت وأشد البغض وأنكر النكر؛ وهذا في غاية التفظيع لأمر[3]؛ وبخاصة في ضمير المؤمن الحق الذي يعبد الله حق عبادته

(1) راجع العبودية، لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموعة التوحيد، (2/ 454).

(2) مدارج السالكين، (1/ 85).

(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/ 3552).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قولاً وعملاً..

الشرط الثاني: إخلاص النية لله:

وتجريدها عما سواه سبحانه، بأن لا يعبد سواه، ولا يخضع إلا له، فيكون عمله كله لله، كما قال تعالى: [قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾] [الأنعام:162]، وقال تعالى: [وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ] [البينة:5].

الشرط الثالث: موافقة الشرع:

بأن تكون الأقوال والأعمال الظاهرة، والباطنة موافقة لما أمر الله به، أو نهى عنه، كما قال تعالى: [وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾] [آل عمران] وقال: [أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ] [الشورى:21][1].

إذن: موافقة الشرع هو التقيد بالمنهج الذي شرعه الله تعالى والتحاكم إلى كتابه العزيز؛ لأنه لا يمكن أن يكون الإسلام تصديقاً بالقلب فقط دون أن يتبع هذا التصديق مدلوله العملي وهو الموافقة لشرع الله تعالى.

ولأن الإسلام لا يكون شعائر وعبادات، أو تهذيباً خلقياً وإرشاداً روحياً.. دون أن يتبع هذا كله آثاره العملية ممثلة في منهج للحياة موصول بالله الذي تتوجه إليه القلوب بالعبادات والشعائر[2].. لكن هذا كله يبقى لا قيمة له ما لم يكن موافقاً لشرع يعيشه الناس في حياتهم وانقيادهم واتباعهم..

رابعاً: أنواع العبادة:

---

(1) أعلام السنة المنشورة، حافظ حكمي، (ص:7).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (1/ 423).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العبادة أنواع كثيرة جداً، وهي على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: عبادات اللسان، كالحمد لله، والشهادة، والذكر، والاستغفار، والاستغاثة، والاستجارة، والدعاء، ونحو ذلك.

المرتبة الثانية: عبادات الجوارح: كالصلاة، والصيام، والحج، والسجود، والركوع، ونحو ذلك.

المرتبة الثالثة: عبادات القلب: كالمحبة، والخوف، والرجاء، والإنابة، والخشية، والرهبة، والتوكل، ونحو ذلك.

المرتبة الرابعة: عبادات مالية: كالصدقة والزكاة، ونحوها[1].

إذن العبادة لها أنواع كثيرة، فهي تشمل كل أنواع الطاعات الظاهرة على اللسان والجوارح، والصادرة عن القلب، كالذكر والتسبيح، والتهليل، والتكبير، وتلاوة القرآن، والصلاة والزكاة والصيام، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الأقارب، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والرضاء بقدره، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، فهي شاملة لكل تصرفات المؤمن؛ إذا نوى بها القربة أو ما يعين عليها، حتى العادات إذا قصد بها التقوي على الطاعات كالنوم والأكل والشرب، والبيع والشراء، وطلب الرزق، والنكاح؛ فإن هذه العادات مع النية الصالحة تصير عبادات، يثاب عليها، وليست العبادة قاصرة على الشعائر التعبدية المعروفة[2].

خامساً: مفاهيم خاطئة لمفهوم العبادة:

بعض الناس لا يفهم من كلمة (العبادة) إذا ذكرت إلا الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة، ونحو ذلك من الأدعية والأذكار، ولا يحسب أن للعبادة علاقة بالأخلاق والآداب، أو النظم والقوانين، أو العادات والتقاليد.

إن عبادة الله ليست محصورة -إذن- في الصلاة والصيام والحج، وما يلحق بها من التلاوة والذكر والدعاء والاستغفار؛ كما يتبادر إلى فهم كثير من المسلمين إذا دعوا إلى عبادة الله، وكما يحسب كثير من المتدينين أنهم إذا قاموا بهذه الشعائر فقد وفوا الإلهية حقها، وقاموا بواجب العبودية لله كاملاً.

إن هذه الشعائر العظيمة والأركان الأساسية في بناء الإسلام - على منزلتها وأهميتها- إنما هي جزء من العبادة لله، وليست هي كل العبادة التي يريدها الله من عباده.

---

(1) المدخل لدراسة العقيدة، د. إبراهيم البريكان، (ص:141).

(2) عقيدة التوحيد، د. صالح الفوزان، (ص:66).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والحق أن دائرة العبادة التي خلق الله لها الإنسان، وجعلها غايته في الحياة، ومهمته في الأرض، دائرة رحبة واسعة؛ فهي تشمل شئون الإنسان كلها، وتستوعب حياته جميعاً[1]. إنها غاية الوجود الإنساني كله كما نفهم من قوله الله تعالى: [وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾] [الذاريات:56].

ولا أدري كيف انحسر مفهوم العبادة لدى بعض الناس -اليوم- من مفهوم شامل إلى مجرد عبادات تؤدى على نحو من الأنحاء.. كيف أمكن للمسلم أن يتصور أنه يستطيع أن يخالف تعاليم الإسلام وعبادة الله في كل شيء، فيخون أماناته كلها، فيغش ويكذب ويخون ويخدع، ويتجاوز المتاع المباح إلى المتعة المحرمة، ويقبل الذل والمهانة حرصاً على هذا المتاع.. ثم يتصور بعد ذلك أن بضع ركعات في النهار -مخلصة أو غير مخلصة، تامة أو غير تامة - يمكن أن تسقط عنه تبعاته أمام الله وتسلكه في عداد المسلمين؟! وأنه قام بالعبادة كاملة..[2].

كم تستغرق الشعائر من اليوم والليلة؟ وكم تستغرق من عمر الإنسان؟

وبقية العمر؟ وبقية الطاقة؟ وبقية الوقت أين تنفق وأين تذهب؟ تنفق في العبادة أم في غير العبادة؟

وإن كانت في غير العبادة فكيف تحقق غاية الوجود الإنساني التي حصرتها الآية: [وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾] [الذاريات:56] حصراً كاملاً في عبادة الله؟! وكيف يجوز للإنسان -من عند نفسه- أن يجعل لوجوده أو الجزء من الوجود غاية لم يأذن بها الله؟[3].

الذين حصروا مفهوم العبادة في جزء يسير من نشاط الإنسان ماذا يفعلون مع الآية الكريمة: [قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾] [الأنعام:162-163] تلك هي العبادة التي كلف بها الإنسان، تشمل الصلاة والنسك -الشعائر التعبدية- وتشمل معها كل الحياة.. هذا هو الفهم الصحيح لمفهوم العبادة...

---

(1) العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، (ص:52).

(2) راجع: هل نحن مسلمون، محمد قطب، (ص:10) وما بعدها.

(3) انظر: مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب، (ص:175).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لم تحصر العبادة قط في داخل الشعائر التعبدية، بحيث تصبح اللحظات التي يقومون فيها بأداء الشعائر التعبدية هي وحدها لحظات العبادة، وتكون بقية حياتهم (خارج العبادة)؟!

إن المفهوم الشامل للعبادة: هي تجرد كامل لله؛ بكل خالجة في القلب، وبكل حركة في الحياة، بالصلاة والاعتكاف، بالمحيا والممات، بالشعائر التعبدية، وبالحياة الواقعية؛ وبالممات وما وراءه[1].

إن العبودية الكاملة: تجمع بين الصلاة والاعتكاف والمحيا والممات، فكل جزء وكل حركة وكل نشاط هو عبادة..

هذا ما فهمه المسلمون قديماً؛ إن العبادة هي كل شيء في النشاط الإنساني...

لا كما يفهمه بعض الناس اليوم حيث يتصور أنه يمكن أن يغش ويخون ويسرق ويكذب.. ثم يصلي ليشعر أنه قد قام بالعبادة..

أو حيث تتصور المسلمة أنها تستطيع أن تخالف تعاليم ربها وتخون أماناته، فتغش وتكذب وتحقد وتغتاب، وتمشي بالنميمة.. وتخرج عارية تعرض فتنتها أو متبرجة لم تحافظ على اللبس الإسلامي، فتعرض جسدها لكل عين نهمة وجسد شهواني، ثم بعد ذلك تشعر أنها إذا صلت أو صامت -والله أعلم بكيفية صلاتها وصيامها- أنها قد أدت العبادة كاملة!

إنها أفكار غريبة تلك التي تحصر العبادة في جزء بسيط من حياة الإنسان.. بل وصل الحال بالبعض أن يقول: ما للدين ونظام المجتمع، ما للدين والاقتصاد؟ ما للدين والسلوك العملي في واقع الحياة؟ ما للدين والتقاليد؟ ما للدين والملبس -خاصة ملابس المرأة؟ ما للدين والفن؟ ما للدين والصحافة والإذاعة والسينما والتلفاز؟

لنأخذ بعض الأدلة والأمثلة للرد على مثل هذه الأفكار الغريبة التي حصرت مفهوم العبادة في جزء يسير من العبادة اليومية على نحو مختصر -لأن المقام ليس مقام تفصيل- على النحو الآتي:

1- قال تعالى: [وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾] [الذاريات:56]، إذن خلق الله الإنس والجن لا لشيء إلا لعبادته..

2- ثم إن الله -سبحانه- فرض على الناس تكاليف: [وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (3/ 124).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ] [النساء:36].

3- وقال تعالى: [إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ] [النساء:58].

4- وقال تعالى: [فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾] [النساء:74].

5- وقال: [وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾] [الأنفال:60].

6- وقال: [وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾] [النساء:19].

7- وقال تعالى: [هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ] [الملك:15].

8- وقال: [وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾] [الرحمن:9].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعشرات غيرها من التكاليف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والروحية والاعتقادية والأخلاقية...

هذا في القرآن الكريم؛ أما بالنسبة للسنة النبوية فهي -أيضاً- فرضت تكاليف و لم تحصر العبادة في جزء بسيط من حياة الإنسان، ومن ذلك:

1- قال صلى الله عليه وسلم : «**طلب العلم فريضة...**»[1].

2- وقال صلى الله عليه وسلم : «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**»[2].

3- وقال صلى الله عليه وسلم : «**اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله! وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[3].

4- وقال صلى الله عليه وسلم : «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله**»[4].

5- وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه البراء بن عازب قال: «**أمرنا رسول الله بسبع، ونهانا عن سبع؛ أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار القسم أو المقسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، ونهانا عن خواتيم أو تختم بالذهب، وعن شرب بالفضة، وعن المياثر[5]، وعن القسي[1]، وعن لبس الحرير، والاستبرق والديباج**»[2][3].

---

(1) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب (17) طلب العلم.. وضعفه النووي، لكن تلميذه جمال الدين المزي قال: إن طرقه تبلغ رتبة الحسن، ووافقه السيوطي، (راجع صحيح ابن ماجه (1/ 81) باب (17) حديث رقم (224)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، (1/ 44) حديث رقم (183).

(2) أخرجه الترمذي في كتاب الديات باب (14) ما جاء في النهي عن المثلة، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح (4/ 22)، وأخرجه النسائي في كتاب الضحايا باب (37) حسن الذبح، (7/ 229)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (2/ 59) حديث رقم (1137).

(3) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا باب (23) وابتلوا اليتامى...(3/ 195)، ومسلم في كتاب الإيمان باب (38) بيان الكبائر، (1/ 92) حديث رقم (145).

(4) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة باب (13) آداب الطعام (2/ 1598)، حديث رقم (105).

(5) قال العلماء: المياثر جمع مئثرة وهو وطاء كان النساء يضعنه لأزواجهن على السروج، وكان من مراكب العجم، ويكون من الحرير والصوف، وقيل: أغشية للسروج تتخذ من الحرير، وقيل: سروج الديباج، وقيل: كل شيء كالفراش الصغير تتخذ من حرير. (راجع النووي بشرح مسلم كتاب اللباس والزينة حديث رقم (3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

6- وهذه امرأة كانت تصرع وتتكشف فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: «**إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، قالت: أصبر، قالت: فإني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها**». ففي هذا الحديث بين النبي صلى الله عليه وسلم لهذه المرأة أن صبرها على المرض هو نوع من العبادة؛ فاختارت الصبر على هذا المرض؛ لكنها طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تتكشف، لأن التكشف مسألة شرعية، فدعا لها أن لا تتكشف.. حتى المرض عندما يصبر المسلم ويحتسب يعتبر ذلك جزءاً من العبادة يُثابُ عليه المسلم... ولذلك قال عطاء بن أبي رباح: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء.. وذكر الحديث[4].

7- اشتد الفقر برجل وزوجته، فقال لها: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي المحتاجين، فهلا سألناه أن يعطينا من المال الذي بين يديه؟ فقالت له: تريد أن تشكو الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبرت وصبر.

8- مر عمر ا وهو يعس ليلاً -يتفقد أحوال رعيته- ببيت سمع فيه بكاء صبية صغار، فدخل فوجد امرأة تضع قدراً على النار تحركه، وحولها صبية يتضاغون، فسألها: ما يبكي الصبية؟ قالت: الجوع. قال: وما هذه القدر؟ قالت: أضع فيه حصوات أقلبها حتى ينام الصبية، فإنه لا طعام لدينا، وعمر لا يأبه بنا، وهي لا تعرف أنه عمر، فقال لها: وما يدري عمر بك؟ قالت: وفيم إذن تولى أمر المسلمين؟ فبكى عمر، وذهب إلى بيت المال، ومعه تابعه، فحمل دقيقاً وسمناً، وعاد إلى بيت المرأة، فيقول له تابعه: دعني أحمل عنك يا أمير المؤمنين! فيقول: ومن يحمل عني يوم القيامة! ثم يضع الدقيق والسمن في القدر، وينضج النار حتى يتخلل الدخان لحيته الكثيفة.. ولا يغادر المكان حتى يرى الصبية قد أكلوا وشبعوا وناموا.

9- لبس أحد المجاهدين زرد الحرب استعداداً للمعركة، فقال له صاحبه: إن هناك ثلمة في الزرد عند العنق يخشى أن ينفذ منها السهم، فقال لصاحبه باسماً: إني لكريم على الله إن أصبت في هذا الموضع! ودخل المعركة، فأصابه سهم في الثلمة، فأكرمه الله بالشهادة..

وفي هذه الأمثلة الواضحة الساطعة رد على أولئك الذين يريدون أن يحصروا العبادة في جزء

---

(1) القسي: هي ثياب مضلعة بالحرير تعمل بالقس وهو وموضع ببلاد مصر.

(2) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب (2) الأمر باتباع (2/ 70)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة باب (2) تحريم استعمال... (2/ 1635) حديث رقم (3).

(3) راجع: مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب، (ص:186) وما بعدها.

(4) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المرض باب (6) فضل من يصرع.. (7/ 4).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسيط من حياة الإنسان.

إذن لا يمكن بداهة أن تنحصر العبادة في الشعائر التعبدية وحدها، كما ظن بعض المسلمين - اليوم- لكن العبادة هي مفهوم شامل واسع؛ وهذا ما دلت عليه الآيتان الكريمتان: [وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾] [الذاريات:56]، وقوله: [قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ عز وجل آ ﴿١٦٣﴾] [الأنعام:162-163]..

هكذا فهم المسلمون الأوائل معنى العبادة كما فرضها الله..

كان إحساس المسلم في تلك الأجيال أنه يقوم بواجبه في سبيل الله كإحساسه بواجبه في الصلاة، هنا يعبد الله وهناك يعبد الله؛ ولا تغني إحدى العبادتين عن الأخرى؛ لأن كلاً منهما -بمفردها- لا تحقق المعنى الكامل للعبادة التي يريدها الله..[1].

المبحث الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته (توحيد الأسماء والصفات):

سبق أن ذكرت[2] أن الإيمان بالله هو الإيمان بوجوده ـــ وبوحدانيته في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم والآن سوف أذكر توحيد الأسماء والصفات وذلك على النحو الآتي:

أولاً: تعريف توحيد الأسماء والصفات.

ثانيا: أركان توحيد الأسماء والصفات.

ثالثاً: مجمل اعتقاد أهل السنة في الأسماء والصفات.

رابعاً: بيان صحة مذهب أهل السنة في الأسماء والصفات.

خامساً: الفرق الضالة في الأسماء والصفات.

سادساً: ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته.

أولاً: تعريف توحيد الأسماء والصفات

---

(1) انظر: مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب، (ص:190). وما بعدها.

(2) انظر في هذا البحث (ص:5).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التوحيد مصدر للفعل وحده، أو هو جعل الشيء واحداً.

والاسم: علم على الذات أو الصفة، والمقصود به في توحيد الأسماء هو: أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر[1].

أما الصفة فهي ما تقوم بالذات؛ والمقصود بها في توحيد الأسماء والصفات أنها (أي الصفات): نعوت الكمال القائمة بالذات كالعلم والحكمة والسمع والبصر[2].

إذن: فتوحيد الأسماء والصفات هو: إفراد الله -سبحانه- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ لا شريك له في ذلك، ولا مثيل[3].

أو هو: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات على الوجه اللائق بالله تعالى[4].

إذن فتوحيد الأسماء والصفات هو: إفراد الله -سبحانه- بما يختص به من الأسماء والصفات؛ ودليل ذلك: [وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ] [الأعراف:180]، وقوله: [لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨] [طه:8]، وقوله: [وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ] [النحل:60].

ووجه الاستدلال: أن تقديم ما حقه التأخير يفيد في لغة العرب القصر والحصر والاختصاص؛ وفي الشواهد المذكورة قدم الخبر وأخر المبتدأ لتحقيق هذا الغرض البلاغي العظيم.

فالأسماء الحسنى -أي البالغة الحسن كماله وغايته- والمثل الأعلى، والوصف الأكمل لله وحده لا شريك له في ذلك ولا مثيل[5].

---

(1) فتاوى اللجنة الدائمة: (3/ 160).

(2) المرجع نفسه: (3/ 160).

(3) نواقض توحيد الأسماء والصفات، د. ناصر القفاري، (ص:7)

(4) مقرر التوحيد، د. عبد العزيز العبد اللطيف، (ص:56).

(5) نواقض توحيد الأسماء والصفات، د. ناصر القفاري، (ص:7).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: أركان توحيد الأسماء والصفات:

يقوم توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة على ركنين:

1- الإثبات: وهو إثبات ما أثبته الله ورسوله صلى الله عليه وسلم إثباتاً من غير تكييف ولا تمثيل.

2- النفي المتضمن إثبات كمال ضده: وهو نفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم مع إثبات كمال ضده؛ تنزيهاً لله عز وجل بلا تحريف أو تعطيل كما قال تعالى: [لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾] [الشورى:11]، [لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ]: نفي يتضمن إثبات عموم كمال الله -سبحانه-، [وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾] إثبات صفة السمع والبصر على ما يليق بجلاله -سبحانه-.

ففي الآية نفي المثل وإثبات الوصف[1].

قال شيخ الإسلام: إن الله -سبحانه- موصوف بالإثبات والنفي؛ فالإثبات كإخباره أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير ونحو ذلك، والنفي كقوله: [لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ] [البقرة:255] [2].

ومن القواعد المعلومة عقلاً، والمقررة سلفاً، والمؤيدة بنصوص الكتاب والسنة أن: كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده، ولتوضيح ذلك بمثال: قوله تعالى: [وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾] [الكهف:49]، يدل أولاً بدلالة المطابقة على نفي الظلم؛ ويدل ثانياً بدلالة التضمن على إثبات كمال العدل. وقوله تعالى: [لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ] [البقرة:255]، يدل على أمرين: الأول: نفي السنة والنوم، والثاني: إثبات كمال الحياة والقيومية؛

(1) نواقض توحيد الأسماء والصفات، د. ناصر القفاري، (ص:13).

(2) التدمرية: لشيخ الإسلام، (ص:57) تحقيق د. محمد السعوي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهكذا كل نفي يأتي في الكتاب والسنة فإنما هو لإثبات كمال ضده[1].

ثالثاً: مجمل اعتقاد أهل السنة في الأسماء والصفات:

يعتقد أهل السنة أن من الإيمان بالله -سبحانه- الذي أمر الله به ورسوله: الإيمان بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف[2]، ولا تعطيل[3]، ومن غير تكييف[4]، ولا تمثيل[5]، ولهذا فهم يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه -سبحانه- لا سمي له، ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه[6].

وخلاصة القول في مجمل اعتقاد أهل السنة في الأسماء والصفات أنه ينبني على القواعد الآتية[7]:

1- أنهم يثبتون أسماء الله وصفاته؛ كما وردت في الكتاب والسنة على ظاهرها؛ وما تدل عليه ألفاظها من المعاني، ولا يؤولونها عن ظاهرها، ولا يحرفون ألفاظها ودلالتها عن مواضعها.

2- ينفون عنها مشابهة صفات المخلوقين، كما قال تعالى: [لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾] [الشورى:11].

3- لا يتجاوزون ما ورد في الكتاب والسنة في إثبات أسماء الله وصفاته، فما أثبته الله ورسوله من ذلك أثبتوه، وما نفاه الله ورسوله نفوه، وما سكت عنه الله ورسوله سكتوا عنه.

4- يعتقدون أن نصوص الأسماء والصفات من المحكم الذي يفهم معناه ويفسر، وليست من المتشابه؛ فلا يفوضون معناها، كما ينسب ذلك إليهم من لم يعرف منهجهم..

5- يفوضون كيفية الصفات إلى الله تعالى ولا يبحثون عنها.

---

(1) نواقض توحيد الأسماء والصفات، د. ناصر القفاري، (ص:13).

(2) تغيير ألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير معانيها.

(3) التعطيل: تخلية الله -سبحانه- من صفاته؛ أي نفي صفاته وإنكار قيامها بذاته -سبحانه-.

(4) التكييف: أن يعتقد أن صفاته على كيفية كذا أو يسأل عنها بكيف.

(5) التمثيل: هو إثبات مثيل لله في ذاته أو صفاته.

(6) نواقض توحيد الأسماء والصفات، د. ناصر القفاري، (ص:8).

(7) عقيدة التوحيد، د. صالح الفوزان، (ص:79)،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رابعاً: بيان صحة مذهب أهل السنة في الأسماء والصفات:

قد يقول قائل: ما هو الدليل على صحة مذهب أهل السنة في الأسماء والصفات؟

فالجواب: الأدلة على ذلك كثيرة جداً، وهي مبسوطة في كتب العقائد، وليس هذا مجال تفصيلها[1]، لكن أقول باختصار: إن الأدلة على ذلك من وجهين:

أ- أدلة سمعية.

ب- أدلة عقلية.

أما الأدلة السمعية[2] فمن أدلتها:

1- قوله تعالى: [وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ] [الأعراف:180].

2- وقوله تعالى: [لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾] [الشورى:11].

3- وقوله: [وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ] [الإسراء:36].

فالآية الأولى: دلت على وجوب الإثبات للأسماء والصفات على ما يليق بالله -سبحانه- ويختص بعظمته.

والآية الثانية: دلت على وجوب نفي التمثيل تنزيهاً بلا تعطيل.. والإثبات بلا تشبيه..

والآية الثالثة: دلت على وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته ولا نفيه..

وكتاب الله -سبحانه- مليء بالشواهد، وقد استشهد شيخ الإسلام ابن تيمية بآيات كثيرة على صحة معتقد أهل السنة في الواسطية، وبدأ ذلك بقوله: «وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتاب الله وهي آية الكرسي.. ».

ثم مضى يسرد الآيات في أسماء الله وصفاته..[1].

---

(1) راجع: معارج القبول، حافظ حكمي، (1/ 60) (ص:252) وما بعدها، العقيدة الواسطية، شرح ابن عثيمين(1/ 60) وما بعدها، العقيدة في الله؛ د. عمر الأشقر، (ص:185) وما بعدها.

(2) السمعية: هي الكتاب والسنة، وسميت سمعية؛ لأنها تتلقى بالسماع.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما الأدلة العقلية[2] فهي كثيرة ومنها:

1- أن أسماء الله وصفاته من أمور الغيب، والقول فيما يجب منها لله أو يجوز أو يمتنع لا يدرك إلا بالسمع؛ فوجب اتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه والسكوت عما سكت عنه؛ ذلك أن الشيء لا يعلم إلا بمشاهدة نظيره أو بالخبر الصادق عنه.

2- أن نفي الصفات يستلزم نفي الذات؛ لأنه لا يتصور لدى كافة العقلاء وجود ذات مجردة عن الأسماء والصفات؛ ولذا برئ مذهب أهل السنة من التعطيل.

3- أنه يستحيل أن يكون الخالق كالمخلوق، والاتفاق في الاسم العام لا يقتضي التماثل عند الإضافة والتخصيص؛ فإنه قد علم بضرورة العقول أن الوجود فيه ما هو موجود قديم واجب بنفسه، وفيه ما هو محدث موجود ممكن بنفسه؛ فهذان الموجدان اتفقا في مسمى الوجود؛ فمن لم يثبت ما بين الموجودين من الاتفاق وما بينهما من الافتراق؛ لزمه أن تكون الموجودات كلها قديمة واجبة بأنفسها، أو محدثة ممكنة مفتقرة إلى غيرها.

وكلاهما معلوم الفساد بالاضطرار؛ فتعين إثبات الاتفاق من وجه والامتياز من وجه، ونحن نعلم أن ما امتاز به الخالق الموجود عن سائر الموجودات أعظم مما تمتاز به سائر الموجودات بعضها عن بعض؛ فإذا كان مثلاً (الملك) و(البعوضة) قد اشتركا في مسمى الوجود والحي مع تفاوت ما بينهما، فالخالق -سبحانه- أولى بمباينته للمخلوقات وإن حصلت الموافقة في بعض الأسماء والصفات؛ ولذا نزه أهل السنة مذهبهم من لوثة التكييف والتمثيل.

4- معرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة كيفية الذات؛ إذ الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها.. وخذ مثلين لذلك وهما: (الروح) و(نعيم الجنة) فمع ما ورد من أوصافهما فإن المرء عاجز عن إدراك كيفيتهما، وهما خلق من خلق الله[3].

5- أن أهل السنة يبنون مسألة الصفات على أمرين هامين:

الأول: الإيمان بكل ما ثبت في الكتاب والسنة الصحيحة على ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

---

(1) راجع: العقيدة الواسطية، لابن تيمية، شرح محمد خليل هراس، (ص:112) وما بعدها. وانظر: نواقض توحيد الأسماء والصفات، د. ناصر القفاري، (ص:18) وما بعدها.

(2) الأدلة العقلية: هي ما تدرك بالعقل، ويقال أيضاً: النظر والأثر، والعقل والنقل، ومن المعلوم أن العقل الصريح- وهو السالم من الشبهات والشهوات - لا يخالف النقل الصحيح، وقد تكلم شيخ الإسلام عن ذلك في كتابه (درء تعارض العقل والنقل).

(3) نواقص توحيد الأسماء والصفات، د. ناصر القفاري، (ص:20) وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثاني: نفي التشبيه والتمثيل عن كل وصف ثبت في كتابه أو سنة رسوله، فمن نفى وصفاً أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو معطل. ومعلوم أنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، ولا يصف الله بعد الله أعلم به من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: [ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ عز وجل أَمِ ٱللَّهُ] [البقرة:140].

ومن شبه ووصف ربه بصفات المخلوقين فهو مشبه ملحد؛ وكل تعطيل ناشئ عن التشبيه، ومن آمن بصفات ربه منزهاً له عن التشبيه والتمثيل بصفات الحوادث فهو مؤمن موحد سالم من ورطة التشبيه والتعطيل، جامع بين الإيمان والتنزيه، والدليل على ما ذكر قوله تعالى: [لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾] [الشورى:11]. فقوله: [لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ] نفي التمثيل، [وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾] فيه إثبات الصفات على الحقيقة اللائقة بجلاله وعظمته..

وإذا كان نافي الصفات يضطر إلى الاعتراف بأن الله -جل وعلا- ذات مخالفة لجميع الذوات؛ فعليه أن يعترف بأنه متصف بصفات لا يماثلها شيء من صفات المخلوقين، فصفاته تخالف صفاتهم كمخالفة ذاته -سبحانه- ذواتهم.

فإن قيل: يلزم من إثبات صفة الوجه واليد والاستواء ونحو ذلك مشابهة الخلق؟!

فالجواب: أن وصفه بذلك لا يلزم منه مشابهة الخلق؛ كما لم يلزم من وصفه بالسمع والبصر مشابهة الحوادث التي تسمع وتبصر؛ بل هو متصف بتلك الصفات التي هي صفات كمال وجلال، كما قال سبحانه: [لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾] [الشورى:11]، من غير مشابهة للخلق ألبتة، فهي ثابتة له حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله؛ كما أن صفات المخلوقين ثابتة لهم حقيقة على الوجه المناسب لهم؛ فبين الصفة والصفة من تنافي الحقيقة ما بين الذات والذات..

فإن قيل: بينوا لنا كيفية الاتصاف بها لنعقلها؟

قلنا: أعرفتم كيفية الذات المتصفة بها؛ فلا بد أن يقولوا: لا. فنقول: معرفة كيفية الصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات.

فإن قيل: هو ذات لا كالذوات، قلنا: وموصوف بصفات لا كغيرها من الصفات، فسبحان من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحاط بكل شيء علماً ولم يحط به شيء: [يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ] [البقرة:255] [1].

خامساً: الفرق الضالة في الأسماء والصفات:

الفرق الإسلامية في مجال الأسماء والصفات أشهرها ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: الجهمية، وهم أتباع الجهم بن صفوان، وهؤلاء ينكرون الأسماء والصفات جميعاً.

الفرقة الثانية: المعتزلة، وهم أتباع واصل بن عطاء، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري؛ وهؤلاء يثبتون الأسماء والصفات على أنها ألفاظ مجردة عن المعاني، وينفون الصفات كلها.

الفرقة الثالثة: الأشاعرة[2] والماتريدية[3]، ومن تبعهم وهؤلاء يثبتون الأسماء وبعض الصفات وينفون بعضها؛ أي: أنهم أثبتوا من الصفات سبعاً ونفوا ما عداها؛ والصفات السبع هي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

والشبهة التي بنوا عليها جميعاً مذاهبهم: هي الفرار من تشبيه الله بخلقه بزعمهم؛ لأن المخلوقين يسمون ببعض تلك الأسماء، ويوصفون بتلك الصفات، فيلزم من الاشتراك في الاسم والصفة ومعناهما: الاشتراك في حقيقتهما، وهذا يلزم منه تشبيه المخلوق بالخالق في نظرهم، والتزموا حيال ذلك أحد أمرين:

الأول: إما تأويل نصوص الأسماء والصفات على ظاهرها، كتأويل الوجه بالذات، واليد بالنعمة.

الثاني: وإما تفويض معاني هذه النصوص إلى الله، فيقولون: الله أعلم بمراده منها؛ مع اعتقادهم أنها ليست على ظاهرها.

والرد على هؤلاء جميعاً من وجوه:

الوجه الأول: أن الله ـــ أثبت لنفسه الأسماء والصفات، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم فنفيها عن الله أو نفي بعضها، نفي لما أثبته ورسوله، وهذا محاداة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(1) راجع: التدمرية: لشيخ الإسلام، (ص:57) تحقيق د. محمد السعوي، ومنهج دراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين الشنقيطي (ص:9) وما بعدها، و(ص:37) وما بعدها.

(2) هم أتباع أبي الحسن الأشعري- قبل رجوعه إلى مذهب السنة- ولم يرجعوا عما رجع عنه؛ فانتسابهم إليه غير صحيح؛ وحقيقة مذهبه في الأسماء والصفات بإمكانك قراءة كتابيه: الإبانة، ومقالات الإسلاميين.

(3) هم أتباع أبي منصور الماتريدي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوجه الثاني: أنه لا يلزم من وجود هذه الصفات في المخلوقين، أو من تَسَمِّيْ بعض المخلوقين بشيء من تلك الأسماء المشابهة بين الله وخلقه، فإن لله -سبحانه- أسماء وصفات تخصه، وللمخلوقين أسماء وصفات تخصهم؛ فكما أن لله -سبحانه- ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين، فله أسماء وصفات لا تشبه أسماء المخلوقين وصفاتهم، والاشتراك في الاسم والمعنى العام لا يوجب الاشتراك في الحقيقة.. فقد سمى الله نفسه سميعاً بصيراً فقال: [إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾] [النساء:58]، وسمى بعض عباده سميعاً بصيراً فقال: [إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾] [الإنسان:2]، وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير، وعلى مثله فقس..

الوجه الثالث: أن الذي ليس له صفات كمال، لا يصلح أن يكون إلهاً، ولهذا قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: [لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ] [مريم:42]، وقال في الرد على الذين عبدوا العجل: [أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾] [الأعراف:148].

الوجه الرابع: أن إثبات الصفات كمال، ونفيها نقص، فالذي ليس له صفات إما معدوم وإما ناقص، والله منزه عن ذلك.

الوجه الخامس: نقول للجهمي: إذا قال لنا: كيف استوى؟ أو كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ أو كيف يداه؟ أو كيف وجهه؟ ونحو ذلك، نقول له: كيف هو في ذاته؟ فإذا قال لك: لا يعلم ما هو إلا هو، وكنه الباري تعالى غير معلوم للبشر، فقل له: والعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف؛ فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة الموصوف و لم تعلم كيفيته.

بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، ولقد أخبر الله تعالى: [فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ] [السجدة:17].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه «**في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[1]. فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك لا يمكن العلم بكنهه فما ظنك بالخالق -سبحانه-؟!

وهذه الروح التي في بني آدم؛ قد يعلم العاقل اضطراب الناس فيها وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها؛ أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام بها في كيفية الله[2].

سادساً: ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته:

من ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته ما يلي:

1- التعرف على الله تعالى، فمن آمن بأسماء الله وصفاته ازداد معرفة بالله تعالى فيزداد إيمانه بالله يقيناً، ويقوي توحيده لله تعالى.

2- الثناء على الله بأسمائه الحسنى، وهذا من أفضل أنواع الذكر، قال تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾] [الأحزاب:41].

3- سؤال الله ودعاؤه بأسمائه وصفاته كما قال -سبحانه-: [وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا] [الأعراف:180]، ومثال ذلك أن يقول: اللهم إني أسألك بأنك الرزاق فارزقني..

4- السعادة والحياة الطيبة في الدنيا، ونعيم الجنة في الآخرة[3].

(1) أخرجه البخاري (3/ 1185، 4/ 1794، 6/ 2723)، ومسلم (4/ 2174).

(2) انظر: التدمرية: لشيخ الإسلام، (ص:43) تحقيق د. محمد السعوي.شرح ثلاثة أصول لابن عثيمين (ص:88)، عقيدة التوحيد، د. صالح الفوزان (ص:80)، وما بعدها، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، د. عمر الأشقر، (ص:220) وما بعدها.

(3) مقرر التوحيد، د. عبد العزيز العبد اللطيف، (ص:57).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث

الركن الثاني من أركان الإيمان

(الإيمـــــــان بالملائـكـــــــة)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيـــــــد

الإيمان بالملائكة جزء من الإيمان، فلا يتم إيمان المسلم إلا إذا آمن بوجـــودهم جملـــة، وبمـــن ورد ذكرهم في القرآن والسنة النبوية على وجه التفصيل؛ وبأعمالهم التي كلفهم الله إياها.

ووجوب الإيمان بالملائكة وكونه جزءاً من الإيمان وارد في نصوص كثيرة مـــن القـــرآن والســـنة النبوية -على ما سيأتي بيانه- ولذلك سأتناول الأمور الآتية في الإيمان بالملائكة في خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الملائكة.

المبحث الثاني: الإيمان بوجود الملائكة والرد على من أنكر وجودهم.

المبحث الثالث: الإيمان بأسماء من علمنا منهم.

المبحث الرابع: الإيمان بما علمنا من صفاتهم الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة.

المبحث الخامس: الإيمان بما علمنا من أعمالهم.

المبحث السادس: ثمرات الإيمان بالملائكة.

المبحث الأول: تعريف الملائكة لغة واصطلاحاً:

لغة: الملك واحد الملائكة، وهو مشتق من الألوكة وهي الرسالة.

وقيل: من لأك إذا أرسل. والملك أصله: ألك، والمألكة، والمألك: الرسالة، ومنه اشتق الملائكـــة؛ لأنهم رسل الله.

وقال بعض المحققين: الْـــمَلَك من الْـــمَلِك، قال: والمتولي من الملائكة شيئاً من السياسات يقـــال له: ملَك، ومن البشر ملِك.

اصطلاحاً: عالم نوراني لا نعرف كنهه (حقيقته) ولا كيفيته.

وقيل: جسم لطيف نوراني يتشكل بأشكال مختلفة[1].

المبحث الثاني: الإيمان بوجود الملائكة والرد على من أنكر وجودهم:

يجب الإيمان بوجود الملائكة؛ ويجب على المسلم -أيضاً- أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن لله ملائكـــة

---

(1) راجع: لسان العرب مادة (ملك). فتح الباري، لابن حجر (6/ 376)، العقيدة الصافية، سيد عبد الغني (ص:67) عالم الملائكة الأبرار، د. عمر الأشقر، (ص:7).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

موجودين مخلوقين من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظائف الله تعالى التي أمرهم الله بالقيام بها..

فهم نوع من مخلوقات الله عز وجل لا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم؛ وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله -سبحانه- وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان، ولا تحريف، قال تعالى: [ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ] [البقرة:285]، وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب ا عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان قال صلى الله عليه وسلم : «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[1].

فوجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن يلحقه شك، ومن هنا كان إنكار وجودهم كفراً بإجماع المسلمين؛ بل بنص القرآن العظيم: [وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾] [النساء:136].

وقد أنكر قوم كون الملائكة أجساماً؛ وقالوا: إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات.. وهذا نص قول أحدهم حيث يقول: إن إلهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي صلى الله عليه وسلم وقد أسندا إلى هذه العوالم الغيبية، وخواطر الخير تسمى إلهاماً، وخواطر الشر تسمى وسوسة؛ كل منهما محله الروح؛ فالملائكة والشياطين إذن أرواح تتصل بأرواح الناس، فلا يصح أن تمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا.. ويتابع فيقول: أفلا تزعم أن لله ملائكة في الأرض وملائكة في السماء؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم على يمنيك ومن يكون منهم على يسارك؟ هل ترى أجساهم النورانية تضيء لك الظلام؟ أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام؟ فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك، وأن الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك؛ وبالعبارة التي تلقنتها عنهم؛ كيلا يوحشك بما يدهشك وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب (1) تعريف الإسلام..(1/ 37) حديث رقم (1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجوه تعرفها، أفلا يكون ذلك أروح لنفسك وأدعى إلى طمأنينة عقلك...[1].

والرد على هذا القول من وجوه:

الأول: أن في هذا تكذيب لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: [ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ] [فاطر:1]، وقوله تعالى: [وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ] [الأنفال:50].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ا قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة، يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام؛ طووا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر**»[2].

وهذه النصوص صريحة أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية كما قال البعض.. وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون[3].

الوجه الثاني: أن علم الإنسان قاصر عن كشف حقائق الوجود وعوالمه؛ فكم من حقائق ظهرت بعد أن كانت في عالم الخفاء، حيث أصبحت حقائق ملموسة لا يشك الإنسان بوجودها.. كالجاذبية وعالم الجراثيم.. وحواس الإنسان الآن غير مؤهلة بخلقتها الحالية لإدراك حقائق هذه العوالم على صورها الأصلية، فلو أعطانا الله قوة في البصر، أو انتقلت هذه العوالم عن صورها التي خلقت عليها، بالتمثيل الذي جعلت قادرة عليه لأمكن عندئذ رؤيتها رأي العين، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته التي خلق عليها مرتين كما في سورة النجم وذلك بقدرة من الله..[4].

الوجه الثالث: أن ضعف الإنسان ومحدودية إدراكه تجعله والحالة هذه لا يجزم بوجود شيء أو

---

(1) انظر: تفسير المنار(1/ 267، 273) وقائل هذا القول هو الأستاذ محمد عبده، نقله عنه تلميذه محمد رشيد رضا.

(2) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب: الاستماع إلى الخطبة (31) (1/ 122) ومسلم في كتاب الجمعة باب: فضل التهجير يوم الجمعة (7) (1/ 587) حديث رقم (24).

(3) شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين (ص:93).

(4) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، د. عبد الكريم عبيدات، (ص:122)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نفيه؛ وبتصوره أو عدم تصوره، من عالم الغيب والمجهول، ومن أسرار هذا الوجود وقواه، لمجرد أنه خارج عن مألوفنا العقلي، أو تجاربنا المشهودة، ونحن لم ندرك بعد كل أسرار أجسامنا وأجهزتها وطاقاتها؛ فضلاً عن إدراك أسرار عقولنا وأرواحنا!!

وقد تكون هنالك أسرار ليست داخلة في برنامج ما يكشف لنا عن كنهه؛ فلا يُكْشَف لنا إلا عن صفته أو أثره كالملائكة أو الجن مثلاً- أو مجرد وجوده؛ لأن هذا لا يفيدنا في حياتنا وعبادتنا وطاعتنا لله[1]..

المبحث الثالث: الإيمان بأسماء من علمنا منهم (أي الملائكة):

يجب على المسلم أن يؤمن بالملائكة وبأسمائهم وصفاتهم التي وردت في الكتاب والسنة الصحيحة؛ ومن ذلك الإيمان باسم جبريل وميكائيل: [مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾] [البقرة:98]، وإسرافيل الذي ينفخ في الصور، ومالك خازن النار: [وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾] [الزخرف:77]، وغيرهم من الملائكة؛ ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً[2].

المبحث الرابع: الإيمان بما علمنا من صفاتهم الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة:

لم يخبرنا الخالق -جل وعلا- عن صفات الملائكة الخَلْقية إلا النزر القليل، ومن ذلك:

1- أنهم خلقوا قبل آدم، قال تعالى: [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾] [البقرة:30].

2- المادة التي خلقوا منها هي النور؛ فقد أخرج مسلم عن عائشة ل أن رسول الله صلى الله

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/ 3271).

(2) راجع: عالم الملائكة الأبرار، د. عمر الأشقر (ص:20).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه وسلم قال: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج[1] من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[2]، يعني الطين.

3- لهم القدرة على التشكل في صورة البشر بإذن الله تعالى: [وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾] [مريم:16-17].

وورد في الأحاديث أن جبريل جاء يعلم الصحابة دينهم وكان على هيئة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر[3]؛ بل ورد أن جبريل كان يأتي على صورة الصحابي (دحية الكلبي).

4- ومن صفاتهم الخلقية التي أخبرنا عنها القرآن: أن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقد تزيد [ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾] [فاطر:1]، وقد روى ابن مسعود ا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح[4].

5- عظم خلق الملائكة، عن جابر بن عبد الله -ب- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله، من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[5].

6- لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة، قال تعالى: [فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ

---

(1) المارج: اللهب المختلط بسواد النار.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الزهد باب (10) في أحاديث متفرقة (3/ 2294) حديث رقم (60).

(3) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب (1) تعريف الإسلام (1/ 37)، حديث رقم (1).

(4) رواه البخاري في كتاب التفسير باب (1) سورة النجم (6/ 50).

(5) رواه أبو داود في كتاب السنة باب (19) في الجهمية، (5/ 96) حديث رقم (4727)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (3/ 895) حديث رقم (3953).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾] [الصافات:149-156].

والعجب أن العرب يؤثرون البنين على البنات، ويعدون ولادة الأنثى محنة، ويعدون الأنثى مخلوقاً أقل رتبة من الذكر؛ ثم هم الذين يدعون أن الملائكة إناث؛ وأنهم بنات الله: [فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾] [الصافات:149] أإذا كان الإناث أقل رتبة كما يدعون ويزعمون؛ فلم جعلوا لربهم البنات واستأثروا هم بالبنين؟! أو اختار الله البنات وترك لهم البنين! إن هذا أو ذاك لا يستقيم، فاسألهم عن هذا الزعم المتهافت السقيم.

ولذلك رد الله عليهم هذا الزعم: [مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾] [الصافات:154-155] ومن أين تستمدون السند والدليل على الحكم المزعوم؟!: [أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾] [الصافات:156-157] [1].

7- لا يأكلون ولا يشربون، قال تعالى: [فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾] [هود:70]، فإبراهيم عليه السلام أوجس منهم خيفة؛ لأنهم لم يأكلوا فخاف منهم، ولو عرف أنهم ملائكة؛ لما فعل ذلك وأحضر الطعام لهم[2]، ونقل السيوطي عن الفخر الرازي: أن العلماء اتفقوا على

(1) راجع: في ظلال القرآن، سيد قطب، (5/ 3000).

(2) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (18/ 25).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون[1]. هذه بعض أهم الصفات الخَلْقية التي أخبرنا الله عن الملائكة في كتابه أو أخبرنا الرسول عنهم في سنته..

وخلاصة القول: فالنصوص في مجموعها تدل على أن الملائكة مخلوقات نورانية، ليست أجساماً مادية تدرك بالحواس الإنسانية، وأنهم ليسوا كالبشر: فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزاوجون، مطهرون من الشهوات الحيوانية، ومترهون عن الآثام والخطايا، ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التي يتصف بها ابن آدم[2].

أما عن صفاتهم الخُلُقية: فهم كرام بررة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، مطيعون لربهم على قدر كبير من الحياء، والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة ل: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[3].

والآيات والأحاديث تزخر بصفات كثيرة لهم ليس هذا مجال تفصيلها..

المبحث الخامس: الإيمان بما علمنا من أعمالهم وهو ما يعبر عنه بقولنا: علاقة الملائكة بالكون والإنسان:

علاقة الملائكة بالكون والإنسان علاقة وثيقة؛ وذلك أنهم يقومون بتنفيذ إرادة الله -جل وعلا- وتدبير أمور الكون ورعايته، بكل ما فيه من مخلوقات، وما فيه من حركة ونشاط، وما فيه من حياة وجماد، وما فيه من قوانين ونواميس، وإنفاذ قدره وفق قضائه في هذه المخلوقات كلها، وتنفيذ إرادته -سبحانه- في مراقبة وتسجيل كل ما يحدث في الكون من حركات إرادية وغير إرادية، فهم الموكلون بالسموات والأرض، وكل حركة في العالم تدخل في اختصاصهم كما أراد خالقهم تبارك وتعالى، كما قال -سبحانه-: [فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥] [النازعات:5]، وقال: [فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤] [الذاريات:4]، قيل: هي الملائكة مدبرات كل ما يوكل إليها من الأمور.

وقال ابن كثير: «هي الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض، يعني: بأمر ربها عز وجل ولم يختلفوا في هذا.. »[4].

---

(1) عالم الملائكة الأبرار، (ص:18).

(2) الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، (ص:43).

(3) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب (3) من فضائل عثمان (2/ 1866) حديث رقم (36).

(4) تفسير ابن كثير(4/ 551).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إذن الملائكة لهم دور في تدبير الأمور بأمر من الله؛ ولذلك نجد أن علاقتهم بالكون والإنسان وما وكلهم به على أقسام:

1- فمنهم الموكل بالوحي من الله إلى رسله عليهم الصلاة والسلام وهو جبريل الأمين: [قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ] [النحل:102].

2- ومنهم الموكل بالقطر -المطر- وتصاريفه حيث أمره الله عز وجل وهو ميكائيل عليه السلام ، وهو ذو مكانة عالية ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز وجل .

3- ومنهم الموكل بالصور والنفخ فيه وهو إسرافيل عليه السلام .

4- ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، قال تعالى: [قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾] [السجدة:11].

وقال: [حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾] [الأنعام:61].

ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وترحاله، وفي نومه ويقظته، وفي كل حالاته، وهم المعقبات، قال تعالى: [لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ] [الرعد:11]، وقال: [وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً] [الأنعام:61]، قال ابن عباس ب: والمعقبات من الله هم الملائكة، يحفظونه من بين يديه ومن خلقه، فإذا جاء قدر الله تخلوا عنه. وقال مجاهد: ما من عبد إلا وله ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه إلا قال الملك وراءك إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه[1].

5- ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر، وهم الكرام الكاتبون، قال تعالى: [إِذْ

(1) راجع: تفسير ابن كثير: (2/ 620).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾] [ق:17-18]، وقال: [وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾] [الانفطار:10-12].

6- ومنهم الموكل بفتنة القبر...

7- ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليه السلام ..

8- ومنهم خزنة جهنم ومقدمهم مالك: [وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾] [الزخرف:77].

9- ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم، كما في حديث ابن مسعود ا قال: «**حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد..**»[1].

10- ومنهم حملة العرش الذين قال الله فيهم: [ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ] [غافر:7]، [وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾] [الحاقة:17].

11- ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر كما ورد في الأحاديث الصحيحة..[2].

12- ومنهم الموكل بالجبال، وقد ثبت ذكره في حديث خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف.. وما قاله له أهل الطائف، وفيه قول ملك الجبال: «**إن شئت أن أطبق عليهم**

---

(1) رواه البخاري في كتاب القدر باب (1) في القدر، (7/ 210)، ومسلم في كتاب القدر باب (1) كيفية خلق الآدمي، (3/ 2036) حديث رقم (1).

(2) راجع: صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء باب (1) فضل الاجتماع..، (3/ 2074) حديث رقم (37).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأخشبين»[1][2].

المبحث السادس: ثمرات الإيمان بالملائكة:

قبل ذكر ثمرات الإيمان بالملائكة أحب أن أذكر هذه اللطيفة التي ذكرها بعض المؤلفين، وهي أننا نلحظ في جميع النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، التي تخبر عن وجوب الإيمان بالملائكة نجد أن الإيمان بالملائكة مقدم في كل هذه النصوص على الإيمان بالكتب السماوية والرسل صلوات الله عليهم، فليس معنى هذا التقدم أنه نوع من التفضيل، فليس هناك من الملائكة على الإطلاق -بما فيهم جبريل عليه السلام - من هو أفضل من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو من الرسل.

ولكن التقديم ها هنا: في هذه النصوص للملائكة والرسل؛ لأنه لا يحدث ولا يقع إيمان بالكتب السماوية إلا بعد الإيمان بالملائكة؛ لأن الكتب تنزل عن طريقهم؛ فكان الإيمان بهم من البدهي قبل الإيمان بما يأتون به من عند الله تعالى.

وكذلك الرسل؛ فلا يؤمن أحد من البشر برسول إلا وهو يعلم أن الله بعث هذا الرسول، وكلفه عن طريق الملائكة؛ فكان الإيمان بالرسل يستلزم الإيمان بالملائكة؛ الذين هم الواسطة بين الرسل وبين الله تعالى؛ ولهذا كان تقديمهم وتقديم الإيمان بهم على الكتب والرسل[3].

إذن نستطيع أن نقول: الإيمان بالملائكة يثمر الآتي:

1- الإيمان بعظمة الله وقدرته الذي يخلق ملائكة من نور ذوي أجنحة مثنى وثلاث ورباع.

2- أن الإنسان ضعيف مسكين، ولكن الله وكل له ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه؛ تغطية لضعفه وشداً من أزره..

3- أن الإنسان يتذكر عندما يريد أن يعصي الله أن على يمينه وشماله ملائكة يكتبون سيئاته وحسناته، فإذا تذكر ذلك استحى من الله ومن ملائكته؛ ويدل لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : «**ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة...**»[4].

4- الصبر على طاعة الله، والشعور بالأنس والطمأنينة عندما يوقن المؤمن أن معه في هذا الكون

---

(1) الأخشبان: جبلان بمكة يحيطان بها، والأخشب هو الجبل الغليظ.

(2) الحديث أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب (7) إذا قال أحدكم.. (4/ 83)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب (39) ما لقي النبي -ﷺ- (2/ 1420)، حديث رقم (111).

(3) العقيدة الصافية للفرقة الناجية، سيد سعيد عبد الغني، (ص:69).

(4) سبق تخريجه (ص 67).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفسيح ألوفاً من الملائكة تقوم بطاعة الله على أحسن حال وأكمل شأن.

5- الانتباه إلى أن هذه الحياة فانية لا تدوم حين يتذكر ملك الموت المأمور بقبض الأرواح حين يتوفاه الله؛ ومن ثم فلا تستحق هذه الحياة الدنيا أن يشغل بها الإنسان عن الآخرة، ويكفيه منها المتاع الطيب الحلال الذي أباحه الله[1].

(1) راجع: ركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:188)، مقرر التوحيد، د. عبد العزيز العبد اللطيف، (ص:70)، الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، (ص:57).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع

الركن الثالث من أركان الإيمان

(الإيمـــــــان بالكتب)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيد

الركن الثالث من أركان الإيمان هو الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، فكما أن الله قد أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقد أنزل كتبه من قبل على سائر الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده؛ وهذه الكتب فيها هداية ورحمة للمرسل إليهم..

وسأتناول في الإيمان بالكتب النقاط الآتية؛ وذلك في سبعة مباحث على الوجه الآتي:

المبحث الأول: تعريف الكتب.

المبحث الثاني: الإيمان بهذه الكتب إجمالاً.

المبحث الثالث: الإيمان بما سمي لنا على وجه الخصوص.

المبحث الرابع: الإيمان بأن القرآن ناسخ لجميع هذه الكتب.

المبحث الخامس: تحريف الكتب السابقة؛ وأمثلة على هذا التحريف.

المبحث السادس: القرآن مزاياه – تعاليمه – القرآن هو الكتاب الذي تصح نسبته إلى الله – القرآن كلام الله – مكانة القرآن في نفس المؤمن.

المبحث السابع: ثمرات الإيمان بالكتب.

المبحث الأول: تعريف الكتب:

الكتب لغة: جمع كتاب بمعنى مكتوب. والكتب صحف ضم بعضها إلى بعض.

والكتاب مصدر سمي به المكتوب، وهو في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها[1].

أما تعريفها شرعاً فهي: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليخرج بها من يشاء من الظلمات إلى النور[2].

وقيل: هي كلام الله أوحى بها إلى رسله – عليهم الصلاة والسلام – عن طريق جبريل عليه

---

(1) لسان العرب، فصل (كتب)، والعقيدة الصافية، سيد عبد الغني، (ص:81).

(2) المدخل إلى الثقافة الإسلامية، مجموعة مؤلفين، (ص:127).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السلام ؛ وذلك ليبلغوه للناس ليكون حجة لله على خلقه[1].

المبحث الثاني: الإيمان بهذه الكتب إجمالاً:

لقد أوجب الله تعالى الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها على رسله، ما ذكرها لنا في القرآن الكريم وما لم يذكرها لنا؛ وذلك على السواء، نؤمن بها أنها كلام، تكلم بها حقيقة كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد.

والإيمان بهذه الكتب ركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان العبد إلا بالإيمان بها قال تعالى: [ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ] [البقرة:285]، وحديث جبريل المشهور حين سأله عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[2]، ثم إن الله حكم في كتابه بالكفر على من لا يؤمن بهذه الكتب أو آمن ببعضها وكفر ببعض؛ إذ ليس هناك فرق بين هذه الكتب، فكلها منزلة من عند الله تعالى ويجب الإيمان بها على السواء وبدون تفريق إيماناً جازماً صحيحاً لا شك فيه ولا ريب، قال تعالى: [وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾] [النساء:136]، وقال تعالى: [إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾] [النساء:150-151].

وخلاصة القول[3]: إن مفهوم هذه الآيات وأمثالها... هو الإيمان بالكتب السماوية كلها أمر واجب لا يتم إيمان المرء إلا به.

---

(1) العقيدة الصافية للفرقة الناجية، سيد سعيد عبد الغني، (ص:81).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (1) تعريف الإسلام والإيمان، (1/ 37) حديث رقم (1).

(3) ركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:193).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وذلك أمر بدهي بالنسبة للمؤمن، فما دام يؤمن بالله ويصدق ما نزل من عنده من الوحي، وما دام الله يخبره في كتابه الكريم أنه قد أنزل كتباً سابقة على الأنبياء والرسل؛ فالواجب أن يؤمن بهذه الكتب المنزلة، ويعتقد يقيناً أنها منزلة من عند الله.

ولو شك في هذه الحقيقة أو كذب بها فهل يكون مؤمناً على الإطلاق؟!

وكيف يكون مؤمناً بالله حقاً وهو يكذب خبراً آتياً إليه من عند الله.

كذلك لو قال: إنه يؤمن ببعض الكتب أنها منزلة من عند الله حقاً، ويشك أو يكذب أن غيرها من الكتب منزل من عند الله، فهل يكون مؤمناً بالله ولو زعم ذلك؟

إن من بين دعائم الإيمان التصديق، فكيف يوجد الإيمان إذا كذب الإنسان حرفاً واحداً مما أخبره الله به؟

وما قيمة دعواه أنه مؤمن بالله، أو مؤمن ببعض الكتب التي أنزلها الله؟! إنها دعوى مردودة على صاحبها؛ لأن الدليل العملي يكذبها...

ثم إن الكتب السماوية كلها تحتوي على حقيقة واحدة هي الأمر بعبادة الله وحده..

المبحث الثالث: الإيمان بما سمي لنا من هذه الكتب على وجه الخصوص:

يجب أن نؤمن بهذه الكتب السماوية؛ ومن الإيمان أن نؤمن بما سمي لنا منها على وجه الخصوص: كالتوراة والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، قال تعالى: [ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ] [آل عمران:2-4]، وقال تعالى: [إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩] [الأعلى:18-19].

أما ما لم نعلم اسمه من هذه الكتب فنؤمن به إجمالاً.

المبحث الرابع: الإيمان بأن القرآن ناسخ لجميع هذه الكتب:

شاء الله تعالى أن ينسخ الكتبَ السابقة كلها، ويترل كتابه الأخير ليبقى في الأرض إلى قيام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الساعة وهو القرآن.

وكان كل رسول من السابقين يرسل إلى قومه خاصة، بينما بعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى البشرية كافة، قال تعالى: [قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾] [الأعراف:158].

وكذلك كانت الكتب السابقة تنزل لأقوام معينين بينما أنزل القرآن للناس كافة: [وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾] [القلم:52].

لذلك اقتضت مشيئة الله أن ينسخ هذا الكتاب الكامل ما سبقه من الكتب جميعاً ويهيمن عليها: [وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ] [المائدة:48].

و لم يعد يقبل من أحد أن يستمسك بما سبق من الكتب ويرفض القرآن: [قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ] [المائدة:68]، قال ابن كثير: قل يا محمد [قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ] أي: من الدين [حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ] أي: حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها ومما فيها الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان بمبعثه، والاقتداء بشريعته، ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى: [وَمَآ أُنزِلَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ] يعني: القرآن العظيم[1].

ثم إن إقامة التوراة والإنجيل بالنسبة لأهل الكتاب المخاطبين بهذه الآية معناها: الإقرار بوحدانية الله؛ ذلك أن التوراة والإنجيل المنزلين من عند الله يقرران هذه الوحدانية تقريراً جازماً، ولكن أهل الكتاب حرفوهما. فالمطلوب منهم هو إقامتها مرة أخرى؛ أي الرجوع إلى أصل التوحيد. ثم إن التوراة والإنجيل قد ذكرا محمداً صلى الله عليه وسلم وأمرا باتباعه عند ظهوره؛ فإقامتهما معناها: الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وما نزل عليه من وحي.. أي الإسلام: [إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ] [آل عمران:19]، [وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾] [آل عمران:85].

وعن أبي هريرة ا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[2][3].

المبحث الخامس: تحريف الكتب السابقة، وأمثلة على هذا التحريف:

لم يتعهد الله سبحانه بحفظ أي من الكتب السابقة سوى القرآن الكريم؛ بل أخبر في آخر كتبه وهو القرآن عن التحريف الذي وقع على تلك الكتب، فعن التحريف والتغيير الذي أدخله اليهود عن التوراة قال سبحانه: [أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾] [البقرة:75]، وقال تعالى أيضاً: [مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ]

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير – عمدة التفسير – اختصار وتحقيق: أحمد شاكر (1(711).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب (70) وجوب الإيمان... (1/ 134) حديث رقم (240).

(3) ركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:202).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[النساء:46]، وقال: [فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ] [المائدة:13].

وتقصد هذه الآيات ما أشارت إليه عدد من الأحاديث النبوية ومنها:

عن البراء بن عازب قال: مُرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمماً[1] مجلوداً، فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال: «**هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ فقالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك. نجده حد الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع. فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل : [** يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ] [المائدة:41]، يقولون: **ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: [** وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾] [المائدة:44]، [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ

(1) أي مسود الوجه من الحممة، الفحمة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿٤٥﴾] [المائدة:45]، [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾] [المائدة:47]»[1].

فهذا مثال واضح على التحريف المتعمد من اليهود..

أما إنجيل النصارى فهو -أيضاً- لم يسلم من التحريف والتبديل، قال تعالى: [فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾] [البقرة:79].

ويعترف النصارى بأن الإنجيل كتاب نزل من عند الله على عيسى عليه السلام إلا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بهذا الإنجيل كاملاً أو ناقصاً ولا حتى بصورة منه، والأناجيل الموجودة الآن ليست هي النص المطابق للإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام ؛ لأن الإنجيل الصحيح كان قد فقد الكثير منه -إن لم يكن كله- قبل كتابة الأناجيل الموجودة حالياً، وذلك لما لحق بالنصارى في ذلك الوقت -وكانوا قلة- من قتل وتحريق وتعذيب وتشريد، مما كان له أثر في ضياع الإنجيل المترل على عيسى عليه السلام وقد أدى قلة عددهم وخوفهم من العذاب واستتارهم بدينهم ومن ثم تقلص الدعوة وعدم ذيوعها وشيوعها بين بني إسرائيل.

وقد أثبت المحققون من العلماء أن الكتاب المقدس (الجامع للعهدين القديم والجديد) ليس لأي سفر من أسفارهما سند متصل، يصحح نسبة ذلك السفر إلى من نسب إليه من الأنبياء أو الرسل أو غيرهم[2].

المبحث السادس: القرآن الكريم:

القرآن لغة: مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآناً، قال الشاعر:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب (26) ليعرفونه..)(4/ 186)، ومسلم في كتاب الحدود باب (6) رجم اليهود..، (3/ 1327) حديث رقم (1700).

(2) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد العمار، (ص:437)، (ص:467).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أي: يقطع الليل قراءة للقرآن.

والأصل في هذه اللفظة (القرآن) الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته، وسمي القرآن بذلك؛ لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض، ومنه قوله تعالى: [إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾] [القيامة:17]، أي: جمعه وقراءته[1].

أما تعريفه شرعاً فهو: كلام الله بلفظه ومعناه، أنزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة أمينه جبريل، وهو الذي بين دفتي المصحف، يبدأ بالفاتحة، وينتهي بسورة الناس[2].

[مزاياه:

ولأن القرآن كلام الله تعالى المترل على قدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو معظم عند المسلم، ويسعى المسلم للتمسك بأحكامه وتلاوته وتدبره..

وحسب المسلم أن هذا القرآن هو هاديه في الدنيا، وسبب فوزه في الآخرة.

وللقرآن الكريم مزايا كثيرة وخصائص متعددة ينفرد بها عن الكتب السماوية السابقة، منها:

1- أن القرآن قد تضمن خلاصة الأحكام الإلهية، وجاء مؤيداً ومصدقاً لما جاء في الكتب السابقة من الأمر بعبادة الله وحده، قال تعالى: [وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ] [المائدة:48].

ومعنى: (مصدقاً لما بين يديه) أي: يصدق هذا القرآن ما في هذه الكتب من الصحيح، ومعنى: (مهيمناً عليه) أي: مؤتمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب[3].

إذن القرآن يتمثل الحق في صدوره من جهة الألوهية، وهي الجهة التي تملك حق تترل الشرائع وفرض القوانين..ويتمثل الحق في محتوياته، وفي كل ما يعرض له من شئون العقيدة والشريعة، وفي كل ما يقصه من خبر، وما يحمله من توجيه.

---

(1) لسان العرب مادة (قرأ).

(2) العقيدة الصافية للفرقة الناجية، سيد سعيد عبد الغني، (ص:93).

(3) مقرر التوحيد، د. عبد العزيز العبد اللطيف، (ص:73).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ] هو الصورة الأخيرة لدين الله، وهو المرجع الأخير في هذا الشأن، والمرجع الأخير في منهج الحياة وشرائع الناس، ونظام حياتهم، بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل.

ومن ثم فكل اختلاف يجب أن يرد إلى هذا الكتاب ليفصل فيه، سواء كان هذا الاختلاف في التصور الاعتقادي بين أصحاب الديانات السماوية، أم في الشريعة التي جاء هذا الكتاب بصورتها الأخيرة، أم كان هذا الاختلاف بين المسلمين أنفسهم، فالمرجع الذي يعودون إليه بآرائهم في شأن الحياة كله هو هذا الكتاب، ولا قيمة لآراء الرجال ما لم يكن لها مستند من هذا الكتاب العظيم.. وهذه من أعظم مزايا القرآن الكريم..[1].

2- أن هذا القرآن يجب على جميع الناس التمسك به، ويتعين على جميع الخلق اتباع القرآن والعمل به، بخلاف الكتب السابقة فهي لأقوام معينين، قال تعالى: [وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ] [الأنعام:19].

3- أن الله تكفل بحفظ القرآن الكريم، فلم تمتد إليه يد التحريف، ولا تمتد إليه، كما قال: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩] [الحجر:9] [2].

[تعاليمه:

تعاليم القرآن الكريم هي تشريع إلهي كامل؛ وهذه التعاليم تسمو فوق كل تعاليم؛ وفوق كل تشريع وضعي عرفه البشر في القديم والحديث..

فتعاليم القرآن الكريم هي التي وضحت أصول العقائد، وأحكام العبادات، وقوانين الفضائل والآداب، وقواعد التشريع الاقتصادي، والسياسي، والمدني، والاجتماعي، وهو الذي نظم حياة الأسرة، والمجتمع، ووضع أعدل المبادئ الإنسانية الكريمة التي ينادى بها دعاة الإصلاح.. ألا وهي المساواة، وعدم العنصرية.. ونظرة واحدة إلى سورة الحجرات تعرف مدى سمو التعاليم القرآنية الفريدة.

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (2/ 902).

(2) للتوسع راجع: خصائص القرآن الكريم، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ففي العقائد -مثلاً- دعا القرآن إلى عقيدة واضحة سامية هي الإيمان بالله، والتصديق بجميع رسله، والإيمان بجميع الكتب السماوية، وأن تعاليم القرآن ناسخة لما سبق كله، قال تعالى: [ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ] [البقرة:285].

وفي العبادات جاءت تعاليم القرآن العظيم بأسس العبادات ودعائمها، فشرعت الصلاة والصيام، والحج، والزكاة، وسائر أعمال البر والطاعة، وليست العبادة في الإسلام قاصرة على هذه الدعائم والأركان؛ بل هي تشمل كل عمل خير، وفعل بر وطاعة، ولهذا فإن العلماء قرروا أن كل عمل يقصد به الإنسان وجه الله يكون عبادة، وقالوا: إن النية الصالحة تقلب العادة إلى عبادة، فإذا عمل الإنسان واحترف له صنعة بقصد التعفف عن الحرام والإنفاق على أهله وعياله، وإذا أكل أو شرب بقصد التقوي على طاعة الله؛ كان عمله عبادة يثاب عليها، والأصل في هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : «**وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى اللقمة تضعها في فيّ -فم- امرأتك**..»[1]، قال ابن حجر في الفتح نقلاً عن ابن دقيق العيد: « فيه أن الثواب في الإنفاق مشروط بصحة النية وابتغاء وجه الله، وهذا عسر إذا عارضه مقتضى الشهوة؛ فإن ذلك لا يحصل الغرض من الثواب حتى يبتغي به وجه الله، وسبق تخليص هذا المقصود مما يشوبه.. وقد يكون فيه دليل على أن الواجبات إذا أديت على قصد أداء الواجب ابتغاء وجه الله أثيب عليها»[2].

وخلاصة القول: إن أصول العبادات المفروضة وسعها القرآن ونوعها وجعلها ضروباً متفاوتة، فمنها ما هو (عبادات مالية) كالزكاة والصدقات، ومنها ما هو (عبادات بدنية) كالصلاة والصيام، ومنها ما هو يجمع بين الأمرين (عبادات مالية وبدنية) كالجهاد في سبيل الله يكون بالمال والنفس؛ وهذا التنويع له مغزاه وحكمته السامية؛ وذلك لئلا تألف النفس شيئاً فتصبح لها عادة، أو تمل وتضجر من العبادة الواحدة..

أما تعاليم القرآن في مجال التشريع العام فنجد أن القرآن العظيم قد وضع قواعد عامة في التشريع المدني والجنائي والسياسي والاقتصادي، ففي المعاملات حرم القرآن أكل أموال الناس بالباطل: [

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا باب (2) حديث رقم (2742) البخاري مع الفتح (7/ 264)، وأخرجه مسلم في كتاب الوصية باب (1) الوصية بالثلث(2/ 1250) حديث رقم (5).

(2) فتح الباري لابن حجر (7/ 270).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ] [النساء:29]، فالنداء في تعاليم القرآن هو للذين آمنوا، مما يوحي بتطهير المعاملات المالية من كل رواسب الباطل ويحث على ذلك باستجاشة ضمائر المسلمين بهذا النداء [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] فتعاليم القرآن تحرم جميع الحيل لأكل أموال الناس بالباطل بكل طريقة لتداول الأموال فيما لم يأذن به الله أو نهى عنه، ومن ذلك: الغش والرشوة، والقمار، واحتكار الضروريات لإغلائها وجميع أنواع البيوع المحرمة وفي مقدمتها الربا.

وكل معاملة فيها أكل لأموال الناس بالباطل؛ فهي توحي بالآثار المدمرة التي ينشئها أكل أموال الناس بالباطل في حياة المسلمين؛ إنها عملية قتل..؛ لأنه لا تروج وسائل أكل أموال الناس بالباطل في مجتمع: بالربا أو الغش، أو القمار، أو الاحتكار أو التدليس، أو الاختلاس، أو الاحتيال، أو الرشوة، أو السرقة، أو بيع ما ليس يباع، كالعرض، أو الذمة، أو الضمير، أو الخلق أو الدين، مما تعج به الجاهليات القديمة والحديثة سواء؛ إلا وقد كتب على هذه الأمة أن تقتل نفسها وتتردى في هاوية الدمار[1].

وكذلك نجد أن تعاليم الإسلام وضعت أساساً للتعامل الدولي في حالة السلم والحرب، على أكمل وجه وأعدل نظام، قال تعالى: [وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾] [البقرة:190]، وقال تعالى: [فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَـٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾] [النساء:90].

وفي الأمور الجنائية بينت تعاليم القرآن الحدود، وأوجب القرآن على الأمة تنفيذها من أجل حماية المجتمع وصيانته من الفوضى والاضطراب.. وقد نصت تعاليم القرآن على أمهات الجرائم، ووضع القرآن لكل منها عقوبات مقدرة لا يجوز الزيادة عليها أو النقصان منها، أو التساهل في تطبيقها..

وخلاصة القول: إن تعاليم القرآن هي تشريع إلهي لا تشريع بشري؛ لأن التشريع الإلهي هو

(1) راجع: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2/ 639).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التشريع الوحيد المبرأ من نتائج الهوى الإنساني، والضعف الإنساني، والرغبة الإنسانية في النفع الذاتي، وفي تحقيق ذلك النفع عن طريق التشريع لشخص المشرع أو لأسرته، أو لطبقته، أو لشعبه، أو لجنسه.. فواضع هذا التشريع هو الله -سبحانه- رب البشر أجمعين، فهو لا يشرع ليحابي نفسه ولا ليحابي طبقة من البشر على طبقة! ولا ليحابي شعباً على شعب ولا ليحابي جنساً على جنس!.

والتشريع البشري الذي يصنعه فرد حاكم، أو أسرة حاكمة أو طبقة حاكمة، أو أمة حاكمة، أو جنس حاكم.. يستحيل -بحسب فطرة الإنسان- أن يتجرد عن الهوى، ومن مراعاة مصلحة واضع التشريع.

فأما حين يكون تشريع الله وتعاليم القرآن هي التي تحكم حياة البشر، فتنتفي هذه الصفة ويتحقق العدل الحقيقي الشامل الكامل الذي لا يملكه تشريع آخر من تشريعات البشر أن يحققه في صورته هذه؛ لأنه ليس بين هذه التشريعات كلها ما يمكن أن يتجرد من عوامل الهوى الإنساني، والضعف الإنساني، والحرص على المصلحة الذاتية في صورة من الصور[1].

[القرآن هو الكتاب الذي تصح نسبته إلى الله:

الحق الذي لا يماري فيه منصف أنه لا يوجد اليوم على ظهر الأرض كتاب تصح نسبته إلى الله -سبحانه- سوى القرآن الكريم؛ يدل على هذه الحقيقة أدلة حسية من حفظه وعدم اختلافه في كل مكان وعلى مدار الأزمان؛ فضلاً عما أخبر به القرآن عن التحريف الواقع في الكتب الموجودة، ومن الأدلة على صحة نسبة القرآن إلى الله الأدلة الآتية:

أولاً: أن الكتب التي نزلت قبل القرآن، قد ضاعت نسخها الأصلية، و لم يبق في أيدي الناس إلا تراجمها، أما القرآن فإنه لا يزال محفوظاً بسورة وآياته وكلماته وحركاته، كما تلاه جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما تلاه رسول الله على صحابته -رضوان الله عليهم-.

ثانياً: أن هذه الكتب قد اختلط فيه كلام الله بكلام الناس: من تفسير وتأريخ وسير الأنبياء وتلاميذهم، واستنباطات الفقهاء، فلا يعرف فيها كلام الله من كلام البشر. وأما القرآن فهو جميعه كلام الله و لم يختلط به غيره من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أو أقوال الصحابة أو غيرهم.

ثالثاً: أن تلك الكتب ليس منها كتاب تصح نسبته إلى الرسول الذي ينسب إليه، فليس لأي منها

---

(1) انظر: هذا الدين، سيد قطب. (ص:21).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سند تأريخي موثوق، فالأسفار الموجودة ضمن ما يسمى بالعهد القديم، ويطلق عليه التوراة، إنما دونت بعد موسى عليه السلام بقرون عديدة[1].

وأما القرآن الكريم فهو كتاب الوحيد الذي ثبتت نسبته بصورة قطعية إلى الرسول الذي أوحي إليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فقد نقل هذا الكتاب بسورة وآياته، وطريقة ترتيبها، وكيفية تلاوته إلى كل عصر جاء بعد عصر نزوله، بالتواتر، بحيث لا يشك في أن القرآن الذي نتوله هو الذي نزله الله على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم [2].

رابعاً: ومن الأدلة على وقوع التحريف في تلك الكتب تعدد نسخها واختلافها فيما نقلته من الأقوال والآراء[3].

وقد أثبت المحققون من العلماء أن الكتاب المقدس (الجامع للعهدين القديم والحديث) ليس لأي سفر من أسفارهما سند متصل يصح نسبة ذلك السفر إلى من نسب إليه من الأنبياء أو الرسل أو غيرهم.

وقد أثبتوا وجود نسبة كبيرة من الأغلاط والأخطاء التاريخية فيها، والتناقضات بين نصوصها، وقد أقر النصارى أنفسهم أولهم وآخرهم أن هذه الأناجيل تواريخ ألفها أربعة رجال معرفون في أزمان مختلفة، والأناجيل المعتبرة عند النصارى أربعة هي: إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، وهذه الأناجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس، وتقرها الفرق المسيحية، وتأخذ بها، لكونها تشمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم، والصلب والفداء وغير ذلك.

وبالنظر السريع إلى ما ورد في الأناجيل يتضح التناقض بينهما وبين التوراة من جهة وبين كل إنجيل وإنجيل من جهة أخرى؛ بل في الإنجيل الواحد يظهر التضارب والتباين[4].

خامساً: ومن القرائن القاطعة على وقوع التحريف في هذه الكتب -عدا القرآن الكريم- ما تضمنته من العقائد الفاسدة والتصورات الباطلة عن الخالق -سبحانه-، وعن رسله الكرام -عليهم السلام- فإنك تجد فيها تشبيه الخالق بالإنسان، والقدح بالأنبياء بما يمس شرفهم ويتنافى مع عصمتهم[5].

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في سفر التكوين الإصحاح الثاني الصفحة الخامسة: «إن الله خلق

---

(1) الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، (ص:85).

(2) الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، (ص:86).

(3) المرجع نفسه، (ص:87).

(4) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد العمار، (ص:469-470).

(5) الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، (ص:87).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السموات في ستة أيام، واستراح في اليوم السابع وكان في السبت، فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً» هكذا الإله في هذه الكتب المحرفة إله يصاب بالتعب والنصب كالبشر، ولا يقوى على العمل بدون راحة، إنها فرية رد عليها القرآن الكريم بقوله: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾] [ق:38][1].

قال الحسن وقتادة: قالت اليهود: إن الله خلق الخلق في ستة أيام واستراح يوم السابع، وهو يوم السبت، يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2] رداً عليهم.

أما عن الأنبياء فتتحدث هذه الكتب المحرفة عن نوح عليه السلام أنه سكر وتعرى داخل خبائه حتى ظهرت عورته[3]، وتتحدث عن لوط أنه سكر وزنى بابنتيه حتى حملتا منه سفاحاً[4]، وتتحدث عن سليمان عليه السلام أنه من أجل شهوته أحب نساءه أكثر من ربه، وأشرك في آخر حياته[5]، وتتحدث عن هارون عليه السلام أنه صانع العجل الذهبي الذي عبده بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر[6].

وفي هذا دلالة قاطعة على تحريف هذه الكتب التي لم تلتزم الأدب مع أنبياء الله ورسله -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- ولا نجد مثل هذا في القرآن الكريم؛ بل نجد الثناء العاطر على الرسل جميعاً [ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾] [البقرة:285].

[القرآن كلام الله:

---

(1) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، (ص:443).

(2) التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي (26/ 313).

(3) سفر التكوين، الإصحاح التاسع (ص:15).

(4) سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر، (ص:29).

(5) سفر الملوك الأول، الإصحاح الحادي عشر، (ص:553).

(6) سفر الخروج، الإصحاح الثاني والثلاثون، (ص:139).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القرآن كلام الله تعالى وليس بمخلوق، كما زعمت بعض الفرق، أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليه السلام .

أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه، وقد تكلم به الله على الحقيقة اللائقة به قال تعالى: [وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ] [التوبة:6]، والدليل على أنه منزل من عند الله قوله تعالى: [تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١] [الفرقان:1].

والدليل على أنه غير مخلوق، قول الله عز وجل : [أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ] [الأعراف:54]، وقد دلت هذه الآية الكريمة على أن الخلق غير الأمر، ولو كان الأمر يندرج تحت الخلق لذكر الله عز وجل الخلق وحده، وكونه جل شأنه يذكر الأمر بعد الخلق فهذا دليل واضح وبين على أن الأمر مغاير ومخالف للخلق.

والقرآن الكريم يندرج تحت الأمر وليس تحت الخلق، وذلك بنص كتاب الله تعالى فقد جاءت آيات كثيرة تشير إلى أن القرآن الكريم أمر الله أنزله إلى عباده، قال تعالى: [وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا] [الشورى:52]، وقال: [ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ] [الطلاق:5]، ويتضح من ذلك أن القرآن الكريم كلام الله، وصفة من صفاته، وهو الذي تولى حفظه، ولا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه.

إن من يقول بخلق القرآن الكريم فقد افترى على الله الكذب؛ فإن المخلوق له بداية ونهاية، ويأتي عليه البلى، ويجوز عليه التغيير والتحريف، ويحكم عليه بالفناء، وحاشا القرآن الكريم أن تعتريه هذه الصفات التي هي من خصائص المخلوقين[1].

ومما يدل على أن القرآن كلام الله معجز بلفظه أن كل محاولات الإتيان بمثله باءت بالفشل قديماً وحديثاً، فمنذ فترة من الزمن ظهر على (الإنترنت) كلام مسجوع من تأليف عربي لا يدين بالإسلام، يعيش في أمريكا، يحاول فيه أن يقلد النسق القرآني، من حيث تقسيم الكلام إلى عبارات مسجوعة تنتهي بحرف الميم أو النون مسبوقة بمد يائي أو واوي، وظن المسكين أنه قد أتى بما لم تستطعه

(1) العقيدة الصافية للفرقة الناجية، سيد سعيد عبد الغني، (ص:97-98).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأوائل، كما قال الشاعر:

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

كما ظن أنه بعمله هذا قد أبطل التحدي الذي تحدى الله به الإنس والجن حين قال ـ: [قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾] [الإسراء:88]، وكأنه يقول: هأنذا أنا قد أتيت بمثله! وإذاً قد أبطلت التحدي، وأبطلت دعوى الإعجاز القرآني الذي قامت عليه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .. وإذاً فالإسلام ليس من عند الله، إنما هو صناعة بشرية قام بها محمد صلى الله عليه وسلم ..

ولعل المسكين لم يعلم أن مسيلمة الكذاب قد قام بمثل هذا العمل من قبل، وأتى بسجعات مثل سجعاته قال: إنها مثل القرآن.

ومر الزمن وبطلت سجعات مسيلمة، وبقي القرآن يتحدى الإنس والجن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[1].

وللرد على مسيلمة الحديث والقديم نذكر نماذج من قرآن مسيلمة لِنُرِيَ القارئ – الكريم– هذه الأضحوكة الساذجة.

يقول مسيلمة في قرآنه: «والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، رفيقكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والناعي فواسوه».

ومن قرآنه: «والفيل وما أدراك ما الفيل، له زلوم طويل» وكان يقول: « والليل الدامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسد من رطب ولا يابس».

وكان يقول: «ياضفدع يا بنت الضفدعين، نقي لكم تنقين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء وذنبك في الطين»، وكان يقول: «ولنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن

(1) لا يأتون بمثله، محمد قطب، (ص:7).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قريشاً قوم يعتدون»[1].

وقد ذكر ابن كثير عن عمرو بن العاص أنه وفد إلى مسيلمة في أيام جاهليته، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم في هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة، فقال: وما هي؟ قال: أنزل عليه: [وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣] [العصر:1-3]، قال: ففكر مسيلمة ساعة ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل عليّ مثلها، فقال له عمرو: وما هي؟ فقال مسيلمة: «يا وبر يا وبر، إنما أنت إيراد وصدر، وسائرك حفر نقر» ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم إني أعلم أنك تكذب.

ومن هذا الكلام السخيف الركيك أراد مسيلمة أن يعارض كتاب الله تعالى ويحاكيه، فكان أضحوكة العالم أجمع؛ والذين اتبعوه من الأعراب إنما هو للعصبية الجاهلية كما عبر بعضهم حين قال: «كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر»[2].

[مكانة القرآن في نفس المؤمن:

للقرآن في نفس المؤمن مكانة ليست لأي كتاب آخر على الإطلاق.

فالقرآن هو كلام الله المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته، وكفى بذلك تعظيماً في نفوس المؤمنين.

فالمؤمن من يعظم ربه ابتداءً؛ فيعظم من ثم كل شيء يأتيه من عند ربه، فكيف بكلام ربه المنزل، الموجه إليه ليهديه سواء السبيل، وينير قلبه وطريقه، ويهديه خير الدنيا والآخرة؟

إن الكتاب الذي يصلني من مؤلف قدير في مادته؛ يكون عزيزاً عندي بمقدار ما أعرف عن ذلك المؤلف من مكانة في العلم. فكيف بكتاب رب العالمين القادر المقتدر العليم الحكيم؟!

وإن الكتاب الذي يعطيني جزءاً صغيراً من المعلومات، وفي باب واحد من أبواب المعرفة يكون عزيزاً عندي بمقدار فائدتي منه، فكيف بالكتاب الذي يحوي الخير كله ويدل عليه؟

وإن الكتاب الذي يقدمه إليّ أستاذي، وأعلم أن قراءتي له ستزيد درجاتي عنده أكون حريصاً على قراءته بقدر ما يزيدني من درجات وعلامات، فكيف بالكتاب الذي تكون تلاوته تعبداً يرفع

---

(1) إعجاز القرآن، للباقلاني، (ص:157).

(2) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (6/ 331) تحقيق د. أحمد أبو ملحم وزملاؤه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

درجاتي عند الله؟

ولله المثل الأعلى في السموات والأرض.

إنه لا يوجد كتاب في تأريخ البشرية كله نال من المكانة في نفوس أصحابه كما نال القرآن في نفوس المؤمنين.

ولا يوجد كتاب قرئ وحفظ في تأريخ البشرية بقدر ما قرئ هذا الكتاب، ولا عجب أن سماه رب العالمين «القرآن» فهو الكتاب المقروء الذي لا تفتر قراءته في ليل أو نهار في صلاة أو ذكر أو حلقة درس أو ترتيل[1].

إن لتلاوة القرآن الكريم وحفظه وتعهده بالقراءة من الفضل ما لا يخفى، ويكفي لإثبات ذلك ما جاءت به الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة وآثار الصحابة رضوان الله عليهم:

1- فمن الآيات قوله تعالى: [إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾] [فاطر:2930]، وقد كان قتادة ا إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القراءة؛ لما أثبته لهم من الأجر العظيم والثواب المضاعف، فهم لا ينعمون بالأجر وافياً، وإنما يزيدهم الله إكراماً وفضلاً.

2- قد ربط الله تعالى بين تلاوة القرآن والإيمان به؛ فقال عز وجل : [ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾] [البقرة:121][2].

(1) ركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:208).

(2) موسوعة نضرة النعيم (4/ 1181).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

3- والقرآن زاد للمسلم، قال تعالى: [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥] [المزمل:1-5].

والقول الثقيل هو هذا القرآن وما وراءه من التكليف.. والقرآن في مبناه ليس ثقيلاً فهو ميسر للذكر، ولكنه ثقيل في ميزان الحق، ثقيل في أثره في القلب...

إن قراءة القرآن والكون ساكن في هذا زاد لكل مسلم؛ لأن القرآن ينير القلب ويعصمه من وسوسة الشيطان ومن التيه في الظلمات في هذه الحياة[1].

أما الأحاديث في فضل قراءة القرآن فهي كثيرة جداً، نأخذ منها على سبيل المثال فقط ما يلي:

1- عن أبي هريرة ا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**احشدوا[2]، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقرأ: [قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١] [الإخلاص:1] ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى أن هذا خبراً جاءه من السماء، فذاك الذي أدخله. ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إني قلت لكم: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن»**[3].

2- وعن أبي هريرة -أيضاً- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات[4] عظام سمان؟ قلنا: نعم، قال: ثلاث آيات يقرأ بها أحدكم في صلاة خير له من ثلاث خلفات سمان**»[5].

3- وعن ابن عباس ب قال: «**بينما جبريل** عليه السلام **جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: إن هذا الباب من السماء قد فتح،**

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/ 3745).

(2) أي: اجتمعوا واستحضروا والناس.

(3) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب (45) فضل القرآن حديث رقم (261) (1/ 557).

(4) خلفات: الخلفات الحوامل من الإبل إلى أن يمضي عليها نصف أمرها. ثم هي عشار.

(5) أخرجه مسلم في كتاب المسافرين باب (فضل قراءة القرآن) (41) (1/ 552) حديث رقم (250).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك، قال: فإن هذا الملك قد نزل، ما نزل إلى الأرض، قال: فجاء الملك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه، وقال: يا محمد، أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهن نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيته»[1].

4- وعن أبي أمامة الباهلي ا قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**اقرءوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرءوا الزهراوين**[2]: **البقرة وسورة آل عمران. فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان؛ أو كأنهما غيايتان**[3]؛ **أو كأنهما فرقان من طير صواف**[4]، **تحاجان عن أصحابهما**[5]، **اقرءوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها**[6] **تستطيعها**[6] **البطلة**»[7].

5- وعن ابن مسعود ا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[8].

مع هذا الفضل العظيم عرف السلف رضوان الله عليهم قيمة القرآن، والأجر المترتب على تلاوته؛ فحرصوا أشد الحرص على الارتباط به ليلاً ونهاراً.

فهذا جندب ا يقول: «أوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم بالقرآن؛ فإنه نور بالليل المظلم، وهدىً بالنهار، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة»[9].

وعن ابن عباس ب قال: «من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: [ثُمَّ

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في كتاب المسافرين باب (43) فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة (1/ 554) حديث رقم (254).

(2) الزهراوين: البقرة وآل عمران، سميتا بذلك لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما.

(3) كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان، قال أهل اللغة: الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه: سحابة وغبرة وغيرهما. قال العلماء: المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين.

(4) الفرقان: قطيعان وجماعتان.

(5) أي: تدافعان الجحيم والزبانية. وهو كناية عن المبالغة في الشفاعة.

(6) أي: لا يقدر على تحصيلها.

(7) الحديث أخرجه مسلم في كتاب المسافرين باب (42) فضل قراءة حديث رقم (252) (1/ 553).

(8) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب (16) فيمن قرأ حرفاً من القرآن، (5/ 175) حديث رقم (2910)، وصححه وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (3/ 9) حديث رقم (2327).

(9) موسوعة نضرة النعيم (4/ 1228).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥] [التين:5] [إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] [التين:6] قال: الذين قرءوا القرآن»[1][2].

قال أبو عبد الله البوشنجي في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : «**لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار**» والحديث صحيح[3]. قال: معناه أن من حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار[4].

وعن عائشة ل قالت: «القرآن أكرم من أن يزيل عقول الرجال»[5].

ومن العجب أن السلف كانوا يتحدثون عن المدة التي يقرأ فيها الإنسان القرآن، أو في كم يقرأ القرآن؟ قال الإمام النووي /: «ينبغي لحامل القرآن أن يحافظ على تلاوته، ويكثر منه ليلاً ونهاراً،سفراً وحضراً، وقد كان للسلف منهم عادات مختلفة فيما يختمون فيه القرآن:

فكان جماعة يختمون في كل شهرين ختمة، وآخرون في كل شهر ختمة، وآخرون في كل عشر ليال ختمة، وآخرون في كل ثمان ليال ختمة، وآخرون في كل سبع ليال ختمة، وهذا فعل الأكثرين..»[6].

فإذا كان هذا حال السلف في قراءتهم للقرآن ومداومتهم عليه، وحرصهم على قراءته كاملاً وختمته في مدة معينة؛ فما بالك بمن لا يقرأه إلا في رمضان، أو بمن يقرأ من الكتب الهابطة أحياناً أكثر مما يقرأ من القرآن.. وقد حدث في زماننا كثيراً، وأخشى أن ينطبق علينا قول نبينا لربه عز وجل : [وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠] [الفرقان:30] [7].

والهجر المقصود به هنا في ضوء ما ذكره المفسرون أن هجر القرآن له جانبان:

أحدهما: يتعلق بالقرآن دون أخذ له، وهذا صنيع الكفار والمنافقين.

---

(1) رواه في الترغيب والترهيب (2/ 355) قال المنذري: رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

(2) موسوعة نضرة النعيم (4/ 1228).

(3) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (4/ 155).

(4) سير أعلام النبلاء (13/ 584).

(5) موسوعة نضرة النعيم (4/ 1226).

(6) صلاح الأمة في علو الهمة، د. سيد العفاني، (3/ 23).

(7) موسوعة نضرة النعيم، (11/ 5691، 5692).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثاني: يتعلق بالقرآن بعد الإقرار بأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا صنيع بعض المسلمين الذين لا يقرءون القرآن، أو يقرءونه لا يجاوز حناجرهم، فلا يعملون به، ومن هؤلاء صنف يحفظ القرآن أو شيئاً منه ثم يهجر القراءة حتى ينسى ما قد يكون حفظه منه..

ولذلك ذكر ابن حجر أن النسيان بعد الحفظ من الكبائر، وقال بأن ذلك هو ما ذهب إليه الرافعي وغيره، ونقل عن بعض العلماء أن محل كون نسيان القرآن كبيرة عند من قال به مشروط بأن يكون عن تكاسل وتهاون، وهذا احتراز عما لو اشتغل عنه بمرض مانع من القراءة، وعدم التأثيم بالنسيان حينئذ واضح؛ لأنه مغلوب عليه لا اختيار له فيه[1].

وللأسف إن هذا القرآن يجهله أهله اليوم؛ لأنهم لا يعرفونه إلا تراتيل وترانيم وتعاويد وتهاويم؛ أو يعرفونه في افتتاحيات القنوات الفضائية.. وهذا سببه الكيد اللئيم، والجهل المزري، والفساد الشامل للفكر والقلب...

إن هذا القرآن المهجور اليوم هو بصائر تهدي، ورحمة تفيض.. لمن يؤمن به، ويغتنم هذا الخير العميم: [هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾] [الأعراف:203] بصائر تكشف وتنير، وهدى يرشد ويهدي، ورحمة تغمر وتفيض لقوم يؤمنون؛ فهم الذين يجدون هذا كله في هذا القرآن الكريم..[2].

المبحث السابع: ثمرات الإيمان بالكتب:

أولاً: العلم بعناية الله تعالى وكمال رحمته حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به، ويحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

ثانياً: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم ويلاءم أشخاصهم، كما قال عز وجل : [لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا] [المائدة:48].

ثالثاً: شكر نعمة الله تعالى في إنزال الكتب؛ فهذه الكتب نور وهدى في الدنيا والآخرة، ومن ثم يتعين شكر الله على هذه النعم العظيمة.

رابعاً: عبادة الله على بصيرة.

---

(1) موسوعة نضرة النعيم (11/ 5691، 5692).

(2) راجع في ظلال القرآن، سيد قطب، (3/ 1421، 1424).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خامساً: العيش مع القرآن، والتعبد بتلاوته وحفظه، والعمل به، وإقامة حدوده، وتربيـــة النفـــوس بحسب أوامره وتوجيهاته[1].

(1) انظر: مقرر التوحيد، د. عبد العزيز العبد اللطيف، (ص:75)، والمدخل إلى الثقافة الإسلامية، مجموعة مؤلفين، (ص:131).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الخامس

الركن الرابع من أركان الإيمان

(الإيمـــــــان بالرسل)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيد

الإيمان برسل الله ركن من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد إلا بالإيمان بالرسل جميعاً على وجه الإجمال وعلى وجه التفصيل؛ ومن أنكر واحداً منهم من الذين ذكرهم الله في القرآن كان كافراً.. على ما سيأتي تفصيله، ولذلك سوف أتناول في الإيمان بالرسل النقاط الآتية على وجه مختصر؛ وذلك في ستة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: تعريف الإيمان بالرسل، والفرق بين الرسول والنبي.

المبحث الثاني: وجوب الإيمان بالرسل، والواجب علينا نحو الرسل.

المبحث الثالث: مهمة الرسل ووظائفهم.

المبحث الرابع: حاجة البشر إلى الرسل.

المبحث الخامس: خصائص الرسالة المحمدية.

المبحث السادس: أثر الإيمان بالرسل.

المبحث الأول: تعريف الإيمان بالرسل والفرق بين الرسول والنبي:

الإيمان بالرسل هو: التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، والكفر بما يعبد من دونه، وأنهم جميعاً مرسلون صادقون، قد بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، منهم من أعلمنا الله باسمه، ومنهم من استأثر الله بعلمه[1].

والرسول في اللغة: المرسل، والإرسال هو التوجيه، فإذا بعثت شخصاً في مهمة فهو رسولك، ورسالة الرسول ما أمر بتبليغه عن الله، ودعوته الناس إلى ما أوحي إليه[2].

أما النبي لغة: فهو مشتق من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: [عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢] [النبأ:1-2]، وإنما سمي النبي نبياً؛ لأنه مُخْبَر، ومُخْبِر، أي: أن الله أخبره وأوحى إليه، ومُخْبِر؛ أي: يخبر عن الله تعالى وحيه وأمره، وقيل: النبوة مشتقة من النبوة، وهي ما

(1) ركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:255)، الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر (ص:14)، مقرر التوحيد، د. عبد العزيز العبد اللطيف، (ص:77).

(2) انظر: لسان العرب، مادة (رسل) (5/ 211).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ارتفع من الأرض[1].

أما الرسول والنبي في الاصطلاح فالمشهور: أن الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، أما النبي هو من أوحي إليه و لم يؤمر بالتبليغ.

وعلى ذلك فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

وقيل: إن الرسول من أرسل إلى قوم كفار؛ كنوح وهود، وموسى، والنبي من أرسل إلى قوم مؤمنين كأنبياء بني إسرائيل مثل: زكريا ويحيى.

وعلى هذا فالنبي والرسول كل منهما مرسل؛ يدل لهذا قوله تعالى: [وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ] [الحج:52].

ولعل الراجح هو: أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي: هو المبعوث لتقرير شرع من قبله[2].

المبحث الثاني: وجوب الإيمان بالرسل؛ والواجب علينا نحو الرسل:

الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان؛ فلا يعتبر الإنسان مسلماً ولا مؤمناً حتى يؤمن بأن الله قد أرسل للبشر رسلاً من أنفسهم يبلغونهم الحق المنزل إليهم من ربهم، ويبشرونهم وينذرونهم، ويبينون لهم حقيقة الدين؛ كذلك الإنسان لا يكون مسلماً ولا مؤمناً حتى يؤمن بالرسل جميعاً، لا يفرق بين أحد منهم، وأنهم جميعاً جاءوا بالحق من عند الله، والأدلة على ذلك:

1- [لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ عز وجل وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ] [البقرة:177].

2- [قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾] [آل عمران:84].

---

(1) لسان العرب، مادة (نبأ) (14/ 10).

(2) راجع: الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر (ص:14) وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

3- [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦] [النساء:136].

[إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢] [النساء:150-152].

وفي حديث جبريل المشهور: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**» قال: «**ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**»[1].

ويتبين لنا من النصوص السابقة -وأمثالها كثير في القرآن والسنة- أن الإيمان بالرسل ركن أساس من أركان الإيمان، لا يتم إسلام المرء إلا به، وأنه يستوي عند الله من أنكر الرسل جميعاً، ومن أنكر واحداً منهم بعينه، فالمنكرون كلهم عند الله كفار، إنما المؤمن هو الذي يؤمن بالرسالات جميعاً وبالرسل جميعاً دون تفريق.

وإذا سألنا أنفسنا: لماذا أوجب الله الإيمان بالرسل، وجعله ركناً من أركان الإيمان، و لم يكتف -سبحانه- وتعالى من البشر بوجوب الإيمان به وحده، مع أن الإيمان بالله هو أساس كل شيء، وعبادته هي غاية كل شيء؟ فالإجابة على هذا السؤال واضحة، فكيف يعرف الإنسان ربه المعرفة الحقة إلا عن طريق الرسل؟ وكيف يعبده العبادة الحقة إلا بإرشادهم؟

انظر إلى ضلالات البشرية في جاهلياتها المختلفة؟

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب (1) تعريف الإيمان (1/ 37) حديث رقم (1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مرة تصورته في قرص الشمس كما فعلت الجاهلية الفرعونية، ومرة تصورته في النار الملتهبة كما فعلت الجاهلية الفارسية، ومرة تصورته على هيئة بشر ذي خصائص فائقة كما فعلت الجاهلية اليونانية والرومانية.

ولا يقل عن ذلك ضلالاً ما تصورته الجاهليات المختلفة من وجود أرباب صغيرة مع رب الأرباب، تقوم ببعض اختصاصه -سبحانه- فإله للمطر، وإله للبرق وإله للرعد، وإله للريح..

[مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ] [الزمر:3]. والسبب هي أن هذه الجاهليات استرشدت بخيالها وأهوائها وعلمها القاصر، و لم تأخذ الحق من طريقه الصحيح المعتمد من عند الله، وهو طريق الرسل الموحى إليهم بالحق[1].

إذن هنا تكمن أهمية الإيمان بالرسل؛ وأنه يستحيل للبشرية -كما يثبت لك الواقع التاريخي- أن تهتدي إلى الحق في شأن الألوهية وفي شأن العبودية إلا عن طريق ذلك المصدر الموثق وهم الرسل المرسلون من عند الله[2].

أما الواجب علينا نحو الرسل فهو الآتي:

1- يجب علينا تصديق رسل الله جميعاً، بعد الإيمان بهم وبرسالتهم وأن لا نفرق بينهم، فمن فرق بين رسل الله، فآمن ببعضهم وكفر بالآخرين، أو صدق بعضهم وكذب بعضاً، كان من الكافرين، بنص القرآن الكريم، قال الله تعالى [إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا] [النساء:151].

2- كما يجب علينا أن نؤمن أن كل رسول أرسله الله أدى أمانته، وبلغ رسالته على الوجه الأكمل، وبينها بياناً واضحاً كافياً.

---

(1) ركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:225)، وما بعدها.

(2) المصدر السابق (ص:227).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

3- كما يجب علينا طاعتهم وعدم مخالفتهم؛ لأن ذلك من طاعة الله: [مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ] [النساء:80] [وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ] [النساء:64].

4- كما يجب علينا أن نعتقد بأنهم أكمل خلقاً وعلماً وعملاً وفضلاً وصدقاً، وأن الله ميزهم بفضائل لا تتوفر لغيرهم، وأنه عصمهم، ونزههم عن الكذب والخيانة والكتمان.

5- كما يجب علينا أن نؤمن بأن رسل الله جميعاً كانوا رجالاً من البشر فلم يكونوا من الملائكة، ولم يبعث الله أنثى: [وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم] [يوسف:109].

5- كما يجب علينا أن نؤمن أن الله ــ لم يخصهم بطبائع أخرى غير الطبائع البشرية، وإنما اختارهم سبحانه من الرجال، الذين يأكلون ويشربون، ويمشون في الأسواق، وينامون ويجلسون ويضحكون ولهم أزواج وذرية، ويتعرضون للأذى وتمتد إليهم أيدي الظلمة، وينالهم الاضطهاد، وأنهم يموتون، وقد يقتلون بغير حق، وأنهم يتألمون، ويصيبهم المرض، وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص مراتبهم العالية بين الخلق، [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَـٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾] [آل عمران:411].. [وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ] [الفرقان:02]..

[وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلاً مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَاجًا وَذُرِّيَّةً] [الرعد:83].

7- كما يجب علينا أن نؤمن أنهم لا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية، فلا يتصرفون في الكون، ولا يملكون النفع أو الضر، ولا يؤثرون في إرادة الله، ولا يعلمون الغيب إلا أن يطلعهم الله عليه: [قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ عز وجل لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾] [الأعراف:188].

8- كما يجب علينا أن نؤمن بأن الله أيدهم بالمعجزات الباهرات والآيات الظاهرات؛ الدالة على صدقهم فيما جاءوا به..

9- كما يجب أن نؤمن أن أفضلهم على الإطلاق هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وأنهم يتفاضلون في المنازل عند الله: [۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ] [البقرة:253] [1].

المبحث الثالث: مهمة الرسل ووظائفهم:

1- إن المهمة الأولى والوظيفة الكبرى هي هداية البشرية إلى معرفة الخالق وتوحيده؛ لأن الفطرة البشرية بذاتها تعرف وجود الخالق وتتجه إليه بالعبادة، ولكنها كثيراً ما تضل، فتتصور الخالق على غير حقيقته، وتشرك معه آلهة أخرى، ومن ثم يرسل الله الرسل ليعرفوا البشر بحقيقة خالقهم، وينفوا عن عقولهم ونفوسهم التصورات الباطلة عن الله ــ وما يترتب عليها من انحرافات في الفكر والسلوك، وليعالجوا بصفة خاصة قضية الشرك، وهي أشد ما يتعرض له البشر من انحراف في تصورهم للخالق وسلوكهم نحوه، يقول الرسل جميعاً لأقوامهم: [ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ] [الأعراف:59]، [وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾] [الأنبياء:25].

2- المهمة والوظيفة الثانية: هي تعريف الناس بالمنهج الحق الذي تستقيم به حياتهم في الدنيا، وينالون به رضوان الله في الآخرة، وذلك بتبليغ ما أوحى الله به إليهم، وشرحه وبيانه، وتعريف الناس بطريقة تطبيقه وتدريبهم على ذلك، كما يفعل المعلم مع تلاميذه حتى يطمئنوا أن أتباعهم قد وعوا ما أنزل الله وعياً صحيحاً، وطبقوه التطبيق الصحيح.

ولا تقتصر مهمة الرسل على التعريف والتعليم؛ على ما لهذا الأمر من أهمية بالغة في حياة الناس؛ بل تمتد إلى التربية. فليس دون الله معلومات تلقى ثم تحفظ. إنما هو سلوك عملي بمقتضى التعليم

(1) بتصرف من كتاب الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، (ص:63) وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرباني، والسلوك العملي لا يكتسب فجأة، ولا يكتسب بغير جهد يبذله المربي والمتلقي على حد سواء..

ووسيلة الرسل في تربية أتباعهم وتقويم نفوسهم تقوم على الآتي:

أ- تبدأ من ذات أنفسهم -أي الرسل- بأن يكونوا هم أنفسهم القدوة الكاملة في كل ما يدعون الناس إلى اتباعه. سئلت عائشة ل عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «**كان خلقه القرآن**»[1]، [وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾] [القلم:4].

ب- التربية تحتاج إلى الصبر والحلم وسعة الصدر: [وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ] [الكهف:28].

ج- تحتاج تربية الناس إلى التذكير الدائم: [وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾] [الذاريات:55].

د- تحتاج إلى معايشة الناس ومصاحبتهم وملازمتهم لا العزلة والانقطاع عنهم، حتى تقدم التوجيهات والتعليمات في المناسبات، وتتم الملاحظة والمتابعة المطلوبة التي لا بد منها؛ حتى يستقيم الناس على الحق المطلوب، وتكون هناك فرصة لبذر العادات الصالحات في نفوسهم.. وهذا ما شاهدناه في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وتحتاج التربية -أيضاً- إلى معرفة بطبائع النفوس ومداخلها لتقديم التوجيه المناسب لها بالطريقة التي تقومها ولا تنفرها: «**حدثوا الناس بما يعرفون**»[2]، «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة**»[3][4]..

3- ومن مهام الرسل ووظائفهم كذلك: تعريف الناس بالحقائق الحقيقية التي تستحق الاعتبار،

---

(1) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب (18) جامع.. حديث رقم (139) (1/ 512).

(2) أخرجه البخاري في كتاب العلم با ب (49) من خص بالعلم. (1/ 41).

(3) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب (12) من جعل لأهل العلم.. (1/ 25)، ومسلم في كتاب المنافقين باب (19) الاقتصاد في الموعظة (3/ 172) حديث (82).

(4) راجع: ركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:246- 254).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتستحق أن يحرص الناس ويسعوا إلى تحصيلها.

إن الناس بطبيعتهم منجذبون إلى متاع الأرض: [زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾] [آل عمران:14]، وهم يحتاجون دائماً إلى من يرفعهم من ثقلة الأرض هذه، ويبصرهم بالقيم العليا التي ينبغي أن يتجهوا إليها من صدق، وإخلاص، وأمانة، وتضحية، وكرم، وشجاعة، وإيثار، وعدل، مما يليق بالإنسان الذي كرمه الله وفضله على سائر مخلوقاته[1].

المبحث الرابع: حاجة البشر إلى الرسل:

الرسالة ضرورية للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره، وحياته؛ فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟

والدنيا مظلمة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، ولا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدارين إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من طريقهم.

لقد سمى الله رسالته روحاً، والروح إذا عدم فقدت الحياة: [وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا] [الشورى:52].

وإن ما تعانيه الدول -التي يسمونها دولاً متقدمة ومتحضرة- من أنواع الاضطراب والهموم والشقاء والتفكك؛ إنما هو بسبب الإعراض عن الرسل والرسالة[2].

المبحث الخامس: خصائص الرسالة المحمدية:

---

(1) ركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:250).

(2) مقرر التوحيد، د. عبد العزيز العبد اللطيف، (ص:76).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تختص الرسالة المحمدية عن الرسالات السابقة بجملة من الخصائص، نذكر منها:

1- الرسالة المحمدية خاتمة للرسالات السابقة، قال تعالى: [مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ] [الأحزاب:40].

2- الرسالة المحمدية ناسخة للرسالات السابقة، فلا يقبل الله من أحد ديناً إلا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يصل إلى نعيم الجنة إلا من طريقه، فهو صلى الله عليه وسلم أكرم الرسل، وأمته خير الأمم، وشريعته أكمل الشرائع، [وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾] [آل عمران:85]، وقال صلى الله عليه وسلم : **«والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»**[1].

3- الرسالة المحمدية عامة إلى الثقلين: الجن والإنس، قال تعالى: [يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ] [الأحقاف:31]، [وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا] [سبأ:28]، وقال صلى الله عليه وسلم : «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**»[2].

4- معجزة الرسالات السابقة ومعجزة الإسلام:

لكل رسول يرسله الله إلى الناس آية يأتي بها مصدقة لدعواه ومؤيدة له، وهي المعجزة، والمعجزة تكون دائماً فوق قدرة البشر وخارقة لما تعودوه؛ وقد كانت المعجزات للرسالات السابقة كلها حسية مشاهدة تخاطب الحس البشري وتقهره، وهي لا تتعدى فترة زمنية بحيث تنتهي بانتهاء النبي الذي جاء بها، فمثلاً معجزة صالح هي الناقة، ومعجزة موسى العصا واليد البيضاء، ومعجزة عيسى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بدون علاج..

أما معجزة الإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهي معجزة تحدى الله بها البشر؛ هي معجزة تخاطب العقل البشري في كل مكان وزمان؛ فهي معجزة ودعوة في آن واحد لا تنفك

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب (70) وجوب الإيمان.. (1/ 134)، حديث رقم (240).

(2) أخرجه مسلم (1/ 371)، الترمذي (4/ 123)، أحمد (2/ 411).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إحداهما عن الأخرى وتلك هي القرآن الكريم، قال صلى الله عليه وسلم : «**ما من نبي إلا وأعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»[1]، ولذلك فإن القرآن الكريم أعظم المعجزات التي أيد الله بها رسوله؛ لأنه معجزة دائمة باقية تتحدى البشر على الطلاق بما فيها من إعجاز اللفظ والمعنى[2].

المبحث السادس: أثر الإيمان بالرسل:

1- معرفة رحمة الله بعباده، وعنايته بهم، حيث أرسل إليهم الرسل يهدونهم إلى عبادة ربهم، وكيف يعبدونه.

2- شكر الله على هذه النعمة العظيمة.

3- محبة الرسل والثناء عليهم من غير إطراء؛ لأنهم رسل الله، قاموا بعبادته، وإبلاغ رسالته، والنصح لعباده.

4- اتباع الرسالة التي جاءت بها الرسل من عند الله، والعمل بها، فيتحقق للمؤمنين في حياتهم الخير والهداية والسعادة في الدارين، قال تعالى: [فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾] [طه:123] [فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾] [طه:124] [3].

---

(1) أخرجه البخاري، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل، (4/ 1905، 6/ 2654)، مسلم، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا.. (1/ 134).

(2) انظر: عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، د. أحمد الغامدي، (ص:72). وما بعدها، ومقرر التوحيد، د. عبد العزيز العبد اللطيف، (ص:85).

(3) شرح ثلاثة الأصول، ابن عثيمين، (ص:99)، مقرر التوحيد، د. عبد العزيز العبد اللطيف، (ص:87).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل السادس

الركن الخامس من أركان الإيمان

(الإيمـــــــان باليـــــوم الآخـــــر)

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيد

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة الإسلامية، ويجب الإيمان به، ومن أنكره كان كافراً خاسراً مجانباً للحق.. ولأهمية هذا الركن في حياة المسلم؛ فسوق أتناول في الحديث عنه النقاط الآتية؛ وذلك في أربعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريف الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثاني: الإيمان باليوم الآخر، والأدلة على ذلك.

المبحث الثالث: أسباب إنكار الإيمان باليوم الآخر أو البعث قديماً وحديثاً.

المبحث الرابع: ثمرات الإيمان باليوم الآخر؛ وأثرها في سلوك الفرد والجماعة.

المبحث الأول: تعريف الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر هو يوم القيامة؛ والمراد به: من وقت الحشر إلى ما لا نهاية، أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وسمي اليوم الآخر؛ لأنه آخر الأوقات المحدودة؛ أو لأنه متأخر عن الدنيا؛ ولأنه لا ليل بعده؛ ولأنه آخر أيام الدنيا.

والإيمان باليوم الآخر: هو التصديق الجازم بأن الله أعد وقتاً ينهي فيه الحياة الدنيا[1].

وقيل في تعريفه بصورة إجمالية: هو الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان، والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعاً[2].

إذن: الإيمان باليوم الآخر هو إيمان بالغيب؛ لأن أحداً لم يشهده بنفسه، وإنما أخبرنا الله تعالى عن طريق رسله الكرام، فسبيله هو النقل الصحيح مما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة.

ولكن الله الذي أخبرنا عن اليوم الآخر، وأوجب علينا الإيمان به، وجعله ركناً من أركان الإيمان، قد أودع الفطرة البشرية القدرة على الإيمان بالغيب، وميز الإنسان بهذا الأمر من بين ما ميزه به وكرمه وفضله.

---

(1) نظرات في العقيدة الإسلامية، مجموعة مؤلفين، (ص:71).

(2) الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، (ص:89).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن الحيوان يعيش في حدود ما تدركه الحواس فحسب، وعالمه محصور في ذلك النطاق، ولكن الله ـــ كرم الإنسان فلم يحصره في حدود ما تدركه حواسه فحسب، وإنما فسح آفاقه ووسعها، ومنحه تلك الخاصية، وهي القدرة على الإيمان بما لا تدركه الحواس، فأصبحت نفسه أرحب وأعمق من الحيوان، وأصبحت آفاقه أوسع وأعلى.

ولكن الجاهليات دائماً تشوه صورة الإنسان، وترده أسفل السافلين بعد أن يكون قد خلقه في أحسن تقويم.

والجاهلية المعاصرة تريد أن ترد الإنسان حيواناً وتحصره في نطاق ما تدركه حواسه فحسب! تريد أن تنزع عنه تلك الكرامة التي كرمه الله بها، وتلغي من عالمه عالم الغيب كله، بحجة الواقعية والروح العلمية!! ومن ثم تنتكس بالإنسان روحياً ونفسياً وخلقياً، وتفقده إنسانيته في النهاية..[1].

المبحث الثاني: وجوب الإيمان باليوم الآخر وأدلته:

الإيمان باليوم الآخر دل عليه القرآن والسنة النبوية، والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر، وتفاصيل ما فيه، وتقرير ذلك بالأخبار الصادقة والأمثال المضروبة للاعتبار والإرشاد، وكما ذكر القرآن الأدلة عليه، رد على منكريه، وبين كذبهم وافتراءهم.

والفطرة السليمة تدل عليه وتهدي إليه، ولا صحة لما يزعمه الضالون من أن العقول تنفي وقوع البعث والنشور، فإن العقول لا تمنع وقوعه، والأنبياء لا يأتون بما تحيل العقول وقوعه، وإن جاءوا بما يحير العقول، ولذلك قال علماؤنا: الشرائع تأتي بمحارات العقول، لا بمحالات العقول[2].

أما الأدلة الدالة على البعث والنشور واليوم الآخر فهي كثيرة جداً، نذكر منها ما يلي:

أولاً: الإقسام على وقوع البعث:

قال الله تعالى آمراً نبيه أن يقسم بربه ـــ على أن البعث حق لا ريب، وأنه لا بد من وقوعه، ومحاسبة أولئك المكذبين الجاحدين له، وأن ذلك لا يعجز الله تعالى؛ بل هو عليه يسير: [زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾] [التغابن]، [وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ] [سبأ:3] [وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ

(1) ركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:393).

(2) القيامة الكبرى، د. عمر الأشقر، (ص:73).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾] [يونس:53].

ففي الآيات السابقة يأمر الله نبيه -وهو الصادق المصدوق- أن يقسم على وقوع البحث والجزاء، وأنه واقع لا محالة، ومعلوم أنه ولو لم يقسم صلى الله عليه وسلم على وقوع البعث، لتلقى المؤمنون خبره بالتصديق التام، وعدم وجود أدنى شك في ذلك، ولكان ذلك الإخبار كافياً لصحة ثبوته[1].

ثانياً: التنبيه بالنشأة الأولى على النشأة الثانية:

قال تعالى: [وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾] [الإسراء:49-52].. [أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾] [يس:77-80]، [كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾] [الأنبياء:104].. [وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا

(1) الحياة الآخرة، د. غالب عواجي، (1/ 78).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾] [مريم:66-67].

ففي هذه الآيات المباركة يوضح سبحانه لعباده أنه يعيد المخلوقات بعد أن يموتوا ويبلوا في الأرض، فكما أنه أنشأهم أول مرة وأوجدهم من العدم، لا يعجزه أن ينشئهم مرة أخرى، ومعلوم أن النشأة الأخرى تكون أهون من النشأة الأولى.

والله ــ وإن كان يسهل عليه النشأة الأولى والنشأة الثانية على حد سواء لكن -والقرآن يخاطب البشر- يبين لهم تنزلاً مع عقولهم دليلاً لا يستطيعون جحده، ويعرفون صدقه في أنفسهم، وهو أن من قدر على النشأة الأولى فهو على النشأة الثانية أقدر من باب أولى، فإذا كان في عرف البشر أن النشأة الثانية لأي شيء كان أسهل عليهم من النشأة الأولى؛ أفلا يليق بالله تعالى وهو القادر على كل شيء أن تكون النشأة الثانية أهون عليه، وهذه حجة قوية ظاهرة لا يستطيع دفعها إلا من كابر عقله وأجحف في حق ربه[1].لكن لماذا ينكرون هذا مع وضوح الحجة وقوتها؟

السبب الغفلة عن النشأة الأولى تستهول هذا الأمر: [وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾] [مريم:66].

إنه اعتراض منشؤه غفلة الإنسان عن نشأته الأولى.

فأين كان؟ وكيف كان؟ إنه لم يكن ثم كان، والبعث أقرب إلى التصور من النشأة الأولى لو أنه تذكر [أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾] [مريم][2].

ثالثاً: التنبيه بخلق السموات والأرض على إحياء الموتى أو النظر في مخلوقات أكبر وأعظم من خلق الإنسان:

إن من جملة ما خلق الله تعالى ما هو أعظم من خلق الناس؛ فكيف يقال للذي خلق السموات والأرض: أنت لا تستطيع أن تخلق ما دونها: [أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ

(1) الحياة الآخرة، د. غالب عواجي (1/ 81).

(2) اليوم الآخر في ظلال القرآن، أحمد فائز (ص:27).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾] [الأحقاف:33].. [لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾] [غافر:57].

إن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على خلق هذا الإنسان الضعيف؛ لننظر إلى قدرة الله في هذا الكون، يقول العلماء: إن أقرب نجم إلينا يبعد عن الشمس فوق الأربع من السنوات الضوئية؛ أي أن النور وسرعته (186000) ميل في الثانية، يقطع المسافة من الشمس إلى أقرب نجم في نحو أربع سنوات؛ إنه على مسافة تبلغ: (26000000000000) ميل، وقالوا: المجرة قرص عظيم، وهي قرص مفرطح كالرغيف، وقطر القرص نحو من (100000) سنة ضوئية، والسنة الضوئية نحو من (600) ألف مليون مليون، وارتفاعه عشر ذلك.

وهناك مجرات أخرى كثيرة في الكون غير المجرة التي تتبعها مجموعتنا الشمسية.

وهذه الذنيبات التي تشبه مجرتنا.. كم عددها؟ مائة؟ ألف؟ ألفان؟ لا؛ إنها مائة مليون من المجرات، مائة مليون جزيرة في فضاء هذا الكون الواسع وقد تزيد..

هذا في المحيط الخارجي للكون، وهو مظهر واحد يعجز عن حمله الخيال وتعجز العقول..

فلننظر في الأرض وحدها، تلك الذرة الهائمة في الفضاء.

هباءة منثورة في محيط الكون، لا تمسكها إلا القدرة الخالقة المبدعة.

كم جبلاً بها؟ وكم نهراً وكم بحيرة وكم بحراً؟ كم كهفاً في جبالها؟ وكم حفرة في أراضيها؟ كم نقطة من المطر تهبط إليها، وكم ذرة من البخار تصعد منها آناء الليل وأطراف النهار؟! وكم بها من أنواع الحياة: الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية؟

كم ألفاً من صنوف النبات على وجه الأرض؟ وأي دقائق تفرق بين نبات ونبات، [يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾] [الرعد:4].

عز وجل

وكم ألفاً من صنوف الحيوان والطير والحشرات في السهول والفيافي والقفار والوديان والغابات؟

وكم من ملايين البشر من مختلف الألوان واللغات والأفكار؟

بل النبات الواحد والحيوان الواحد والإنسان الواحد كم فيه من معجزات الخلق؟

الزهرة الواحدة البديعة التناسق المعجزة التلوين؛ هل يفرغ الإنسان من تأملها؟ إن فيها من تعدد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الألوان وتدرجها، وتناسقها، وما فيها من جاذبية للعين والحس...[1].

وصدق ابن عباس حين قال: «تفكروا في مخلوقات الله، ولا تفكروا في ذات الله».

وعظمة الخالق لا يمكن للعقل البشري أن يتصورها قال الله تعالى: [وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥] [البقرة:255]. وقال في سورة الزمر: [وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧] [الزمر:67].

فإذا كانت هذه قدرة الله العظيمة؛ فكيف ينكر هذا الإنسان الضعيف البعث..؟! روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ا قال: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**»[2]، وروى البخاري عن عبد الله بن مسعود ا قال: « **جاء حَبْر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحَبْرِ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم** : [وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧] [الزمر:67]»[3][1].

---

(1) انظر: قبسات حول الرسول، محمد قطب، (ص:65).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب (44) يقبض الله الأرض (7/ 192) ومسلم في كتاب المنافقين (3/ 2147) حديث رقم (23).

(3) الحديث أخرجه: مسلم في كتاب المنافقين (3/ 2147) حديث رقم (19).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإذا كانت هذه قدرة الله وعظمته فهل يليق بهذا الإنسان الضعيف أن ينكر قدرته سبحانه على البعث والنشور والجزاء والحساب..؟!

ثم إن المنكر للبعث لو تفكر في خلقه وخلق غيره، لعجز عن الإحاطة بهذه القدرة العظيمة في خلق الله: [ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣] [الأعلى:2-3]، [وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١] [الذاريات:21].

إن الله خلق كل شيء فسواه، وأكمل صنعته، وبلغ به غاية الكمال الذي يناسبه.. وهو سبحانه الذي قدر لكل مخلوق وظيفته وغايته، فهداه إلى ما خلقه لأجله، وألهمه غاية وجوده؛ وقدر له ما يصلحه مدة بقائه، وهداه إليه أيضاً..

وهذه الحقيقة الكبرى ماثلة في كل شيء في هذا الوجود؛ يشهد بها كل شيء في رحاب الوجود، من الكبير إلى الصغير، ومن الجليل إلى الحقير، كل شيء مسوى في صنعته، كامل في خلقته، معد لأداء وظيفته، ومثال ذلك:

إن الطيور لها غريزة العودة إلى الموطن، فعصفور الهزاز الذي عشش ببابك يهاجر جنوباً في الخريف، ولكنه يعود إلى عشه في الربيع التالي، وفي شهر سبتمبر تطير أسراب من معظم الطيور في أمريكا إلى الجنوب، وقد تقطع في الغالب نحو ألف ميل فوق أرض البحار، ولكنها لا تضل طريقها.

والبومة تستطيع أن تبصر الفأر الدافئ اللطيف وهو يجري على العشب البارد مهما تكن ظلمة الليل.

وإذا حمل الريح فراشة أنثى من خلال نافذة إلى علية بيتك، فإنها لا تلبث حتى ترسل إشارة خفية؛ وقد يكون الذكر على مسافة بعيدة؛ ولكنه يتلقى هذه الإشارة ويجاوبها، مهما أحدثت أنت من رائحة بعملك لتضليلهما.. ترى هل لتلك المخلوقات الضئيلة محطة إذاعة؟ وهل لذكر الفراشة جهاز راديو عقلي، فضلاً عن السلك اللاقط للصوت (إيريال)؟ أتراها تهز الأثير فهو يتلقى الاهتزاز؟!

في بعض أنواع النمل يأتي العَمَلة (العمال) منه بحبوب صغيرة لإطعام غيرها من النمل في خلال فصل الشتاء.

وينشئ النمل ما هو معروف (بمخزن الطحن) وفيه يقوم النمل الذي أوتي أفكاكاً كبيرة معدة

(1) راجع: مختصر تفسير ابن كثير؛ لأحمد شاكر، (3/ 198) والتفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، (23/ 50).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للطحن بإعداد الطعام للمستعمرة، وهذا هو شاغلها الوحيد، وحين يأتي الخريف، وتكون الحبوب كلها قد طحنت؛ فإن أعظم خير لأكبر عدد، يتطلب ذلك حفظ تلك المئونة من الطعام. وما دام الجيل الجديد سينتظم كثيراً من النمل الطحان؛ فإن جنود النمل تقتل النمل الطاحن الموجود، ولعلها ترضي ضميرها الحشري بأن ذلك النمل قد نال جزاءه الكافي؛ إذ كانت له الفرصة الأولى في الإفادة من الغذاء أثناء طحنه..

لا شك أن هناك خالقاً أرشدها إلى كل ذلك، وأرشد غيرها من الخلائق، كبيرها وصغيرها. إلى كل ذلك إنه [ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾] [طه:50] [1].

أيعجز بعد ذلك هذا الخالق العظيم على أن يبعث الناس من قبورهم للجزاء والحساب، حسب ما قدره وما خلقه لهم.. ـــ..

أما عن الإنسان نفسه الذي ينكر البعث قال الله تعالى له: [وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾] [الذاريات:21]، هذا المخلوق الإنساني هو العجيبة الكبرى في هذه الأرض، ولكنه يغفل عن قيمته، وعن أسراره الكامنة في كيانه، حين يغفل قلبه عن الإيمان، وحين يحرم نعمة اليقين.

إنه عجيبة في تكوينه الجسماني: في أسرار هذا الجسد، عجيبة في تكوينه الروحي: في أسرار هذه النفس، وهو عجيبة في ظاهره وعجيبة في باطنه، وهو يمثل هذا الكون وأسراره وخفاياه:

وتزعم أنك جرم صغير 7- وفيك انطوى العالم الأكبر

وحيثما وقف الإنسان يتأمل عجائب نفسه التقى بأسرار تدهش وتحير: تكوين أعضائه، وتوزيعها، ووظائفها، وطريقة أدائها لهذه الوظائف، عملية الهضم والامتصاص، عملية التنفس والاحتراق، دورة الدم في القلب والعروق، الجهاز العصبي وتركيبه، وإدارته للجسم و...و.[2]، ومثال بسيط على ذلك:

---

(1) للتوسع في هذه الأمثلة العجيبة راجع: العلم يدعو إلى الإيمان، ترجمة محمود صالح الفلكي. وراجع في ظلال القرآن، سيد قطب (6/ 3884) وما بعدها.

(2) في ظلال القرآن: سيد قطب، (6/ 3379).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السمع والبصر [قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾] [الملك:23].

السمع والبصر معجزتان كبيرتان عرف عنهما بعض خواصهما العجيبة،يقول العلم الحديث: «تبدأ حاسة السمع بالأذن الخارجية، ولا يعلم إلا الله أين تنتهي؛ ثم إن الاهتزاز الذي يحدثه الصوت في الهواء ينقل إلى الأذن التي تنظم دخوله، ليقع على طبلة الإذن، وهذه تنقلها إلى التيه داخل الأذن.. والتيه يشمل على نوع من الأقنية بين لولبية ونصف مستديرة، وفي القسم اللولبي وحده أربعة آلاف قوس صغيرة متصلة بعصب السمع في الرأس.

فما طول القوس منها وحجمها؟ وكيف ركبت هذه الأقواس التي تبلغ عدة آلاف كل منها ركب تركيباً خاصاً؟.. وفي الأذن مائة ألف خلية سمعية، وتنتهي الأعصاب بأهداب دقيقة دقة وعظمة تحير الألباب.

أما البصر: فمركز حاسة الإبصار العين، التي تحتوي على مائة وثلاثين مليوناً من مُسْتَقْبِلات الضوء، وهي أطراف أعصاب الإبصار، وتتكون العين من: الصلبة والقرنية والمشيمة والشبكية.. وذلك بخلاف العدد الهائل من الأعصاب والأوعية، وتتكون الشبكية من تسع طبقات منفصلة، والطبقة في أقصى الداخل تتكون من أعواد ومخروطات. ويقال: إن عدد الأولى: ثلاثون مليون عود، وعدد الثانية: ثلاثة ملايين مخروط. وقد نظمت كلها في تناسب محكم بالنسبة لبعضها البعض.

وبالنسبة للعدسات فإن عدسة عينيك تختلف في الكثافة؛ ولذا تجمع كل الأشعة في بؤرة، ولا يحصل الإنسان على مثل ذلك في أي مادة من جنس واحد كالزجاج مثلاً[1].

وبعد هذا ينكر الإنسان البعث! فهلا نظر في هذه القدرة العجيبة لنفسه وخلقته وتراكيبه.. أليس من خلق الإنسان بهذه القدرة العجيبة قادر على إحيائه ومحاسبته؟ بلى وهو على كل شيء قدير.

رابعاً: ومن الأدلة على البعث: التنبيه بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى:

قال تعالى: [وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ

(1) العلم يدعو للإيمان، محمود صالح الفلكي، (ص:113).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦] [الحج:5-6]، [فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٥٠] [الروم:50]، وغيرها من الآيات الكثيرة التي يقرن الله بين إحياء الأرض وإحياء الموتى؛ وأن من قدر على إحياء هذه قادر على إحياء هذه: [يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١٩] [الروم:19].

وخلاصة القول: إن هذه الأرض الهامدة اليابسة إذا أنزل عليها المطر اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج؛ وإذا بها تكسى حلة خضراء، وإذا بالزهور والأشجار على أشكال شتى؛ أفيعجز من أعاد الحياة إلى هذه الأرض الميتة أن يعيد إلى هذا الإنسان حياته مرة أخرى..

خامساً: إخبار الله تعالى بما وقع من البعث الحسي المشاهد في الحياة الدنيا: ليكون إحياء الله للموتى في الدنيا دليلاً على البعث في يوم القيامة.. كما حصل ذلك في عدة آيات في القرآن الكريم:

1- قصة العزير المار على تلك القرية: [أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ] [البقرة:259].

2- طلب إبراهيم من ربه مشاهدة إحياء الموتى: [وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾] [البقرة:260].

3- موت بني إسرائيل الذين تنطعوا في إيمانهم، واشترطوا لذلك أن يروا ربهم؛ فأخذتهم الصاعقة، ثم بعثهم الله ليريهم قدرته: [وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾] [البقرة:55-56]، وغيرها من الآيات التي تحكي المشاهدة الحسية لإحياء هؤلاء الأموات كقصة أصحاب الكهف، وقتيل بني إسرائيل، وإحياء الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت [فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ] [البقرة:243] [1].

سادساً: تنزه الله عن العبث في الخلق وأن حكمة الله تقتضي بعث العباد للجزاء والحساب:

[أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾]

[المؤمنون:115]، [أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾] [القيامة:36].

والمعنى الذي تشير إليه الآيتان وأمثالهما: أن الخلق يصبح عبثاً وباطلاً إذا لم يكن هناك يوم آخر يبعث فيه الناس، ويحاسبون على أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا؛ أي: أن الحياة تصبح عبثاً، وخلق السموات والأرض يصبح باطلاً لو كانت الحياة الدنيا هي نهاية المطاف.

ونستطيع أن ندرك الحكمة من ذلك بعقولنا: فنحن نشاهد في حياتنا الدنيا ظالمين ظلوا ظالمين حتى لحظة الموت، ومظلومين ظلوا مظلومين إلى آخر حياتهم، أفإن كانت الحياة الدنيا هي نهاية المطاف يكون عدلاً وحكمة؟ وأين هو العدل والظالم لم يقتص منه والمظلوم لم يقتص له؟! وأين هي الحكمة في خلق حياة تجري أحداثها على غير مقتضى العدل ثم تنتهي على هذه الصورة؟..

ونشاهد عصاة لا يقفون عند حدود الله التي أمر الله بها، وينتهبون اللذات في الحياة الدنيا،

(1) انظر فيما سبق، الحياة الآخرة، د. غالب عواجي،(1/ 88).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وآخرين التزموا بأمر الله فلم يأخذوا من المتاع إلا ما أحل الله، وهو -في الدنيا- قدر أقل دون شك مما يستمتع به العصاة الغارقون في الملذات. أفإن كانت الحياة الدنيا هي نهاية هؤلاء وهؤلاء يكون الأمر حقاً وعدلاً؟! هل تستقيم الأمور بأن ينهب من أراد نهبته ويمضي بها بغير حساب، بينما الملتزم يحرم نفسه من المتاع الزائد ثم يمضي بحرمانه بغير ثواب؟!

كلا بغير شك! ولا يجوز ذلك في حق الله.

لا يجوز في حق عدالته وحكمته سبحانه أن الأمور على هذه الصورة؛ بل تكون الحياة عبثاً لا معنى لها ولا حكمة فيها.

من أجل ذلك نجد القرآن يربط في كثير من آياته بين خلق السموات والأرض بالحق وبين بعث الناس لسؤالهم عما عملوا في الحياة الدنيا ومجازاتهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شر فشر: [خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾] [التغابن] [تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾] [الملك:2] [1].

المبحث الثالث: أسباب إنكار البعث قديماً وحديثاً[2]:

بعد ما عرفنا وجوب الإيمان بالبعث والأدلة على ذلك؛ ما هي الأسباب الكامنة وراء عناد الناس وعدم إيمانهم بالبعث؛ لذلك أسباب عديدة منها:

1- الاستبعاد: ولكونهم درجوا على ذلك مقلدين الآباء والأجداد، وكان مجرد طلب تغيير عقيدتهم عن هذا المألوف أمراً من الصعوبة بمكان؛ بل جعلوه -وهو الأمر المألوف الذي يقتضيه العقل السليم- أمراً مستبعداً غاية البعد، فهم لم يشاهدوا أن الأموات يحيون بعد دفنهم فيقومون من قبورهم ليخبروهم بالعالم الآخر، وهم كذلك يشاهدون دائماً أن الميت بعد دفنه بأيام تأكله الديدان، ويستحيل إلى تراب وعظام نخرة، فكيف يتصور أن ترجع إليه الحياة من جديد؟!.

---

(1) ركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:395).

(2) الحياة الآخرة، د.غالب عواجي، (1/ 133).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا بعيد في مقياسهم السقيم، غير مقتنعين بأن قدرة الله لا يحدها حدود ولا يعجزها أمر، وقد استلزم هذا إنكارهم -أيضاً- لكمال علم الله؛ حيث تصوروا أن الإنسان حينما يصبح ذرات متفرقة في الكون في مشارق ومغاربها فكيف يعلم أماكن هذه الذرات ليجمعها ويجعلها كما كانت قبل الموت؟ ونسوا أن الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم لا يعجزه ذلك.

2- الكبر وهو آفة الجهال المعرضين عن الله، وقد قص الله تعالى قصة أهل الكبر منذ رسالة نوح إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: [قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾] [هود:91]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على الكبر والتعالي والتعنت؛ فكان جزاء ذلك أن حرموا نعمة الله ودخولهم في رحمة الله.

3- ميلهم إلى الشهوات وانغماسهم في الملذات التي ألفوها وأحبوها.. فآثروا إنكار الإيمان باليوم الآخر..

4- عامل اقتصادي لإنكارهم البعث والإيمان باليوم الآخر؛ حيث يتاجرون بالمحرمات؛ وفي تقديرهم أن الإيمان باليوم الآخر والبعث سيحول بينهم وبين هذه الأمور المحرمة.

5- عامل سياسي: وهو حب الزعامة والمحافظة عليها والتسلط والإذلال للبشر؛ لتبقى الزعامة في أيديهم؛ ولتبقى مراكزهم في المجتمع خالصة لهم؛ لأنهم يعرفون أن الإيمان مطلقاً وخاصة البعث سيجعلهم سواسية مع الناس، وسيحرمهم من نصب أنفسهم كزعماء للناس...

فهذه العوامل وغيرها كانت فكرة الإيمان بالبعث والإيمان به مرفوضة لدى الكفار، وكان أمره مستبعداً في نفوسهم؛ لكن الإسلام بعدما انتشر محا تلك العقبات التي كانت تحول بين الناس وبين الإيمان باليوم الآخر..

المبحث الرابع: ثمرات الإيمان باليوم الآخر؛ وأثرها في سلوك الفرد والجماعة:

1- إن معرفة ذلك اليوم حقيقة المعرفة يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما، خرب كل الخراب، وإن عمر بهما، أوجب له الخوف والانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر، كأحوال القبر وشدته، وأحوال المواقف الهائلة، وصفات النار المفظعة، وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

2- معرفة فضل الله وعدله في المجازاة في الأعمال الصالحة والسيئة.. وعلى قدر علم العبد بتفاصيل الثواب والعقاب، يعرف بذلك فضل الله وعدله وحكمته.

3- الإيمان باليوم الآخر والجزاء فيه أصل صلاح القلب، وأصل الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، اللذين هما أساس الخيرات(1).

4- معرفة حقيقة الحياة الدنيا وأنها متاع الغرور، وأنها جسر للآخرة التي فيها الحياة الحقيقية: [وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾] [آل عمران:185]، [وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾] [العنكبوت:64].

5- الحذر من المعاصي والمخالفات والبدع والظلم، وملازمة التوبة النصوح من الخطيئات حذراً من عقوبتها في الآخرة(2).

أما أثر الإيمان باليوم الآخر على سلوك الفرد والجماعة فهو يتمثل في:

1- إن الاعتقاد بالآخرة يؤدي دوره الأساس في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه، ونفي القلق والسخط والقنوط.. إن الحساب الختامي ليس في هذه الأرض، والجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة.. إن الحساب الختامي هناك، والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب. فلا ندم على الخير والجهاد في سبيله إذا لم يحقق في الأرض أو لم يلق جزاءه، ولا قلق على الأجر إذا لم يوف في هذه العاجلة بمقاييس الناس؛ فسوف يوفاه بميزان الله، ولا قنوط من العدل إذا توزعت الحظوظ في الرحلة القصيرة على غير ما يريد؛ فالعدل لا بد واقع، وما الله يريد ظلماً للعباد.

2- والاعتقاد باليوم الآخر حاجز كذلك دون الصراع المجنون المحموم الذي تداس فيه القيم وتداس فيه الحرمات، بلا تحرج ولا حياء؛ فهناك الآخرة فيها عطاء، وفيها غناء، وفيها عوض عما يفوت.

وهذا التصور من شأنه أن يفيض السلام على مجال المسابقة والمنافسة، وأن يخفف السعار الذي

---

(1) نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبد العزيز العبد اللطيف، (ص:220).

(2) المدخل إلى الثقافة الإسلامية، مجموعة مؤلفين، (ص:148)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ينطلق من الشعور بأن الفرصة الوحيدة المتاحة هي فرصة هذا العمر القصير...

3- والاعتقاد باليوم الآخر ضروري لاكتمال الشعور بأن وراء الحياة حكمة، وأن الخير الذي تدعو إليه الرسالات هو غاية الحياة؛ ومن ثم لا بد أن يلقى جزاءه؛ فإن لم يلقه في هذه الحياة الدنيا فجزاؤه مضمون في العالم الآخر، تصل فيه الحياة البشرية إلى الكمال المقدر لها. أما الذين يزيغون عن منهجه وحكمته - في اليوم الآخر - فهؤلاء يرتكسون وينتكسون إلى درك العذاب.. وفي هذا ضمان للفطرة السليمة ألا تنحرف..

فإن غلبتها شهوة أو استبد بها ضعف؛ عادت تائبة و لم تلج في العصيان؛ ومن ثم تصلح هذه الأرض لحياة البشر، وتمضي الحياة على سنتها في طريق الخير[1].

4- أما الأمم والجماعات التي لا تؤمن باليوم الآخر فحالها يختلف كثيراً عن حالة الفرد؛ فلأي شيء تعمل ولأي شيء تعيش؟

كل جماعة همها الحصول على أكبر قدر من المتاع (أو المزايا بتعبيرهم) على حساب جماعة أخرى! وكل أمة همها أن تتغلب على أمة أخرى لتسلبها حظها من المتاع، وتأخذه لنفسها، فتنشأ من ذلك الصراعات والحروب.

وأين القيم العليا؟ وأين حقوق الإنسان؟ وأين الضمير العالمي؟ وأين العهود والمواثيق؟ وأين التعاون في سبيل الخير؟ وأين العدل؟ وأين الإخاء والمساواة؟ إنها كلها في أمة لا تؤمن باليوم الآخر ألفاظاً يلوكها الناس نفاقاً ورياء.. لأن الإيمان باليوم الآخر هو الذي يردع الناس عن الكذب والنفاق والرياء ولا إيمان..

ومن ثم تهبط القيم في أمة لا تؤمن باليوم الآخر؛ لأنها لا تخاف ولا تردعها أي قوة.. فكان اليوم الآخر بمثابة الحارس الذي يمنع الأمم والأفراد من الظلم والبغي والعدوان[2].

ونختم حديثاً عن الإيمان باليوم الآخر بكلمة جميلة للإمام الغزالي صاحب الإحياء حيث يقول: إياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا، فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا، ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها، وفي طبع الآدمي! إنكار ما لم يأنس به! ولو لم يشاهد الإنسان الحَيَّةَ وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف؛ لأنكر تصور المشي على غير رجل، والمشي بالرجل -أيضاً- مستبعد عند من لم يشاهد ذلك. ولو لم يشاهد الإنسان

---

(1) اليوم الآخر في ظلال القرآن، جمع وإعداد أحمد فائز، (ص:17).

(2) راجع: ركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:400).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

توالد الحيوان، وقيل له: إن له صانعاً يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي، المصور، العاقل، المتكلم، المتصرف، لاشتد نفور باطنه عن التصديق به.

ففي خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تراكيب أعضائه أعاجيب تزيد على الأعاجيب في بعثه وإعادته، فكيف ينكر ذلك من قدرة الله وحكمته من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته! فإن كان في إمكانك ضعف فقوَّ الإيمان بالنظر في النشأة الأولى: [أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ مَوْتَىٰ عز وجل آ ﴿٤٠﴾] [القيامة] [1].

(1) إحياء علوم الدين، (25/16) نقلاً عن اليوم الآخر في ظلال القرآن،صـــ(25).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل السابع

الركن السادس من أركان الإيمان

(الإيمـــــــان القضاء والقدر)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيد

يجب الإيمان بقضاء الله وقدره، وهو الركن السادس من أركان الإيمان؛ فلا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بقضاء الله وقدره؛ وذلك للأدلة التي توجب ذلك سواء من الكتاب أم السنة الشريفة، وسوف أتناول في الإيمان بالقضاء والقدر، النقاط الآتية؛ وذلك في سبعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثاني: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثالث: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الرابع: الفرق في الإيمان بالقضاء والقدر باختصار ومذهب أهل السنة في ذلك.

المبحث الخامس: الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي والرد على ذلك.

المبحث السادس: الأخذ بالأسباب لا ينافي القدر.

المبحث السابع: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الأول: تعريف الإيمان بالقضاء والقدر:

القضاء لغة تدور معانيه حول إحكام الشيء وإتمام الأمر، وقدر ورد معنى القضاء في القرآن كثيراً ومنها: الأمر، الإنهاء، الحكم، الفراغ، الأداء، الإعلام، الموت.

والقدر لغة يأتي بمعنى: الحكم والقضاء، والطاقة [عَلَى ٱلْمُوسِعِ عز وجل ٱ قَدَرُهُۥ] [البقرة:236]، وبمعنى التضييق[1].

أما القضاء والقدر اصطلاحاً فهو: تقدير الله تعالى الأشياء في القدم وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدره وخلقه لها[2].

وقيل: «إيجاد الله الأشياء على قدر مخصوص، وتقدير معين في ذواتها وأحوالها طبق ما سبق به

---

(1) راجع: لسان العرب مادة (قضى) ومادة (قدر)

(2) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبد الرحمن المحمود، (ص:39).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلم وجرى به القلم[1].

المبحث الثاني: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر:

القضاء والقدر هو أحد الأركان الستة للإيمان؛ ولا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بالقضاء والقدر؛ بمعنى التصديق الجازم بأن كل ما يقع من الخير والشر فهو بقضاء الله وقدره،وأن جميع ما يجري في الآفاق والأنفس من خير أو شر فهو مقدر من الله، ومكتوب قبل خلق الخليقة، وكل شيء بإرادة الله تعالى ولا يخرج عن مشيئته في الأرض ولا في السماء، ولو أراد الله أن يعبده كل خلقه ما عصاه أحد، بيده كل شيء يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير [مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾] [الحديد:22-23]، [إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾] [القمر:49]، فهو سبحانه لا يخرج عن إرادته وسلطانه شيء، ولا يصدر شيء إلا بتقديره وتدبيره سبحانه، ولا يسأل عما يفعل؛ وذلك لكمال حكمته وقدرته وعظيم سلطانه[2].

المبحث الثالث: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:

مراتب الإيمان بالقضاء والقدر تتضمن أربعة أمور هي باختصار:

أولاً: الإيمان بعلم الله القديم (مرتبة العلم):

وهو الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، بما في ذلك أفعال العباد طاعتهم ومعاصيهم، قال تعالى: [وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾] [الطلاق:12]، [هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ

(1) القضاء والقدر، د. عمر سليمان الأشقر، (ص:25).

(2) العقيدة الصافية، سيد عبد الغني، (ص:217).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾] [الحشر:22].

ثانياً: الإيمان بالكتاب الأول (مرتبة الكتابة):

وهو الإيمان بأن الله كتب ما سبق علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ – وهو أم الكتاب – قال تعالى: [أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾] [الحج:70]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ب – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»[1].

ثالثاً: الإيمان بعموم المشيئة (مرتبة الإرادة والمشيئة):

وهو الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله سواء أكانت مما يتعلق بفعله سبحانه أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال تعالى فيما يتعلق بفعله: [وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ] [القصص:68]، وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: [وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٧﴾] [الأنعام:137].

وأنه لا يكون شيء في السموات والأرض إلا بإرادته ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء برحمته، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فما شاء كونه فهو كائن بقدرته لا محالة: [إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾] [يس:82].

رابعاً: الخلق (مرتبة الخلق):

وهو الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها وصفاتها وحركاتها: [ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾] [الزمر:62]، وقال تعالى: [وَخَلَقَ كُلَّ

(1) أخرجه مسلم في كتاب القدر باب (2) (حجاج آدم وموسى) (3/ 2044) حديث رقم (16).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢] [الفرقان:2].

إذن هو الخالق لكل شيء فلا خالق غيره، ولا رب سواه، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، [وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦] [الصافات:96][1].

المبحث الرابع: الفِرق في الإيمان بالقضاء والقدر -باختصار- ومذهب أهل السنة في ذلك:

الفرقة الأولى: وهم الجبرية، وخلاصة قولهم: إن العباد مجبورون على أعمالهم، لا قدرة لهم ولا إرادة ولا اختيار، والله وحده هو خالق أفعال العباد، وأعمالهم إنما تنسب إليهم مجازاً، قال البغدادي عن الجهم بن صفوان: «... وقال: لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، كما يقال: زالت الشمس، دارت الرحى، من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به».

الفرقة الثانية: وهم المعتزلة ومن وافقهم، وخلاصة قولهم: إن أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها.. والعبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله وقدرته فيه أثر[2].

والرد على الفرقة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه، قال تعالى: [مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ] [آل عمران:152]، [وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا] [الكهف:29] [مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦] [فصلت:46].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل،

---

(1) راجع للتوسع فيما سبق: القضاء والقدر، د. عبد الرحمن المحمود، (ص:55)، والقضاء والقدر، د. عمر الأشقر، (ص:29)، الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، (ص:148).

(2) انظر: القضاء والقدر، د. عبد الرحمن المحمود، (ص:302) وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والشرب، والبيع، والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرداته كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه.

والرد على الفرقة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل:

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كان بمشيئته، وقد بين الله في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال: [وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾] [البقرة:253]، [وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾] [السجدة:13].

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته[1].

أما مذهب أهل السنة في القدر فهو باختصار: إن سلف الأئمة وأئمتها متفقون على أن العباد مأمورون بما أمر الله به، منهيون عما نهى الله عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون على أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرم فعله؛ بل لله الحجة البالغة على عباده، وما اتفق عليه سلف الأمة – أيضاً– وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بقدرتهم ومشيئتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم: إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله [وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ] [الإنسان:30] [2].

المبحث الخامس: الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي والرد على ذلك:

هناك عدة شبه في باب القدر، لكن أكثرها شيوعاً عند كل من انحرف عن الطريق المستقيم الشبه

---

(1) شرح الأصول الثلاثة، لابن عثيمين، (ص:116)، وراجع للتوسع في الرد على الجبرية والقدرية: القضاء والقدر، د. عبد الرحمن المحمود، (ص:347)، وما بعدها.

(2) القضاء القدر، د. عمر سليمان الأشقر، (ص:97).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآتية:

الشبهة الأولى هي: أن كل من أذنب ذنباً، أو ارتكب معصية فإنه يحتج بأنه مقدر عليه، وأنه أمر مقدور، حاصل لا محالة؛ ومن ثم فما ذنب العاصي في معصيته، مادامت مكتوبة عليه، وهؤلاء يستدلون بأن آدم عليه السلام قد احتج بالقدر، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال: حج آدم موسى؛ وذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم! أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى! اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قد قدره الله عليّ قبل أن أخلق بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى –ثلاثاً**»[1].

وجواب هذه الشبهة ومناقشتها كالآتي:

1- أنه قد علم بالاضطرار أن الاحتجاج بالقدر حجة داحضة وباطلة باتفاق كل ذي عقل ودين من جميع العالمين، ويوضح هذا أن الواحد من هؤلاء إما أن يرى القدر حجة للعبد، وإما أن لا يراه حجة للعبد، فإن كان القدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس؛ فإنهم كلهم مشتركون في القدر، فحينئذ يلزم أن لا ينكر على من يظلمه، ويشتمه، ويأخذ ماله، ويفسد حريمه، ويضرب عنقه، ويهلك الحرث والنسل، وهؤلاء جميعاً كذابون متناقضون،؛ فإن أحدهم لا يزال يذم هذا، ويبغض هذا، ويخالف هذا، حتى إن الذي ينكر عليهم يبغضونه ويعادونه، وينكرون عليه؛ فإن كان القدر حجة لمن فعل المحرمات وترك الواجبات، لزمهم أن لا يذموا أحداً، ولا يبغضوا أحداً، ولا يقولوا في أحد: إنه ظالم، ولو فعل ما فعل، ومعلوم أن هذا لا يمكن أحد فعله، ولو فعل الناس هذا لهلك العالم، فتبين أن قولهم فاسد في العقل، كما أنه كفر بالشرع.

2- أنه يلزم على الاحتجاج بالقدر لازم باطل، ألا وهو تعطيل الشرائع، وحين تعطل الشرائع يلزم عليها أن يكون إبليس، وفرعون، وقوم نوح، وعاد، وكل من عذبه الله بسبب مخالفته أمره معذوراً، ويلزم –أيضاً– أن لا يفرق بين المؤمنين والكافرين، ولا بين أولياء الله وأولياء الشيطان، وهذه كلها لوازم معلوم بطلانها بالضرورة[2].

3- إن الله سبحانه خلق الإنسان وهو متمكن من الإيمان قادر عليه؛ وكما هو معلوم فإن القدرة

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في كتاب القدر (11) تحاج أدم وموسى، (7/ 214)، ورواه مسلم في كتاب القدر باب (2) حجاج آدم وموسى، (3/ 2042) حديث رقم (13).

(2) القضاء والقدر، د. عبد الرحمن المحمود، (ص:412).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التي هي شرط في الأمر تكون موجودة قبل الفعل لكل مكلف؛ ومن ثم فالإنسان قادر متمكن، وقد خلق الله فيه القدرة على الإيمان، وحينئذ فحين لا يؤمن يكون هو الذي لا يريد الإيمان، وما دام الأمر كذلك فليس لأحد أن يقول: لماذا لم يجعلني الله مريداً للإيمان؟ لأنه لو أراد الإيمان لقدر عليه؛ وما دام الإنسان مريداً قادراً فاحتجاجه بالقدر باطل.

4- وأقرب مثال على بطلان الاحتجاج بالقدر أن يقال: إذا كان معلوماً أن الله قد علم وكتب أن فلاناً يتزوج امرأة ويطؤها ويولد له ولد، وأن فلاناً يبذر البذر فينبت الزرع... إلخ، ولا يمكن لأحد أن يحتج بالقدر هنا فيقول: أنا لا أتزوج أو لا أطأ امرأة، فإن كان قدر الله أن يولد لي ولد فسيولد، أو يقول: أنا لا أبذر البذر، فإن كان قدر الله أن تنبت أرضي زرعاً فستنبت؛ لأن من قال هذا عد من أجهل الجاهلين[1].

أما حديث احتجاج موسى وآدم فقد تكلم فيه العلماء، وأطالوا في ذلك، والجواب الصحيح هو: « أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وهو كان أعلم بربه وذنبه؛ وآحاد بنيه من المؤمنين لا يحتج بالقدر، فإنه باطل، وموسى عليه السلام كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلومه على ذنب قد تاب منه، وتاب الله عليه، واجتباه، وهداه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة؛ فإن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعايب[2].

الشبهة الثانية: وخلاصتها: ما الفائدة من التكليف مع سبق الأقدار؟

وجوابها من وجوه:

1- أن هذا السؤال فاسد؛ لأن معناه إنكار أن يكون لله تعالى أية حكمة في خلق السموات والأرض وخلق البشر؛ لأن العلم السابق كاف في ثبوت هذا الحكم؛ وهذا من أبطل الباطل، وظهور ما لله من الحكم في خلقه، وفي تعريض عباده للابتلاء والامتحان، وهي حكم عظيمة جليلة لا تحصى، إنما يتم ذلك بوقوعه كما قدره الله، ولا يمكن أن يقال: إنها حاصلة بدون ذلك.

2- إقامة الحجة على العباد لا يمكن أن تتم إلا بعد إيجادهم وتمكينهم وتبيين طرق الهدى لهم، بإرسال الرسل وإنزال الكتب، حتى يعرفون طريق الهدى وطريق الشر، فيختاروا أحد الطريقين، وبعد ذلك ينالوا جزاءهم في الدار الآخرة إما النعيم وإما العذاب، ولو لم يقع الابتلاء والامتحان في الدنيا ثم

---

(1) المرجع نفسه، (ص:414).

(2) القضاء والقدر، د. عبد الرحمن المحمود، (ص:421).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عوقبوا في الآخرة على مقتضى القدر لاحتجوا على الله[1].

وخلاصة القول: إن القدر سر الله تعالى في خلقه -كما قال الطحاوي- لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان[2]، ولقد وقعت القدرية في مشاكل كثيرة في نقاشاتهم مع عوام الناس فضلاً عن علمائهم، وجعلوا لأهل الباطل عليهم سبيلاً، ومن أمثلة ذلك:

ذكر عمر بن الهيثم قال: خرجنا في سفينة، وصحبنا فيها قدري ومجوسي، فقال القدري للمجوسي: أسلم. فقال المجوسي: حتى يريد الله. قال القدري: إن الله يريد، ولكن الشيطان لا يريد. قال المجوسي: أراد الله وأراد الشيطان فكان ما أراد الشيطان، هذا الشيطان، قوي. وفي رواية أنه قال: فأنا مع أقواهما.

يذكر أهل العلم أن أعرابياً أتى عمرو بن عبيد -شيخ المعتزلة- فقال له: إن ناقتي سرقت، فادع الله أن يردها عليّ. قال عمرو بن عبيد: اللهم إن ناقة هذا الفقير سرقت، و لم ترد سرقتها، اللهم اردها عليه. فقال الأعرابي: الآن ذهبت ناقتي وآيست منها.قال: وكيف؟ قال: لأنه إذا أراد أن لا تسرق فسرقت، لم آمن أن يريد رجوعها فلا ترجع، ونهض من عنده منصرفاً.

ونذكر من كان في قلبه شيء من القدر بالقواعد الآتية:

1- علم الله الأزلي محيط بكل شيء مما كان ومما سيكون ومما لم يكن لو كان كيف يكون، والأمور تقع على مقتضى علمه الكامل، لا يخرج شيء عنه.

2- غنى الله الكامل عن العباد؛ حيث لا تنفعه طاعة المطيع، كما لا تضره معصية العاصي، وغناه تعالى شامل ومطلق؛ وهذا يفيد في طمأنينة القلب عند المؤمن في هذا الباب، وأن الله ليس بحاجة إلى العباد حتى يجبرهم أو يعذبهم بغير ذنب يستحقون العقاب عليه.

3- القاعدة الثالثة: وهي مبنية على القاعدة السابقة، وهي أن الله تعالى لا يظلم، وقد حرم على نفسه الظلم، ونفاه في كتابه فقال تعالى [وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾] [الكهف:49]، وفي معنى هذه الآية آيات كثيرة تنفي عن الله تعالى ظلم العباد لا في عقوباتهم في الدنيا ولا في جزائهم في الآخرة. وهذه قاعدة مهمة في باب الاحتجاج بالقدر؛ فإذا توهم العبد أو وسوس له الشيطان؛

---

(1) راجع هذه الشبه وغيرها تفصيلاً في المرجع السابق من (ص:407) إلى (ص:443).

(2) القضاء والقدر، د. عمر الأشقر، (ص: 100).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فليتذكر أن الله لا يظلمه مثقال ذرة، حتى يطمئن قلبه. وهذا الذي أجاب به بعض السلف حين قال شخص محتجاً بالقدر، قال: لأن الله لا يظلمك.

4- قيام الحجة على العباد، وهذه مسألة يجب أن يدركها كل مسلم، ومقتضاها أن حجة الله قد قامت على عباده، وقيام الحجة على العباد بأمور منها:

أ- أن لا يكلف إلا البالغ العاقل؛ فالصغير والمجنون قد رفع عنه القلم.

ب- وجود الإرادة للعبد؛ ففاقد الإرادة المكره لا يكلف، وحصول هذه الإرادة للعبد مما لا ينكره أي عاقل؛ وبهذه الإرادة يختار بين الطاعة والمعصية.

ج- القدرة؛ فالعاجز عن فعل الشيء المطلوب لا يكلف، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والله لم يكلف الناس ما لا يطيقون.

د- قيام الحجة الرسالية؛ بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وبهذه الأمور نعلم أن الحجة قد قامت على العباد، ولا تعارض بينهما وبين القدر السابق..[1].

المبحث السادس: الأخذ بالأسباب لا ينافي الأخذ بالقدر:

يجب أن لا يغيب عن بالنا أننا مأمورون بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى والإيمان أن بيده ملكوت كل شيء، والإيمان بأن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله تعالى فالذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج والثمار، فمن أراد النسل الصالح فلا بد أن يتخذ سبباً وهو الزواج الشرعي؛ ولكن هذا الزواج قد يعطي الثمار، وهي النسل، وقد لا يعطي، حسب إرادة العزيز الحكيم، ومشيئة اللطيف الخبير: [يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ۝٥٠] [الشورى:49-50]، ولهذا يحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب، فلو ترك إنسان السعي في طلب الرزق لكان آثماً، مع أن الرزق بيد الله.

وقد بين صلى الله عليه وسلم أن الأسباب المشروعة هي من القدر، فقيل له: «**أرأيت رقى نسترقي بها، وتقى نتقي بها، وأدوية نتداوى بها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال: هي من قدر**

(1) القضاء والقدر، د. عبد الرحمن المحمود، (ص:411).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله»[1].

فالالتفات إلى الأسباب واعتبارها مؤثرة في المسببات، شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع.

ولهذا بكّت عمر بن الخطاب ا جماعة من أهل اليمن، كانوا يحجون بلا زاد فذمهم؛ قال معاوية بن قرة: لقي عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: بل أنتم المتواكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حَبَّه في الأرض ثم يتوكل على الله[2].

المبحث السابع: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر:

1- الاعتماد على الله وحده، لأن كل شيء بقدر الله.

2- أن الإيمان بالقدر يعصم الإنسان بإذن الله من البطر والطغيان إذا أصابه الخير، ومن الحزن والأسى إذا أصابه الشر؛ لأن ما حدث قد جرت به المقادير وسبق به علم الله. وما أحسن ما قاله إبراهيم الحربي / حين قال: «من لم يؤمن بالقدر لم يتهن بعيشه».

3- ألا يُعْجَب المرء بنفسه عند حصول مراده؛ لأن حصول ذلك المراد نعمة من الله الذي قدر حصولها، وإعجاب المرء بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

4- القوة والثبات في الحق، لأن الأرزاق والآجال مقدرة، ولا يملك أحد سوى الله تغييرها بالنقص أو الزيادة.

5- الإيمان بالقدر يغرس القناعة في نفس المؤمن.

6- أن الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تعصف بالمجتمعات وتزرع الأحقاد بين الناس، وذلك مثل رذيلة الحسد؛ فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لأنه يدرك أن الله هو الذي رزقهم وقدر لهم ذلك، وهو يعلم أنه عندما يحسد غيره؛ فإنه يعترض على ما قدره الله.

7- الصبر على المصائب، قال صلى الله عليه وسلم : «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيراً له»[3][4].

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الطب باب(21) ما جاء في الرقى والأدوية (4/ 399) حديث رقم (2065) وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي كتاب الطب باب (20) في الرقى والأدوية، (ص:231) حديث رقم (359).

(2) الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، (ص:163).

(3) الحديث رواه مسلم في كتاب الزهد باب (المؤمن أمره كله خير) حديث رقم (999).

(4) انظر: المدخل إلى الثقافة الإسلامية، مجموعة مؤلفين، (ص:156)، والقضاء والقدر، د. عبد الرحمن المحمود، (ص:447)، و

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المراجـــــــــــــع

1-أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة – الدكتور حمد بن ناصر العمار- الطبعة الثالثة – دار أشبيليا – الرياض (1418-1998).

2-أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة – لحافظ أحمد الحكمي- تحقيق حازم القاضي – الطبعة بدون – وزارة الشئون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية (1420).

3-الأعلام – لخير الدين الزركلي – الطبعة الخامسة – دار العلم للملايين (1980).

4-الإيمان أركانه حقيقته نواقضه – للدكتور محمد نعيم ياسين – الطبعة الأولى مكتبة الفلاح الكويت (1403-1998).

5-اليوم الآخر في ظلال القرآن – جمع وإعداد أحمد فائز – الطبعة الثامنة والعشرون – مؤسسة الرسالة (1418-1998).

6-البداية والنهاية – لأبي الفداء ابن كثير – دقق أصوله وحققه – دكتور أحمد أبو ملحم وزملاؤه – الطبعة الأولى – دار الريان للتراث – القاهرة (1408-1988).

7-التدمرية – لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية – تحقيق د. محمد بن عودة السعودي – الطبعة الثالثة – مكتبة العبيكان – الرياض (1416-1995).

8-الرسالة والرسالات – للدكتور عمر الأشقر – الطبعة بدون – مكتبة الفلاح الكويت.

9-التفسير الكبير – للفخر الرازي – الطبعة الثانية – دار الكتب العلمية – طهران.

10- تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – الطبعة الأولى – دار ابن كثير – دمشق بيروت (1415هـ-1994م).

11- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – للدكتور وهبة الزحيلي – الطبعة الأولى – دار الفكر المعاصر – دمشق (1411هـ-1991م).

12- حقيقة التوحيد والفرق بين الربوبية والألوهية – للدكتور علي بن نفيع العلياني – الطبعة الأولى – دار الوطن للنشر – الرياض (1419هـ-1998م).

13- الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار – للدكتور غالب بن علي

القضاء والقدر، د. عمر الأشقر، (ص:109) وركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:426).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عواجي – الطبعة الأولى – دار لينة للنشر والتوزيع – مصر (1417-1997م).

14- خصائص القرآن – للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي – الطبعة الثالثة – الدار بدون (1409هـ).

15- دراسات إسلامية – لسيد قطب – الطبعة بدون – دار الشروق بيروت.

16- ديوان أبي ماضي – لإيليا أبو ماضي – الطبعة بدون – دار العودة – بيروت (1998م).

17- ركائز الإيمان – لمحمد قطب – الطبعة الأولى – دار اشبيليا – الرياض – (1417هـ-1997م).

18- سير أعلام النبلاء – لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي – الطبعة الحادية عشرة – دار الرسالة – بيروت (1417هـ-1996م).

19- سنن ابن ماجه – للحافظ محمد بن يزيد القزويني – طبعة (1401هـ) استانبول (مجموعة الكتب الستة).

20- سنن أبي داود – للحافظ سليمان بن أشعث السجستاني طبعة (1401هـ) استانبول (ضمن مجموعة الكتب الستة).

21- سنن الترمذي – للحافظ محمد بن عيسى بن سوره – طبعة استانبول (1401هـ) (ضمن مجموعة الكتب الستة).

22- سنن النسائي – للحافظ أحمد بن شعيب الخراساني – طبعة استانبول (1401هـ) (ضمن مجموعة الكتب الستة).

23- شرح الأصول الثلاثة – للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين – الطبعة الرابعة – دار الثريا للنشر والتوزيع – الرياض (1418-1998م).

24- صحيح البخاري – للحافظ محمد بن إسماعيل البخاري – طبعة استانبول (1401هـ) (ضمن مجموعة الكتب الستة).

25- صحيح مسلم – للحافظ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري – طبعة استانبول (1401هـ) (ضمن مجموعة الكتب الستة).

26- صحيح سنن ابن ماجه – لمحمد ناصر الدين الألباني – الطبعة الثالثة – المكتب الإسلامي، بيروت (1408هـ-1988م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

27- صحيح سنن أبي داود - لمحمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى - المكتب الإسلامي - بيروت (1409هـ - 1989م).
28- صحيح سنن الترمذي - لمحمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى - المكتب الإسلامي، بيروت (1408هـ - 1988م).
29- صحيح سنن النسائي - لمحمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى - المكتب الإسلامي، بيروت (1409-1988م).
30- صلاح الأمة في علو الهمة - للدكتور سيد العفاني - الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة - بيروت (1420هـ - 1999م).
31- ضعيف سنن أبي داود - لمحمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى - المكتب الإسلامي، بيروت (1412-1991م).
32- ضعيف سنن الترمذي - لمحمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى - المكتب الإسلامي، بيروت (1411هـ - 1991م).
33- العبادة في الإسلام - للدكتور يوسف القرضاوي - الطبعة الرابعة والعشرون - مؤسسة الرسالة، بيروت (1413هـ - 1993م).
34- العقيدة الصافية للفرقة الناجية - لسيد سعيد عبد الغني - الطبعة الرابعة - دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة (1422هـ- 2001م).
35- العقيدة الواسطية - للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - الطبعة الأولى - مكتبة طبرية، الرياض (1413هـ - 1993م).
36- العقيدة في الله - للدكتور عمر الأشقر - الطبعة الخامسة - مكتبة الفلاح، الكويت (1984م).
37- عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين - للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي - الطبعة الأولى - الناشر بدون (1401هـ).
38- عقيدة التوحيد - الدكتور صالح الفوزان - الطبعة الأولى - دار العاصمة، الرياض (1420هـ - 1999م).
39- عقيدة ختم النبوة - لأحمد الغامدي - الطبعة الأولى - دار طيبة الرياض (1405هـ).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

40- عمدة التفسير - لأحمد محمد شاكر - الطبعة الأولى - دار الوفاء للطباعة والنشر - مصر (1424هـ - 2003م).

41- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - لأحمد بن عبد الرزاق الدويش - الطبعة الأولى - دار المؤيد، الرياض (1424هـ).

42- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت (1410هـ- 1989م).

43- في ظلال القرآن - لسيد قطب - طبعة الواحدة والثلاثون - دار الشروق - القاهرة (1423 - 2002م).

44- قبسات من حياة الرسول - لمحمد قطب - الطبعة الخامسة - دار الشروق - بيروت (1398- 1978م).

45- القضاء والقدر - للدكتور عمر سليمان الأشقر - الطبعة الخامسة - دار النفائس - الأردن (1421هـ - 2000م).

46- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه - للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود - الطبعة الثانية - دار الوطن - الرياض (1418هـ - 1997م).

47- القيامة الكبرى - للدكتور عمر سليمان الأشقر - الطبعة الثانية - مكتبة الفلاح - الكويت (1408هـ - 1988م).

48- لا يأتون بمثله - لمحمد قطب - الطبعة الأولى - دار الشروق - القاهرة (1422هـ- 2002م).

49- لسان العرب - للعلامة ابن منظور - الطبعة الثالثة - مؤسسة التاريخ العربي ودار الإحياء التراث - بيروت (1419هـ - 1999م).

50- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة - للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان - الطبعة الخامسة - دار ابن عفان - القاهرة ودار السنة - الخبر (1418هـ- 1997م).

51- المدخل للثقافة الإسلامية - مجموعة مؤلفين - الطبعة الأولى - دار الوطن - الرياض (1406هـ).

52- مسند الإمام أحمد - طبعة استانبول (1401هـ) (ضمن مجموعة الكتب الستة).

53- معارج القبول - لحافظ أحمد حكمي - الطبعة الأولى - دار ابن القيم - الدمام (1423هـ - 2003م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

54- مفاهيم ينبغي أن تصحح - لمحمد قطب - الطبعة الثالثة - دار الشروق - القاهرة (1408هـ - 1988م).

55- مقرر التوحيد - للدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف - الطبعة الأولى - دار الوطن - الرياض (1417هـ).

56- منهج دراسات لآيات الأسماء والصفات - للشيخ محمد الأمين الشنقيطي - الطبعة بدون - توزيع الجامعة الإسلامية - المدينة النبوية.

57- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن حميد وعبد الرحمن بن ملوح - الطبعة الثانية - دار الوسيلة - جدة (1419هـ - 1999م).

58- نظرات في الثقافة الإسلامية - مجموعة من المؤلفين - الطبعة السادسة - دار الفرقان - الأردن (1424هـ - 2004م).

59- نواقض الإيمان القولية والعملية - للدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف - الطبعة الثانية - دار الوطن - الرياض (1415هـ).

60- نواقض توحيد الأسماء والصفات - للدكتور ناصر القفاري - الطبعة الأولى - دار طيبة - الرياض - (1419هـ).

61- نحو ثقافة إسلامية أصيلة - للدكتور عمر الأشقرة - الطبعة الثانية عشرة - دار النفائس، الأردن (1423هـ).

62- هل نحن مسلمون - لمحمد قطب - الطبعة بدون - دار الشروق - القاهرة (1402هـ - 1982م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

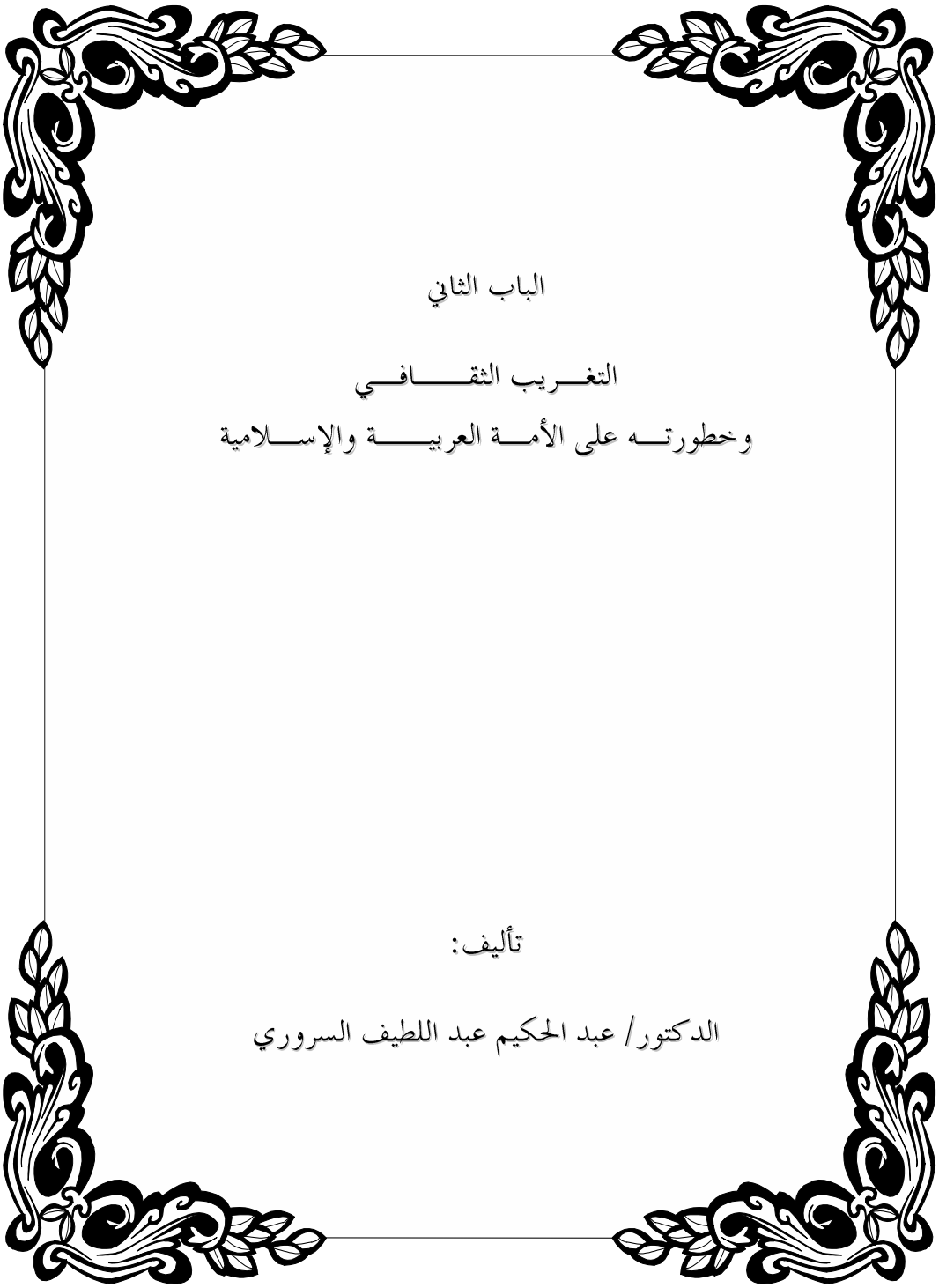

الباب الثاني

التغـــريب الثقـــــافـــي
وخطورتـــه على الأمـــة العربيـــــة والإســـلامية

تأليف:

الدكتور/ عبد الحكيم عبد اللطيف السروري

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

التغـــــريب الثقـــافـــي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

أطوار التغريب الثقافي

إن العداء للدين الإسلامي ليس ابن اليوم، ولا ابن الأمس القريب، إنما عمره أربعة عشر قرناً وربعاً، أي منذ نزل هذا الدين والعداء لا يكف حتى يشتعل من جديد.

ويأتي التغريب الثقافي في آخر سلسلة هذا العداء، إذ يعد أحدث حلقات الصراع الدائر بين المسلمين وغيرهم ممن لا يعجبهم تمسك المجتمع الإسلامي بأصالته التي ترتكز على عقيدته الإسلامية، وهو أكثرها خطراً على ثقافة وأصالة الأمة الإسلامية.

وقد مر التغريب الثقافي بالأطوار الآتية:

الطور الأول: الإسرائيليات:

بدأ مبكراً عندما دخل بعض المجوس واليهود في الإسلام من أمثال: عبد الله بن سبأ، وابن المقفع، وابن الراوندي.. وغيرهم، وتميز هذا الطور بمحاولة خلط العقيدة بما ليس فيها.

وتمثل هذا الخلط في الإسرائيليات: في التفسير، والحديث، والأدب، ولقد كان اهتمام بعض الخلفاء بمجالس الأدب والعلم وحماية أصحابها أرضاً خصبة لظهور وانتشار بعض الأفكار والاتجاهات الغريبة عن العقيدة الإسلامية.

ولكن هذا الطور لم يكن مؤثراً، و لم يحقق الأهداف المرجوة منه؛ ذلك بفضل قوة تمسك الأمة الإسلامية بدينها، الأمر الذي جعلها تختار وتنتقي وترد وتنقد ما واجهته من ثقافات أخرى.

الطور الثاني: الحروب الصليبية الأولى:

يتميز هذا الطور من التغريب باعتماده على قوة السلاح، وتمثل في الحروب الصليبية التي كانت تستهدف المسلمين في عقيدتهم التي هي مصدر قوتهم، وتنصيرهم إن أمكن دفاعاً عن الكنيسة بعد أن رأت الزحف الإسلامي الثقافي يكاد يطيح بسلطانها على الناس في بلادهم، يقول (ساذرن): «لقد كانت هذه الحال -أي اهتمام المسيحيين بالإسلام وفكره- معروفة بالنسبة إلى الإسلام من جانب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغرب المسيحي، وكان كثير من رجالاته يرقبون بقلق كيف تؤثر القيم الإسلامية على الفهم المسيحي تأثيراً تدميرياً عندما تواجهها، وقد رأى اللاهوتيون فيما بعد أن حماية المسيحية من الإسلام لا تكون إلا بضربة عسكرية والاستيلاء على أرضه أو إقناع معتنقيه باتخاذ المسيحية ديناً»[1].

انتهت هذه الحروب بالهزيمة الساحقة للصليبيين، ولم يحققوا شيئاً مما خرجوا من أجله، رغم بذلهم السخي فيه من أموال ودماء، وقد وقع (لويس التاسع) ملك فرنسا في الأسر بعد هزيمة حملته الصليبية، وبقي سجيناً في المنصورة فترة من الوقت حتى افتداه قومه وفك أسره.

وأثناء سجنه أخذ يتفكر فيما حل به وبقومه، ثم خرج بوصيته المشهورة بـ(وصية القسيس لويس التاسع) التي يقول فيها: «إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده -فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح- ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم».

فلما عادت الحروب الصليبية في العصر الحديث لغزو العالم الإسلامي مرة أخرى لم تكتف بالسلاح وحده، ولكنها استصحبت معها تلك الوسيلة الخبيثة التي نطلق عليها اسم (**الغزو الفكري**).

الطور الثالث: الغزو الفكري:

التعريف اللغوي: كلمة الغزو من (غزاه، يغزوه، غزواً) وهي تحمل معنى القصد والإرادة والطلب.

هو الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة، وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وسلوك[2].

بدأ هذا الطور في أثناء وجود قوات الاحتلال في بلاد المسلمين وتمثل في مجالين:

الأول: داخلي ويكمن في فرض خطوات التغريب الثقافي بالقوة والضغط السياسي المستند إلى الوجود العسكري.

والثاني: خارجي حيث التأثير في فكر المسلمين المبتعثين للدراسة في البلدان الأوروبية.

أما بعد انتهاء الاحتلال الأجنبي للبلدان الإسلامية فكان الهدف النهائي للغزو الفكري هو: الوصول إلى التغريب الثقافي؛ أي: إلى خلع الإنسان عن دينه وثقافته.

---

(1) ساذرن. صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى. ترجمة رضوان السيد، بيروت (1984م)، (ص:58).

(2) محمد قطب: واقعنا المعاصر، (ص:195).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطور الرابع: التغريب الثقافي:

التعريف اللغوي:

التغريب في اللغة هو: التروح عن الوطن والإمعان في البلاد.

أو هو: النفي عن البلد والإبعاد عنها، أصله: غرب. يقال: غربت الشمس غروباً بَعُدت وتوارت، وغرب الشخص: ابتعد عن وطنه فهو غريب، وغربته أنا تغريباً[1].

على ضوء ذلك يمكن أن نقول: إن التغريب الثقافي هو:

وقوع ثقافة مجتمع ما تحت تأثير ثقافة غريبة أقوى منها عن طريق الاحتكاك غير المتوازن؛ بهدف إبعاد هذه الثقافة عن جذورها، وتغيير أهم معالمها لتصبح غريبة عن أصولها الاجتماعية التي نشأت وتكونت فيها وميزت مجتمعها عن المجتمعات الأخرى.

أو هو: محاولة لإبعاد المجتمع عن ثقافته الأصلية وإرغامه بطرق غير مباشرة على قبول ثقافة غريبة عنه.

أو هو: محاولة لخلع الإنسان من هويته الثقافية، أي خلعه من انتمائه إلى عقيدة وفكر ووطن، وجعله تابعاً لعقيدة وفكر ووطن غريب، أو تركه دون عقيدة أو فكر أو وطن.

الاختلاف بين التغريب الثقافي والغزو الفكري:

1- يستهدف التغريب الثقافي جميع أفراد المجتمع بمختلف طبقاته الاجتماعية ومستوياته الثقافية وأنماطه الحياتية؛ أي أنه يستهدف العادات والتقاليد والسلوك، بينما يستهدف الغزو الفكري فئة اجتماعية، هي فئة المثقفين.

2- خطورة التغريب الثقافي تكمن في أنه يصل مباشرة إلى ضحاياه الذين لا يستطيعون الاختيار والانتقاء، بينما ضحايا الغزو الفكري -عادةً- ما يكونون ممن يستطيعون ذلك بحكم انتمائهم إلى فئة المثقفين الذين اعتادوا الاحتكاك بأكثر من ثقافة أو اتجاه فكري، وتعلموا المقارنة بينها، والتمييز بين ما هو صالح وما هو طالح.

---

(1) انظر: القاموس المحيط (مادة: غرب).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

وسائل التغريب الثقافي

وسائل التغريب الثقافي كثيرة ومتعددة، ولكن يمكن حصرها في مجالين أساسين: مناهج التعليم، ووسائل الإعلام.

أولاً: مناهج التعليم:

حين دخل الإنجليز مصر عام (1882م) نهض (جلادستون) رئيس الوزارة البريطانية يومئذ في مجلس العموم البريطاني من مقعده وهو يشير إلى المصحف قائلاً: «ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق)[1].

وفي الذكرى المئوية على استعمار الجزائر قال الحاكم الفرنسي في الجزائر: «إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرءون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم»[2].

وفي مؤتمر المنصرين الذي عقد بالقاهرة عام (1906م) وقف الخطباء يقولون: «لقد فشلنا! فقد فتحنا المدارس والمستشفيات والملاجئ، وأعطينا الأموال وقدمنا الخدمات، ثم لا يدخل في النصرانية بعد ذلك إلا طفل صغير خطفناه من أهله قبل أن يعرف عقيدة أهله، أو رجل كبير جاء إلينا من أجل المال ولا نضمن عقيدته مع ذلك! فقام الأب (زويمر)[3] مقرر المؤتمر يرد عليهم: لقد استمعت إلى إخواني الخطباء، ولست موافقاً على ما يقولون. فليست مهمتنا هي تنصير المسلمين؛ فهذا شرف ليسوا جديرين به، ولكن مهمتنا هي صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، وفي ذلك نجحنا نجاحاً باهراً بفضل مدارسنا التنصيرية والسياسية التعليمية التي وضعناها للبلاد الإسلامية!»[4].

الشاهد من هذه الأقوال هو صرف المسلمين عن دينهم وعن قرآنهم، وليكونوا -بعد ذلك- ما يكونون.

---

(1) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق، (ص:39).

(2) جلال العالم: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله (ص:29).

(3) منصر بروتستاني كان له نشاط تنصيري واسع في البلاد الإسلامية، وأوصى قبل موته بأن يدفن في مقابر اليهود.

(4) انظر: الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة: محب الدين الخطيب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بدأت المؤامرة على التعليم منذ زمن بعيد بالتدريج وعلى عدة مراحل هي:

1- فتح مدارس الإرساليات التنصيرية من قبل الغرب المستعمر في بلاد المسلمين على كافة المستويات من رياض للأطفال حتى الجامعات، فأنشأوا أول مدرسة للبنات في بيروت عام (1830م)، وعلى الرغم من أن اهتمامهم قد انصرف أولاً إلى الأطفال والبنات في سن مبكرة، وأنشأوا ألوفاً من مدارسهم في البلاد الإسلامية الأخرى في أفريقيا وآسيا، فإنهم كانوا يرون أن التعليم العالي لا يقل أهمية عن سائر درجات التعليم؛ لأنه يساعدهم على الوصول إلى الطبقات المثقفة لنشر آرائهم ومفاهيمهم بين هذه الطبقات حتى تتسرب بواسطتهم إلى جميع أفراد المجتمع الإسلامي.

وعلى هذا الأساس أنشأ (المنصرون البروتستانت) كلية في بيروت عام (1862م) وأطلقوا عليها (الكلية السورية الإنجيلية) التي أصبحت اليوم (الجامعة الأمريكية) في بيروت، ثم أنشأوا كلية في القاهرة وأخرى في استانبول، وأنشأ الفرنسيون كلية لهم في مدينة لاهور[1].

بالإضافة إلى التفاته إلى البعثات التي تفد إلى دياره، ويتضح بذلك أن تنفيذ هذه الوسيلة قد أخذ طابع الاحتواء الكامل لكل أنواع المؤسسات التعليمية والثقافية والتوجيهية، بالإضافة إلى المؤسسات الطبية والمراكز الاجتماعية.. وغيرها.

2- شطر نظم التعليم إلى شقين: تعليم ديني، وتعليم أسموه: تعليماً مدنياً، مع احتواء هذا الأخير على بعض العلوم الشرعية.

3- إضعاف العلوم الشرعية في التعليم المدني وتبلور في الآتي:

أ- طريقة وضع المنهج.

ب- طريقة تدريسه.

ج- موقع حصصه في اليوم الدراسي.

د- الحط من مدرسيه وإهمالهم.

4- تخفيض عدد الساعات للعلوم الشرعية مع تعديل هذه العلوم بما يتوافق مع الاتجاهات العلمانية والعولمية.

أما التعليم الديني: فحاولوا إضعافه من خلال ما أدخلوه فيه -باسم التطوير- من مقررات لبعض المواد غير الشرعية، لا لتوسع أفق الطالب، ولكن لمزاحمة مقررات المواد الشرعية، وبعد ذلك طالبوا تخفيفاً على الطالب -تخفيض حجم المواد الشرعية.

---

(1) انظر: التبشير والاستعمار، (ص:77-80).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي حقبة ما بعد (11-سبتمبر -2001م) ازدادت الهجمة شراسة ووضوحاً وصراحة على المقررات الشرعية في التعليم الديني وغيره، بدعوى أن هذه المناهج هي المسئولة عن تفريخ الإرهاب، بل نالت هذه الهجمة الإسلام نفسه ومصادره الأصيلة ووضعوا الخطط -وما يزالون- للتدخل في هذا التعليم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: الإعـــــــــلام:

استخدم التنصير كل وسائل الإعلام: من صحف، ومجلات، وإذاعـــات، وقنـــوات تلفزيونيـــة، وسينما.. وغيرها من الوسائل الحديثة كالبريد الإلكتروني وشبكة الإنترنت؛ حتى تتسع دائرة نشـــاطه ويصل إلى أكبر عدد ممكن من المسلمين، لذلك قام المنصرون بتأليف الكتب والقصص والروايات الـــتي تدعم نشاطهم؛ حتى اشتهر في عالم الأدب ما عرف بـــ(الأدب التنصيري)، وهـــو يتمثـــل في ألـــوان الأدب المختلفة من قصة، ومسرحية، وقصيدة ومقالة، وخاطرة، ونصوص سينمائية، وكلها تحمـــل في طياتها الدعوة إلى اعتناق النصرانية والتنفير من الإسلام.

كما دعت الكنيسة في انجلترا أتباعها إلى أداء الصلاة على الإنترنت، وفتحت الكنيســـة موقعـــاً على الشـــبكة تـــبين مـــن خلالـــه كيفيـــة أداء الصـــلاة بشـــكل بســـيط، وربطـــت الكنيســـة في الموقع نفسه بين الالتزام بالصلاة وبين التمسك بالريجيم الغذائي، أو المواظبة علـــى العنايـــة بحديقـــة المترل[1].

هذه هي أهم وسائل القوم في الدعوة إلى دينهم الباطل وعقائدهم الفاسدة؛ وأياً كانـــت فهنـــاك وسائل كثيرة غيرها مثل: تشجيع تحديد النسل بين المسلمين، والنوادي، واستخدام المرأة عـــن طريـــق الصداقات المحرمة مع الشباب، والفنادق العالمية الكبرى، والأســـواق وإغـــراق المجتمـــع بالشـــهوات، وأسلوب المراسلات.. وغيرها.

(1) انظر: أحمد عبد الله سيف الرفاعي، التنصير يغزو العالم الإسلامي، مجلة البيان، العدد (153)، (ص:49).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

مؤسسات التغريب الثقافي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

الاستشـــــــــــــراق

أولاً: التعريف والنشأة:

– تعريف الاستشراق:

كلمة الاستشراق لفظة مولدة من لفظ (استشراق) المأخوذ من مادة (شرق) أي مستشرق.

فالاستشراق مصطلح مولد سكّه العرب المحدثون مقابلاً لكلمة: «Orientalism» الإنجليزية، وكلمة: «Orientalisme» الفرنسية، وأغلب الظن أنه دخل العربية أول ما دخل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أو نحو ذلك[1].

والمقصود به: دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون –من أهل الكتاب بوجه خاص– للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخياً، ونظماً، وثروات وإمكانيات.. بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدّعي العلمية والموضوعية وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي[2].

وكان أول ظهور للمستشرقين في اللغة الإنجليزية نحو عام (1779م)، وباللغة الفرنسية عام (1799م)[3].

– نشأة الاستشراق:

اختلف الباحثون كثيراً في بداية حركة الاستشراق على أقوال عدة؛ فبعض منهم يُرجع تاريخ الاستشراق في بعض البلدان الأوروبية إلى القرن الثالث عشر الميلادي، ومنهم من يقول بأن هناك محاولات غير منظمة ظهرت قبل هذا التاريخ من القرن العاشر الميلادي، غير أن المصادر لا تلقي

---

(1) انظر: مقالة (الاستشراق) في دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب، بإدارة: فؤاد أفرام البستاني، المجلد (12)، (1977م)، (ص:1).

(2) د. أحمد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق، ط.ثانية (1411هـ)، (ص:7).

(3) عبد النبي اصطيف: نحو استشراق جديد. مجلة الاجتهاد، العدد (50، 51) السنة الثالثة عشرة، ربيع وصيف العام (2001م-1422هـ)، (ص:40).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الضوء الكافي على الموضوع وإن أشارت إلى بعض المستشرقين كأفراد. ويكاد المؤرخون يجمعون على أن الاستشراق انتشر في أوروبا بصورة جدية بعد فترة الإصلاح الديني، أي في القرن السادس عشر الميلادي، كما يشهد بذلك التاريخ في هولندا والدينمارك وغيرهما.

ثانياً: دوافع المستشرقين وأهدافهم:

إذا كان الاستشراق قد بدأ بدراسة اللغة العربية والإسلام، فإن الدافع لذلك لم يكن دافعاً علمياً خالصاً لدى جمهرة المستشرقين؛ لأن من طبيعة الدافع العلمي أن يكون نزيهاً عادلاً، حريصاً على استجلاء الحقيقة بتجرد وصدق وإنصاف، لا تتحكم فيه موروثات أو رواسب ثقيلة مما صنعته البيئة الخاصة، أو أملته وقائع تاريخية معينة تتم بتسجيل فترات الخصومات الدموية والنزاع العدواني.

ولكن هذه الشروط التي تجعل دراسة الاستشراق للإسلام وتاريخه واللغة العربية عملاً علمياً صحيحاً ليست متوفرة للمستشرقين الأوروبيين الذين اتجهوا للدراسات الإسلامية، ذلك أن موقف الأوروبي من الإسلام ليس موقف كره في غير مبالاة فحسب، كما هي الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات، بل هو كره عميق الجذور يقوم في الأكثر على صدور من التعصب الشديد، وهذا الكره ليس عقلياً فحسب، لكنه يصطبغ -أيضاً- بصبغة عاطفية قوية، فقد لا تقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية، لكنها تحتفظ دائماً -فيما يتعلق بهذين المذهبين- بموقف عقلي متزن ومبني على التفكير، إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب؛ حتى أن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام، ويظهر في جميع بحوثهم -على الأكثر- كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته. إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول إثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع، فهو مع اقتناعه شخصياً بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور اعتبار الأسباب المخففة.

وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش؛ تلك الدواوين التي أنشأتها (الكنيسة الكاثولوكية) لخصومها في العصور الوسطى؛ أي أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون إليه مبدئياً، وإذا تعذر عليهم الاختيار العرفي للشهود، عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التي شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن أو تأولوا الشهادات بروح غير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

علمي من سوء القصد، دون أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر، أي من قبل المسلمين أنفسهم.

وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام وللأمور الإسلامية نواجهها في جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا، وليس ذلك قاصراً على بلد دون آخر -إنك تجده في إنكلترا وألمانيا، وفي روسيا وفرنسا، وفي إيطاليا وهولندا- وبكلمة واحدة، في كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام، ويظهر أنهم ينتشون بشيء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة -حقيقية أو خيالية- ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد[1].

أولاً: الدافع الديني ويتلخص في الآتي:

1- الضعف في الإسلام وتشويه حقائقه، والافتراءات عليه بمختلف الأكاذيب من قبل الرهبان؛ لكي يثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام هو الخصم الوحيد للمسيحية، وهو دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي[2].

2- حماية النصارى من خطر الإسلام بالحيلولة بينهم وبين رؤية حقائقه الناصعة، وآياته البينة الواضحة، وتاريخه المجيد؛ حتى لا يؤثر فيهم فيدخلوا فيه.

3- محاولة تنصير المسلمين: من أجل ذلك جهزوا جيوشاً من المنصرين لهذا الغرض، ووضعوا بين أيديهم الإمكانيات الكبيرة، فمن أجل هذا الغرض عقدوا مؤتمرات عدة بدأوها بمؤتمر (فينا) الكنسي سنة (1312هـ) الذي قرروا فيه إنشاء كراسي جامعية للغة العربية كما حصل في جامعة كمبردج آنذاك وغيرها؛ ليسهل عليهم التعرف على الإسلام ومعرفة مكامن الضعف عند المسلمين فيتسللوا من خلالها.

ثانياً: الدافع الاستعماري:

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين في القرنين الخامس والسادس الهجريين لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام، لذا اتجهوا إلى دراسة هذه البلدان في كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات، فجندوا لهذه المهمة عدداً كبيراً ممن لهم دراية بأحوال

---

(1) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق، (ص:52-54).

(2) افتراءات فيليب حبيب وربوكلمان على التاريخ الإسلامي: (ص:18)، د. محمود زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، (ص:72).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البلاد الإسلامية، وسخروا علمهم لخدمة الاستعمار؛ فكان هؤلاء المستشرقون عملاء لحكوماتهم، وشركاء لهم في صنع القرار السياسي في آن واحد.

وقد قام هؤلاء المستشرقون بدراسة هذه البلاد في كل شئونها؛ للتعرف على مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها، ولإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم، وكان لهم في ذلك دسائس تسللوا إلى نفوس المسلمين:

1- التشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث، وبما عندهم من عقيدة وشريعة، وخلق وقيم إنسانية ليفقدوا الثقة بأنفسهم ويرتموا في أحضان الغرب يستجدون منهم المقاييس الأخلاقية والعقائد والحلول لمشاكلهم؛ ليتم للغرب إخضاع المسلمين لحضارته وثقافته إخضاعاً كاملاً.

2- إحلال مفاهيم جاهلية ماتت منذ انتشر الإسلام، كالقوميات الفرعونية، والفينقية، والآشورية، والوثنية، والكردية، والتركية، والفارسية، ونحو ذلك؛ ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الواحدة.

3- إحلال الفتن الطائفية بين السكان المسلمين وبين غيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى، وما حرب لبنان عنا ببعيد! وإشعال الفتن بين الدول الجارات، وتمزيق وحدة الأمة الواحدة باتباعهم سياسة (فرق تسد)، وطبخ الانقلابات العسكرية لصالح سياسة دولة من دولهم... حتى باتت كثير من حكوماتنا عسكرية تحكم شعوبها بالحديد والنار، وسفك الدماء، وسجن الأحرار والمصلحين، مع أنهم لا يرضون لأنفسهم إلا الديمقراطية وكامل الحرية الشخصية للفرد.

ثالثاً: الدافع السياسي:

بعد تحرر البلاد الإسلامية من الاستعمار العسكري رأى ساسة الغرب أن يكون للاستعمار طابع آخر، طابع (الاستعمار الفكري)؛ لذا اقتضى الأمر أن تزود القنصليات والسفارات والمؤسسات الدولية التابعة لهم بمن لديهم الخبرة في الدراسات الاستشراقية ويحسنون اللغة العربية؛ ليقوموا بمهمات سياسية متعددة منها:

1- الاتصال بالسياسيين والتفاوض معهم لمعرفة آرائهم واتجاهاتهم.

2- الاتصال برجال الفكر والصحافة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم.

3- بث الاتجاهات السياسية التي تريدها دولهم، وكثيراً ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي، حيث كان السفراء الغربيون -ولا يزالون في بعض البلاد العربية الإسلامية- يبثون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدسائس للتفرقة بين بعض الدول العربية بعضها مع بعض، وبينها وبين الدول الإسلامية بحجة توجيه النصح وإسداء المعرفة، بعد أن درسوا -تماماً- نفسية كثيرين من المسئولين في تلك البلاد، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم.

4- الاتصال بعملائهم وأجرائهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية داخل شعوب الأمة الإسلامية.

رابعاً: الدافع التجاري والشخصي:

وبجانب هذا كان هناك أسباب تجارية، وأخرى شخصية تتصل بالمزاج عند بعض الناس الذين تهيأ لهم الفراغ والمال، واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة في السفر أو في الاطلاع على ثقافات العالم القديم.

ومن الدوافع التي كان لها الأثر في تنشيط حركة الاستشراق: رغبة الغربيين في التعامل مع الشرق؛ لترويج بضائعهم في أسواقه، والاستيلاء على موارده الطبيعية الخام بأبخس الأثمان.

خامساً: الدافع العلمي:

ومن المستشرقين نفر قليل جداً أقبلوا على الاشتشراق بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته؛ على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص؛ لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجاً عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، ومن ثمة فهي لا تدر عليهم ربحاً ولا مالاً، ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: أهداف الدراسات الاستشراقية:

من الواضح أن أبرز هدف للمستشرقين من دراساتهم هو: «إضعاف مُثل الإسلام وقيمه العليا من جانب، وإثبات تفوق المُثل الغربية وعظمتها من جانب آخر، وإظهار أية دعوة تدعو للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر»[1].

وهناك أهداف أخرى يمكن تلخيصها في الآتي:

1- إنكار أن يكون القرآن الكريم كتاباً سماوياً منزلاً من عند الله عز وجل، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسولٌ، أي أنه صلى الله عليه وسلم كاذب، وأن القرآن من تأليفه وحده أو بمعاونة آخرين، ومن ثم فهو كتاب بشري، وهذا الافتراء سبق وأن جاء به المشركون من قبل، فقد قالوا عن الوحي: إنه أضغاث أحلام، وتارة قول شاعر، وتارة قول كاهن، وتارة قول شيطان، وتارة قول بشر، وتارة أساطير الأولين، وتارة إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، ومن ثم تتعدد وتتنوع أوصافهم للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو مجنون.

وكل هذه التفسيرات والأوصاف المفتراة قد أوردها القرآن الكريم في آيات عديدة:

[بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ] [الأنبياء:5].

[إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾] [سورة الحاقة].

[وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾] [التكوير].

[فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾] [سورة المدثر].

---

(1) د. عبد الكريم عثمان: معالم الثقافة الإسلامية، (ص:99).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾] [سورة الحجر].

[وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾][سورة الفرقان].

[وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾] [سورة النحل].

2- يعتبر إنكارهم لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وسماوية القرآن، وإنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله، وإنما هو ملفق -عندهم- من الديانتين اليهودية والمسيحية.

3- التشكيك في صحة الحديث النبوي.

4- التشكيك في قيمة الفقه الإسلامي الذاتية.

5- حرصاً على تمزيق الوحدة اللغوية في الأمة الإسلامية من أجل تمزيق عقيدة الأمة ووحدتها صب المستشرقون وعملاؤهم أشنع الاتهامات على اللغة العربية، فزعموا أنها عاجزة عن مسايرة ركب الحضارة المعاصرة، وموكب العلم الحديث، مع أن هذه اللغة أقوى لغات العالم في توليد الألفاظ والكلمات اللازمة للمعاني المستحدثة بالبحث والاشتقاق، والقلب والإبدال والتعريب[1].

لذلك ركز المستشرقون طعوناتهم في حيوية هذه اللغة وروجوا لغيرها من اللغات بأساليب متعددة منها:

أ) زعمهم أن اللغة العربية اقتبست كلمات عربية من لغات قديمة متنوعة، ما يدل على قصورها في تلبية حاجات الشعوب، والمعروف أن الشعوب تتأثر ببعضها ثقافة وحضارة.. إلى غير ذلك من الأمور؛ لذا فأمر طبيعي انتقال بعض المفردات من أمة إلى أخرى، كما هو ملاحظ اليوم بين شعوب الأرض قاطبة.

---

(1) أنور الجندي: الفصحى، لغة القرآن، (ص:51).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ب) زعمهم أن اللغة العربية عسيرة التعلم، لذا تبنوا الدعوة إلى اللهجة العامية؛ ليجمدوا تقدم العربية وتمكنها من نفوس المسلمين فيضعف فهمهم للقرآن الكريم.

ج) الدعوة إلى إحياء اللغات القومية لكل جنس كالفارسية، والتركية، والأردية، والكردية، والبربرية.. وغيرها كما في العراق (كردستان)، والجزائر.

6- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري، بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان.

7- إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم.

8- إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم.

رابعاً: خصائص الدراسات الاستشراقية ووسائلها:

أولاً: خصائص الدراسات الاستشراقية[1]:

1- إنها دراسات ذات ارتباط بالاستعمار الغربي.

2- إنها دراسات ذات ارتباط وثيق بالتنصير.

3- لا تلتزم ولا يمكن لها أن تلتزم بالموضوعية والأمانة العلمية.

4- تسهم بشكل فعال في صنع القرار السياسي في الغرب ضد الإسلام والمسلمين.

ثانياً: وسائل الاستشراق:

تعددت وسائل المستشرقين في الوصول إلى تحقيق أغراضهم، ونشر أفكارهم الاستشراقية؛ لأنه أصبح استشراقاً مبرمجاً، وراءه مؤسسات دينية أو سياسية أو اقتصادية تدعمه.

فمن هذه الوسائل التي استخدموها:

1- التدريس الجامعي:

أنشأ المستشرقون في داخل أروقة الجامعات الأوروبية كراسي خاصة للدراسات الشرقية، وقد اتخذ المستشرقون هذه المؤسسات لاصطياد أبناء الشعوب الإسلامية، والتأثير فيهم فكرياً وسلوكياً ونفسياً[2]، وتقوم هذه الكراسي الجامعية بمهمة التدريس الجامعي، وتعليم اللغة العربية والعلوم

(1) انظر: د. أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق. المنتدى الإسلامي (1411هـ) (ص:8-9).

(2) أجنحة المكر الثلاثة: (ص:132).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسلامية، ومنح طلبتها الشهادات العليا في الدراسات العربية والإسلامية؛ وتكمن خطوة هذه الكراسي الجامعية في المعلومات والأفكار التي يخلفونها في عقول الدارسين، وما ينتقل منهم إلى غيرهم.

2- تأليف الكتب عن الإسلام:

وذلك في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه، وفي أكثرها كثير من التحريف المعتمد على نقل النصوص أو ابتتارها، وعلى فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها.

3- إنشاء الجمعيات وإصدار المجلات والصحف:

أ) أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين سنة (1787م)، وألحقوها بأخرى في عام (1820م)، واتبعوا ذلك بإصدار المجلة الإسلامية.

ب) تألفت في لندن في عام (1823م) جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية، وقَبِل الملك أن يكون ولي أمرها، وأصدرت هذه الجمعية (مجلة الجمعية الأسيوية الملكية).

ج) أنشأ الأمريكيون في عام (1842م) جمعية باسم (الجمعية الشرقية الأمريكية)، وأصدروا بهذا الاسم مجلة تعني بالدراسات الشرقية، وهي مجلة تطبع الاستشراق بالطابع السياسي، وتوجه معظم أبحاثها ودراساتها نحو السياسة الاستعمارية المبطنة؛ تحاول بها أمريكا أن تبسط نفوذها على الشرق عامة وعلى العالم العربي والإسلامي خاصة.

ومن أخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر مجلة (العالم الإسلامي) التي أنشأها زعيم المستشرقين المنصرين (صموئيل زويمر) في سنة (1911م)، وهذه المجلة تعني بالاستشراق التنصيري؛ وذلك لتشجيع الإرساليات التنصيرية (البروستانت)، وتتناول القضايا التي تتصل بتنصير العالم الإسلامي، وللمستشرقين الفرنسيين مجلة تسمى أيضاً (مجلة العالم الإسلامي) وهذه المجلة تتجه اتجاهاً تنصيرياً (كاثولوكياً) وقد كان ظهورها في سنة (1906م).

كما أنشأ المستشرقون الألمان، والنمساويون، والإيطاليون جمعيات ومجلات استشراقية خاصة بهم.

كتب المستشرقون (دائرة المعارف الإسلامية) بعدة لغات، وفي هذه الموسوعة -التي حشد لها كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام- دس السم في الدسم، وملئت بالأباطيل عن الإسلام وما يتعلق به، ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين في البلاد الإسلامية؛ حيث يعتبرونها حجة فيما تتكلم به، وهذا من مظاهر الجهل بالثقافة الإسلامية وعقدة النقص عند هؤلاء المثقفين[1].

4- إنشاء المدارس:

---

(1) انظر: د. محمد البهي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، (ص:536).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اهتم المستشرقون بالمدارس ذات الطابع التنصيري، والمدارس الحديثة التي أسست على مفاهيم غربية؛ حيث وضعوا لها المناهج الخاصة وزودوها بمدرسين ذوي مهمة خاصة ليربوا عليها النشء بطريقتهم الخاصة، وإنشاء هذه المدارس مهمة ذات اتجاهين: تنصيرية استشراقية؛ لأن الاستشراق مغذي لروح التنصير والعقل المدبر له.

قال المنصر (جون تكلمي): «يجب أن نشجع المدارس، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي. إن كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية. إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمراً صعباً جداً»[1].

5- عقد المؤتمرات الاستشراقية وعقد الندوات:

هذا اللون من الأنشطة الاستشراقية يقوم به المستشرقون لتبادل الرأي والخبرات بما يحقق أهدافهم، وللتخطيط لمستقبل أعمالهم، ولطرح بحوثات عامة في ظاهرها وهي في الحقيقة دعاية ضد الإسلام، وكان أول هذه المؤتمرات في باريس سنة (1873م)، وما زالت هذه المؤتمرات تتكرر حتى يومنا هذا.

6- التسلل للمجامع العلمية في المنطقة:

تمكن المستشرقون أن يتسللوا إلى المجمع اللغوي في مصر، والمجمع اللغوي في دمشق، والمجمع العلمي في بغداد.

7- إرسال إرساليات التنصير إلى العالم الإسلامي:

وذلك لتزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كبناء المستشفيات، والجمعيات الخيرية، والمدارس، ودور الأيتام، ودور الضيافة، والملاجئ.. وغيرها؛ لكنها في الحقيقة أنشأت لإلقاء الشبهات والافتراءات والأباطيل ضد الإسلام بين أبناء المسلمين لتشككهم في دينهم فيسببوا ردتهم عنه.

---

(1) مصطفى الخالدي: التبشير والاستعمار، (ص:98).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

التنصـــــــــــــــــــير

أولاً: تعريفه وتاريخه:

– تعريف التنصير:

التنصير: حركة دينية سياسية استعمارية، ظهرت إثر انهزامات الصليبيين، وتهدف إلى نشر الديانة النصرانية بين الأمم والشعوب، وخاصة المسلمين؛ لإحكام السيطرة عليهم.

– نشأة التنصير:

يذكر المؤرخون أن ابتداء أمر النصارى مع المسلمين كان في الأندلس، ثم سيروا حملات للشـــرق الإسلامي؛ لتكون الهجمات على المسلمين في الأندلس وفي الشرق.

يقول ابن الأثير: «كان ابتداء ظهور دولة الفرنج واشتداد أمرهم وخروجهم إلى بـــلاد المســـلمين واستيلائهم على بعضها سنة (478هـــ)، فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس، ثم قصـــدوا سنة (484هـــ) جزيرة صقلية وملكوها، فلما كانت سنة (490هـــ) خرجوا إلى بلاد الشام»[1].

فانطلاقة النصارى كانت من بلاد الأندلس لما رأوا انتصاراتهم فيها، وبقيت فيها منـــهم جيـــوش تقاتل من بقي من المسلمين، وجيوش أخرى انطلقت من أوروبا إلى الشرق الإسلامي.

وقد استمرت هذه الحملات الصـــليبية قـــرنين مـــن الـــزمن، مـــن حملـــة بطـــرس الناســـك عام (489هـــ) إلى سقوط عكا وما بعدها في أيدي المسلمين عام (690هـــ)، وبسقوطها انتـــهت دولة النصارى في الشرق الإسلامي، وبقي منهم باقية عاشت تحت حكم المسلمين.

بعد سقوط عكا، وانتهاء الحكم الصليبي في الشرق الإسلامي حاول البابا (نيقولا) الرابـــع تهيـــيج النصارى في أوروبا؛ بإلقاء المواعظ والخطب التي ذكَّرهم فيها بسقوط ممالـــك الصـــليب في الشـــرق الإسلامي، وعقد المجامع الكنسية مناديـــاً بإعادة مملكة عكا وبيت المقدس، لكن الأوروبيين تعبوا مـــن تسيير حملاتهم إلى الشرق الإسلامي، وأحسوا بحجم الخسائر التي لحقتهم من جراء ذلك علـــى مـــدى قرنين من الزمن[2].

وبعد إخفاق النصارى في المعارك الحربية لجأوا إلى التنصير بين المسلمين عن طريـــق الإرســـاليات

---

(1) ابن الأثير: الكامل، (8/ 185).

(2) أحمد شلبي: الحروب الصليبية في المشرق، (ص:642).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التنصيرية، ويعتبر المنصر (ريموندلول) أول نصراني يتولى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها.

وكان (ريموندلول) يحث المسيحيين على تعلم اللغة العربية؛ بهدف استعمالها لتنصير المسلمين، وقد تعلمها هو نفسه لذلك الهدف، وأبحر إلى تونس والجزائر؛ حيث عُرف هناك بالصوفي النصراني، وكان يطوف بين المسلمين واعظاً منصراً حتى سجن وطرد من هناك.

ثم تتابعت بعد ذلك في القرن الخامس عشر إرساليات التنصير إلى الهند والسند وجاوه وإلى غرب أفريقيا، وبدأ اختلاط المنصرين بالمسلمين يتزايد مع مرور الزمن والأيام.

وأخذ العمل التنصيري بعد ذلك بُعده المنظم؛ حيث خصَّ البارون (دويتر) سنة (1664م) على تأسيس مدرسة تكون قاعدة لتخريج المنصرين بعد تعليمهم أصول التنصير ووسائله[1].

وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر أخذ على عاتقه نشر الكتب التي تحرض على التنصير، وقوبلت دعوته بالاستحسان في أوروبا، ونجم عن هذا الجهد تأسيس جمعية لندن التنصيرية في عام (1795م)، وتبعتها أخريات في اسكتلنده ونيويورك، وانتشرت الفكرة في ألمانيا، والدنمارك، وهولندا، والسويد، والنرويج، وتأسست جمعية باسم (جمعية التنصير في أرض التوراة العثمانية)؛ أي تولي عملية التنصير في البلاد العربية التي كانت تحت السلطة العثمانية يومئذ[2].

وهكذا بدأ التنصير ينمو ويتسارع، ويأخذ تنوعاً في الأساليب، وتلوناً في الوسائل، وما زالت دائرة التنصير تتسع وتمتد، خاصة في الدول التي تعاني الفقر والجوع؛ حيث يجد المنصرون ضالتهم، فينتهزون حاجة الشعوب وعوزها لإدخالهم في النصرانية.

ثانياً: أهداف التنصير:

يمكن تلخيص أهداف التنصير في الآتي[3]:

أ) الحيلولة دون دخول النصارى في الإسلام، والحيلولة دون دخول الأمم الأخرى -غير النصرانية- في الإسلام والوقوف أمام انتشاره.

ب) القضاء على الإسلام في نفوس المسلمين، وتحويلهم إلى مسخ آدمية لا تحمل

---

(1) انظر: عبد الرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، (ص:28).

(2) المرجع نفسه: (ص:28).

(3) انظر: د. سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، (ص:56).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الإسلام إلا اسمه، لذلك كانت المهمة الأولى التي قامت من أجلها حركة التنصير هي القضاء على مصدر القوة الأساسية التي يعتمد عليها المسلمون، ألا وهي العقيدة الإسلامية.

وهذا ما صرح به المنصر (زويمر)؛ حيث قال: «أنا لا أهتم بالمسلم كإنسان، إنه لا يستحق شرف الانتساب إلى المسيح.. فلنغرقه بالشهوات، ولنطلق لغرائزه العنان حتى يصبح مسخاً لا يصلح لأي شيء».

ج) القضاء على وحدة العالم الإسلامي: إن وحدة المسلمين في جميع دول العالم الإسلامي كانت وراء انتصارهم على الغرب.

د) معاونة الاستعمار الغربي والتجسس على العالم الإسلامي.

هـ) الربح المادي والكسب التجاري.

ثالثاً: وسائل التنصير:

سلك التنصير لبلوغ غايته في المجالات غير المباشرة طرق التعليم المدرسي في دور الحضانة، ورياض الأطفال، والمراحل الدراسية الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء، كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات، ودور الضيافة، والملاجئ للكبار، ودور اليتامى، ولم يقصر التنصير في استخدام النشر والطباعة وعمل الصحافة في الوصول إلى غايته فحسب، بل استخدم التكنولوجيا الحديثة مثل: البريد الإلكتروني، وشبكة الإنترنت، والحاسب الآلي، كما لا يخفى أن من وسائلهم المباشرة بناء الكنائس الكبيرة والمراكز التنصيرية، وتوزيع الإنجيل بأكبر كمية.

أولاً: التعليم:

لقد أدرك المنصّرون أهمية العلم ودوره في توجيه حياة الناس، فأساءوا إليه أيما إساءة، واتخذوه وسيلة لخدمة أغراضهم وأطماعهم، ووظفوا لذلك المعلمين من المنصرين الذين نفرت من قلوبهم الأمانة والاستقامة والصدق.

ومن أجل ذلك اهتموا بإنشاء المدارس والجامعات، واهتموا بتعليم الصغار أيما اهتمام. يقول المنصر (جون موط): «يجب أن نؤكد في جميع ميادين (التنصير) جانب العمل بين الصغار للصغار... ترانا مقتنعين بأن نجعله عُمدة عملنا في البلاد الإسلامية، إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً، من أجل ذلك يجب أن يُحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد، وقبل أن تأخذ طبائعهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أشكالها الإسلامية»[1].

ثانياً: التطبيب:

عمل المنصِّرون على فتح المستشفيات والمراكز الصحية من أجل الوصول إلى غايتهم الخبيثة التي تكمن خلف هذا العمل النبيل، وهي التنصير؛ فهم يقولون: «حيث تجد بشراً تجد آلاماً، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتنصير»[2].

رابعاً: إمكانيات الصليب:

الجدول التالي[3] يوضح نشاط المنصرين وقوة إمكانياتهم ودعم الفاتيكان ودول الكفر لهم، وحينما نعرض هذه النشاطات والإمكانيات فإننا نرمي من وراء ذلك إلى كشف مخططاتهم وبيان حجم المشكلة، وندعو المسلمين إلى الدفاع عن دينهم ونصرته بكل ما يستطيعون، قال تعالى:

[إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾] [الأنفال:36].

فالغلبة في النهاية لأهل الحق على أهل الباطل، ولو زخرفوا أباطيلهم وزينوها وكانت وسائلهم الفضائيات والإنترنت، ولو كانوا مدعومين بالترسانات النووية والذرية والبيولوجية.. وغيرها؛ فإن جند الله تعالى أقوى.

قال تعالى: [وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾] [الصافات:173].. وقال تعالى: [وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ

---

(1) التبشير والاستعمار، (ص:68).

(2) سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة، (ص:83).

(3) حسن قطامش: العالم في عام، رصد رقمي لأحوال العالم، ملحق سنوي يصدر عن مجلة البيان (1423هـ).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢] [الحشر:2].

9-	11- 1971م	11- 2111م	المتوقع عام 2125م
التبرعات لأغراض الكنيسة	1- 70 بليون دولار أمريكي	1- 280 بليون دولار أمريكي	1- 9500 بليون دولار أمريكي
الجرائم في الكنيسة	1- 5 ملايين جريمة	1- 17 مليون جريمة	2- 65 مليون جريمة
منظمات ترسل منصرين	2- 2200 منظمة	2- 4100 منظمة	2- 6000 منظمة
محطات إذاعة وتلفزيون تنصيرية	2- 1230 محطة	2- 4450 محطة	2- 5400 محطة
المستمعون للمحطات التنصيرية	3- 150 مليوناً	3- 619 مليوناً	3- 1300 مليون
عدد ساعات البث التنصيرية	3- 25 بليون ساعة	3- 172 بليون ساعة	3- 425 بليون ساعة
عدد مخططات التنصير	3- 510 خطة	3- 1540 خطة	4- 3000 خطة
الكمبيوتر في خدمة التنصير	4- 1000 كمبيوتر	4- 424مليون جهاز	4- 17 بليون جهاز
عدد المنصرين المتفرغين المحليين	2003500000منصّر	5015400000منصّر	6065000000منصّر
عدد المنصرين المتفرغين الأجانب	2400000 منصّر	4250000منصّر	5500000 منصّر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث

الاستشراق والتنصير

إن النظرة السطحية إلى كل من الاستشراق والتنصير قد توحي بأن هناك فروقاً جوهرية فيما بينهما، ولكن في حقيقة الأمر فالنشاطات الاستشراقية والتنصيرية نشاطات متشابهة وتكمل بعضها بعضاً، والفروق التي تبدو للنظرة السطحية بين المؤسستين ليست إلا فروقاً عرضية ترجع في الحقيقة إلى توزيع العمل فيما بينهما.

فالاستشراق أخذ طابع العمل الأكاديمي والبحث العلمي؛ بينما التنصير ركز على العقلية الشعبية واعتمد على المدرسة، والتطبيب، والعمل الخيري الظاهري.

ولكنهم يتفقون جميعاً على اتخاذ التعليم بكل مراحله وسيلة لتزييف وعي المسلمين بدينه، وبهذا التزييف تبدأ المراحل المخططة والمتابعة في عملية الانتقال التدريجي بالمسلم والمسلمة من المنهج الإسلامي إلى المنهج البديل المعادي للإسلام، وهو المنهج الذي يتخذ من الثقافة وسيلة أساسية للردة.

إنهم يتفقون جميعاً على الوسيلة، كما يتفقون على الغاية، كما يتفقون على أن الغاية تبرر الوسيلة.

ومن ثم يُعد أفراد الطائفتين إعداداً متشابهاً للقيام بمهمة واحدة. والأعداد المتشابهة يتضح في المؤهلات الضرورية التي يشترط توفرها في كل مستشرق ومنصر[1]، وهي مؤهلات مشتركة ومنها:

أولاً: الدراسة اللاهوتية والتاريخية المتعمقة لليهودية والنصرانية، وللكتاب المقدس (العهدين القديم والجديد؛ أي: ما يشمل التوراة والإنجيل) وهذه الدراسة يقصد بها تحقيق عدة أهداف من أهمها:

1- تعميق وعي المستشرق والمنصِّر بدينه لمواجهة الدين الآخر وهو الإسلام مواجهة عقدية.

2- محاولة تدعيم الزعم الذي يردده جميع المستشرقين والمنصرين، وهو أن الإسلام مأخوذ

---

(1) انظر: إبراهيم خليل أحمد، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعي العربي، القاهرة (1964م)، (ص:14-15).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من اليهودية والنصرانية، وأن القرآن مستمد من التوراة والإنجيل.

وهذه الدراسة اللاهوتية تفسر لنا لماذا نجد كثيراً من المستشرقين فعلاً من القساوسة ورجال الكنيسة.

ثانياً: دراسة اللغة العربية، ودراسة الإسلام ومصادره (القرآن والسنة) وجميع جوانبه، واتخاذ هذه الدراسات وسائل لإثارة الشبهات، والتشكيك في الإسلام كما يتفق الاستشراق والتنصير على الهدف العام وهو: ردة المسلم عن دينه إلى أي شيء آخر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع

موقف المسلمين من النشاطات الاستشراقية والتنصيرية

موقف الأعداء سواءً في الغزو العسكري، أو الغزو الفكري، أو فتنة المسلمين عن دينهم بكل الوسائل، ليس أمراً مستغرباً منهم، أياً كان القدر الذي يشتمل عليه من الخسة والمكر والخديعة.. فهم هم كما وصفهم الله في كتابه العزيز.

قال تعالى: [مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ عز وجل أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥][سورة البقرة].

وقال تعالى: [وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ] [البقرة:109].

وقال تعالى: [وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ] [البقرة:120].

وقال تعالى: [وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ] [البقرة:217].

وقال تعالى: [لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾] [التوبة:].

وقال تعالى: [وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا] [المائدة:64].

وقد بين لنا الله سبحانه وتعالى في كتابه المنزل بعد أن علمنا كل شيء عن موقف الأعداء وكيدهم، ومحاولتهم الدائمة لفتنة المسلمين عن دينهم وزحزحتهم عنه، وكيفية التعامل معهم بالآتي:

أولاً: العون من الله:

عون الله هو شرط النصر وبوابته في أية مواجهة.

قال تعالى: [وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ] [الأنفال:17].

وقال تعالى: [أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾] [سورة الملك].

وهناك أسباب معنوية ومادية للحصول على عون الله؛ ومن أبرزها:

أ) دعاء الله سبحانه وتعالى والتضرع بين يديه، كما قال تعالى: [وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ] [غافر:60].

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لمن أراد الاقتداء، فإلحاح النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر على ربه في تضرعه حتى سقط رداؤه عن منكبه -مع أنه موعود بنصر الله تعالى.

ب) التوكل على الله وتفويض الأمر إليه، كما قال تعالى: [وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ] [الطلاق:3].

ج) التوبة والإقلاع عن الذنوب والمعاصي، كما قال تعالى: [وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾] [سورة النور].

وفي الأثر عن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ا قال: «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة»[1].

د) الصبر والتقوى، كما قال تعالى: [وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا] [آل عمران:120]

فالصبر والتقوى قوة إيجابية هائلة تصد الكيد بإيجابيتها وفاعليتها بقدر من الله.

ولكي نفهم المعنى الحقيقي المقصود بالصبر والتقوى، ونفهم كيف يؤدي التمسك بهما إلى صد الكيد، فلنعرف أولاً ماذا يريد الأعداء... إنهم يريدون أن يردوا المسلمين عن دينهم أو يزحزحوهم عنه.. فالصبر المطلوب إذن هو الصبر على هذا الدين، وعلى تكاليفه ومقتضياته، والاستقامة على أمره، والإصرار عليه مهما فعل الأعداء.

والتقوى هي: اتقاء سخط الله وغضبه.. ولا يكون هذا إلا بتنفيذ أوامره والانتهاء عن نواهيه.

وحين يقع الصبر والتقوى على هذه الصورة فما الذي يستطيعه الأعداء يومئذ ومن أين ينفذون[2]؟!

2) عدم موالاتهم:

قال تعالى: [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ] [المائدة:51].

وقال تعالى: [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ] [الممتحنة:1].

---

(1) انظر: ابن القيم الجوزية، الجواب الكافي، (ص:81).

(2) انظر: محمد قطب. واقعنا المعاصر، (ص:361).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال تعالى: [بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ] [النساء:140].

وقال تعالى: [وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً] [النساء:89].

في الآيات السابقة إشارات واضحة إلى أسباب تحريم موالاتهم، ومن تلك الأسباب:

أ) عداوتهم الشديدة للإسلام والمسلمين.

ب) أنهم كفروا بما جاءهم من الحق.

ج) أنهم يوالي بعضهم بعضاً في حرب الإسلام والمسلمين.

د) أنهم يتخذون دين الله وآياته مادة للسخرية والاستهزاء.

هـ) أنَّ موالاتهم هي من علامات النفاق وأعمال المنافقين الذين يبتغون العزة عند الكافر.

و) أنهم كذلك يودون ردة المسلمين عن دينهم، حتى يفقدوا عزتهم بهذا الدين، وتميزهم به، ويصبحوا هم والكافرين سواء!

3) عدم التلقي عنهم:

قال تعالى: [فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ] [النجم:30].. وقال تعالى: [وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾] [سورة البقرة].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وأنكم إما أن تصدقوا بباطل، وإما أن تكذبوا بحق، وإنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني»[1].

4) بذل الوسع والأخذ بأسباب النصر المادية:

وذلك بقدر الاستطاعة امتثالاً لقوله تعالى: [وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾][سورة الأنفال].

5) إنشاء مراكز متخصصة للرد على المستشرقين ولرصد الجهد التنصيري.

6) إيجاد المؤسسات البديلة:

التي تغني المسلمين من التوجه إلى مدارس المنصرين ومراكزهم الصحية.

7) العمل على تبصير المسلمين بمخططات المنصرين وأهدافهم.

(1) رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المراجـــــــــع

1) القرآن الكريم.

2) السنة النبوية.

3) القاموس المحيط.

4) ساذرن: صورة الإسلام في أوروبا في العصـــور الوســـطى. ترجمـــة رضـــوان الســـيد، بـــيروت (1984م).

5) محمد قطب: واقعنا المعاصر. مؤسسة المدينة للصحافة، جدة (1408هـــ-1988م)، الطبعـــة الثانية.

6) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق. الترجمة العربية: د. عمر فروخ. دار الاعتصام، القـــاهرة. د.ت.

7) سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة لمواجهة الإسلام. دار الأرقم للطباعـــة والنشـــر والتوزيع، الزقازيق (1989م).

8) محمد البهي: الفكر الإسلامي الحـــديث وصـــلته بالاســـتعمار الغـــربي. دار وهبـــة، القـــاهرة، (1405هـــ-1985م) الطبعة الحادية عشرة.

9) أحمـــد عبـــد الله ســـيف الرفـــاعي: التنصـــير يغـــزو العـــالم الإســـلامي. مجلـــة البيـــان، العدد: (153)، السنة الخامسة عشرة (1421هـــ).

10) دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب، بإدارة: فؤاد أفرم البستاني (1977م).

11) أحمد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق. المنتدى الإسلامي (1411هـــ) الطبعة الثانية.

12) عبد النبي أصطيف: نحـــو استشـــراق جديـــد. مجلـــة الاجتـــهاد، العـــدد (50، 51)، السنة الثالثة عشرة، ربيع وصيف العام (2001م-1422هـــ).

13) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضـــاري. كتـــاب الأمـــة - الدوحة، (1404هـــ).

14) مصطفى الخالدي وعمر فروخ: التبشير والاستعمار، المكتبة العصرية، بيروت (1983م).

15) عمر عـــودة الخطيـــب: لمحـــات في الثقافـــة الإســـلامية. مؤسســـة الرســـالة، بـــيروت (1404هـــ-1984م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

16) حسن قطامش: العالم في عام، رصد رقمي لأحوال العالم، ملحق سنوي يصدر عن مجلة البيان (1423هـ).

17) إبراهيم خليل أحمد: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعي العربي، القاهرة (1964م).

18) ابن القيم الجوزية: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تحقيق: سعيد اللحام. دار الفكر العربي الحديث، بيروت (1991م)، الطبعة الأولى.

19) جلال العالم: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله. دار السلام، القاهرة، (1418هـ-1998م).

20) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، (1409هـ-1998م).

21) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. دار المعارف، القاهرة (1408هـ-1988م) الطبعة السابعة.

22) عمر بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم (دراسة ونقد)، مجلدين، دار طيبة، الرياض (1413هـ-1992م).

23) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين. دار العلم للملايين. بيروت (1989م) الطبعة الثانية.

24) علي جريشة، ومحمود محمد سالم: حاضر العالم الإسلامي. مطابع الدجوي، القاهرة (1980م).

25) علي جريشة: الاتجاهات الفكرية المعاصرة. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة (1988م).

26) بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة.. رؤية نقدية. كتاب الأمة. الدوحة (1422هـ).

27) مجلة البيان، العدد (153، 154) السنة الخامسة عشرة (1421هـ-2000م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الثالث

الإســـــــــلام والمـــــــــرأة

تأليف:

الدكتور/ علـــــــي محمـــد مقبـــــــول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

المرأة بين النظام الإسلامي
والنظام الغربي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الاول

مكانة المرأة في ظل الحضارات القديمة والحديثة

«إن من أعظم ما شغل البشر من القضايا الاجتماعية في القديم الماضي، والحديث الحاضر، وما يشغلهم في المستقبل القادم -على ما يُعتَقد- هو قضية المرأة، وقد تخبط البشر في معالجتها و لم يهتدوا فيها إلى الصواب؛ لأن معالجتهم كانت بمعزل عن هدى الله وشرعه القويم، فجاءت مشوبة بأهواء النفس، وقصور العقل الذي من شأنه العجز عن إدراك حقائق الأمور، وكانت المرأة هي الضحية في تلك المعالجات...

والجديد في قضية المرأة في العصر الحديث أنها عُرضت ولا تزال تعرض على نحو جديد يحمل شعار: الدفاع عن حقوق المرأة المهضومة، ورد حريتها المسلوبة، وضرورة مساواتها بالرجل في كل شيء، وفيما يتمتع به من حرية الرواح والمجيء، والعمل والسلوك، وضرورة خروجها من سجن البيت وقيوده.

وكان المنادون في هذا العرض الجديد لقضية المرأة تحت هذا الشعار الجديد أناساً مردوا على حب الفاحشة والسطو على الأعراض، وهتك الحرمات، وبرعوا في المكر والخداع، وإثارة الغرائز والشهوات، وقد نجحوا في حملتهم الماكرة حتى آل الأمر في دول الغرب إلى تفكك العائلة، وشيوع الفاحشة، وكثرة اللقطاء، حتى صاروا يعدون بعشرات الألوف؛ بل وبمئات الألوف في بعض أقطار هذه الدول، وظهرت فيهم العلل والأمراض التي لم تكن في أسلافهم، حتى ضج بعض كتابهم من هذا المصير، وأنذروا أقوامهم سوء المصير إذا استمر الأمر على ما هو عليه من هذا التردي والانحدار.

ولكن القوم ألفوا الرذيلة، ووصلوا إلى القاع، و لم يبق لديهم قوة ولا عزيمة على النهوض من المستنقع الآسن الذي وقعوا فيه» [1].

وبذا يتضح لنا ما قدمته الحضارات القديمة للمرأة، وما هو موقفها من المرأة؛ لتعرف بذلك عظمة الإسلام واحترامه للمرأة، وأنها إنسانة مكرمة: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ

(1) المفصل في أحكام المرأة: د. عبد الكريم زيدان (1/ 5).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَٱلۡبَحۡرِ] [الإسراء:70] وسوف يرى الباحث في الحضارات القديمة ما لا يسره من إهانة وتجريد للمرأة من إنسانيتها ومن حقوقها.. وإليك البيان:

أولاً: المـــــرأة عند الإغريـــــــق:

كانت المرأة عندهم محتقرةً مهينة، حتى سموها رجساً من عمل الشيطان، وكانت عندهم كسَقَطِ المتاع؛ تباع وتشترى في الأسواق، مسلوبة الحقوق، محرومة من حق الميراث، وحق التصرف في المال، ومما يذكر عن فيلسوفهم «سقراط» قوله: «إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار في العالم؛ إن المرأة تشبه شجرة مسمومة حيث يكون ظاهرها جميلاً ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً»[1].

والإغريق -عامة- يعتبرون المرأة من المخلوقات المنحطة، وليست المرأة عندهم إلا بطناً يدفع النسل.. وأكد أفلاطون في جمهوريته في أن الواجب أن يتداول الرجال النساء كما يتداولون الحاجات.

وكان الإغريق -أيضاً- يبيحون تعدد الزوجات بغير حساب[2].

(1) عودة الحجاب: محمد إسماعيل المقدم (2/ 47).

(2) المرأة بين الجاهلية والإسلام: محمد الناصر وخولة درويش (ص:2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: المرأة عند الرومان:

كان شعارهم فيما يتعلق بالمرأة: «إن قيدها لا يترع، ونيرها لا يخلع»[1].

ومن عجيب ما ذكرته بعض المصادر -وهو ما لا يكاد يتصور- «أن مما لاقته المرأة في العصور الرومانية تحت شعارهم المعروف: ليس للمرأة روح..؛ وذلك بتعذيبها بسكب الزيت الحار على بدنها، وربطها بالأعمدة، بل كانوا يربطون البريئات بذيول الخيول، ويسرعون بها إلى أقصى سرعة حتى تموت» ذكرت ذلك الدكتورة: سكينة زيتون في كتابها: المرأة في الإسلام (ص:11).

والمرأة في نظر الرومان شرٌ يجب أن يجتنب، وإن كانت مخلوقة للمتعة، وهي دائماً خاضعة لرجل أباً أو زوجاً، وكان زوجها يملك مالها ويقيم عليها وصياً قبل موته[2].

ثالثاً: المرأة عند الصينيين:

شبهت المرأة عندهم بالمياه المؤلمة التي تغسل السعادة والمال، وللصيني الحق في أن يبيع زوجته كالجارية، وإذا ترملت المرأة الصينية أصبح لأهل الزوج الحق فيها كثروة، وتورث، وللصيني الحق في أن يدفن زوجته حية[3]!!

رابعاً: المرأة عند الهنود:

في شرائع الهندوس أنه: «ليس الصبر المقدر، والريح، والموت، والجحيم، والسم، والأفاعي، والنار؛ أسوأ من المرأة»[4].

وكان علماء الهنود الأقدمون يرون أن الإنسان لا يستطيع تحصيل العلوم والمعارف ما لم يتخل عن جميع الروابط العائلية.

---

(1) عودة الحجاب (2/ 48).

(2) المرأة بين الجاهلية والإسلام -مرجع سابق- (ص:2).

(3) عودة الحجاب (2/ 49).

(4) عودة الحجاب (2/ 49).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولم يكن للمرأة في شريعة «مانو» حق في الاستقلال عن أبيها وزوجها أو أولادها، فإذا مات هؤلاء جميعاً وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها، وهي قاصرة طيلة حياتها، ولم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها؛ بل يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تُحْرق معه وهي حية على موقد واحد، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر حيث أبطلت على كرهٍ من رجال الدين الهنود.

وكانت تقدم قرباناً للآلهة لترضى، أو تأمر بالمطر أو الرزق.

وفي بعض مناطق الهند القديمة شجرة يجب أن يقدم لها أهل المنطقة فتاة تأكلها كل سنة[1].

وخلاصة القول: فالمرأة العزب -من لا زوج لها- والمرأة الأيِّم -من مات زوجها- تعتبران منبوذتين في المجتمع الهندوسي، والمنبوذ عندهم في رتبة الحيوان، ويجب على المرأة التي تفقد زوجها أن تظل في الحداد بقية حياتها، وعادت لا تعامل كإنسان، وَعُدَّ النظر إليها مصدراً لكل شؤم، وعدت مدنسة لكل شيء تمسه، وأفضل شيء لها أن تقذف نفسها في النار التي يُحرق بها جثمان زوجها، وإلا لقيت الهوان الذي يفوق عذاب النار[2].

(1) المرأة بين الفقه والقانون: د. مصطفى السباعي (ص:18).

(2) ماذا عن المرأة؟ د. نور الدين عتر (ص:18).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خامساً: المرأة عند الفرس:

أبيح الزواج بالأمهات، والأخوات، والعمات، والخالات، وبنات الأخ، وبنات الأخت، ويرى «مزدك» أن أكثر ما بين الناس من الشحناء وسفك الدماء سببه النساء والأموال، فأحل النساء، وأباح الأموال، وجعل النساء شركةً فيها كالماء والنار والكلأ.

وكان الحجاب شديداً على نساء الطبقة الراقية، أما الفقيرات فكن حرات في التنقل، وكذلك الخليلات والحظايا؛ لأن المفروض فيهن أنهن يرفهن عن سادتهن وعن ضيوفهم[1].

وكانت المرأة عند الفرس تنفى في فترة الطمث -الحيض- إلى مكان بعيد خارج المدينة، ولا يجوز لأحد مخالطتها إلا الخدام الذين يقدمون لها الطعام، وفضلاً عن هذا كله كانت المرأة الفارسية تحت سلطة الرجل المطلقة، يحق له أن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة[2].

سادساً: المرأة عند اليهود:

كانت المرأة عند اليهود تسبى وتباع، وللآباء أن يؤجروا أبناءهم لموعد، وأن يبيعوا بناتهم القاصرات بيع الرقيق.

والمرأة عندهم تورث كالمتاع وإذا مات زوجها ورثها أقرباؤه، ولا حق لها في الميراث[3].

واليهود يعتبرون المرأة لعنة؛ لأنها أغوت آدم، وعندما يصيبها الحيض لا يجالسونها ولا يؤاكلونها، ولا تلمس وعاءً حتى لا يتنجس، وكان بعضهم ينصب للحائض خيمة، ويضع أمامها خبزاً وماءً، ويجعلها في هذه الخيمة[4].

وقد قال أنس بن مالك ت: (إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، و لم يجامعوهن في البيوت -بمعنى يساكنوهن- فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فأنزل الله عز وجل : [وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا

(1) المرأة بين الجاهلية والإسلام: محمد الناصر، خولة درويش (ص:2).

(2) عودة الحجاب: محمد المقدم (2/ 50).

(3) المرأة بين الجاهلية والإسلام (ص:4).

(4) عودة الحجاب: المقدم (ص:51).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾]

[البقرة:222] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصنعوا كل شيء إلا النكاح. فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه)[1]؛ بل إن الرسول كان يأمر عائشة ل وهي حائض أن تتزر فيباشرها[2].

فانظر إلى هذه الآية والحديثين وقارنه بما يوجد عند اليهود الذين يعتبرون المرأة نجسة أثناء حيضها.

سابعاً: المرأة عند النصارى:

هال رجال النصرانية الأوائل ما رأوا في المجتمع الروماني من انتشار الفواحش والمنكرات، وما آل إليه المجتمع من انحلال أخلاقي شنيع، فاعتبروا المرأة مسئولة عن هذا كله؛ لأنها كانت تخرج إلى المجتمعات وتتمتع بما تشاء من اللهو، وتختلط بمن تشاء من الرجال كما تشاء؛ فقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه، وأن العزب أكرم عند الله من المتزوج، وأعلنوا أن المرأة باب الشيطان، وأن العلاقة بالمرأة رجس في ذاتها، وأن السمو لا يتحقق إلا بالبعد عن الزواج، قال «ترتوليان» الملقب بالقديس: «إن المرأة مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ناقضة لنواميس الله، مشوهة للرجل».

وقال سوستام الملقب بالقديس: «إنها شر لابد منه، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتاكة، ومصيبة مطلية مموهة».

وفي القرن الخامس اجتمع بعض اللاهوتيين ليبحثوا ويتساءلوا في مجمع «ماكمون»: «هل المرأة جثمان بحت أو هي جسد ذو روح يناط به الخلاص والهلاك؟ وغلب على آرائهم أنها خِلْوٌ من الروح الناجية، وليس هناك استثناء بين جميع بنات حواء من هذه الوصمة إلا مريم عليها الصلاة والسلام»[3].

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب: جواز غسل الحائض (1/ 246)، حديث رقم (302).

(2) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الحيض باب: مباشرة الحائض (1/ 242)، حديث رقم (293).

(3) عودة الحجاب: محمد المقدم (2/ 52).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثامناً: المرأة في بلاد الغرب (بلاد الحرية والديمقراطية):

«ظلت المرأة في بلاد الغرب طبقاً للقانون الإنجليزي العام -حتى منتصف القرن الماضي تقريباً- غير معدودات من الأشخاص أو المواطنين الذين اصطلح القانون على تسميتهم بهذا الاسم؛ لذلك لم يكن لهن حقوق شخصية، ولا حق في الأموال التي يكسبنها، ولا حق ملكية شيء، حتى الملابس التي كن يكسبنها»[1].

ثم حاولت المرأة أن تتحرر وتجاهد لتحصل على حقوقها «فدفع بها الوضع الاجتماعي الذي لا يرحم إلى أن أصبحت تطرد من المترل بعد سن الثامنة عشر لكي تبدأ في الكدح في لقمة العيش، وإذا ما رغبت أو أجبرتها الظروف في البقاء في المترل مع أسرتها بعد هذه السن فإنها تدفع لوالديها إيجار غرفتها، وثمن طعامها، وغسيل ملابسها؛ بل تدفع رسماً معيناً مقابل اتصالاتها الهاتفية»[2].

ويؤكد الدكتور «نور الدين عتر» هذه المأساة حين قال[3]: «حدثني صديق أنهى تخصصه العالي في أمريكا أن في الأمريكيين أقواماً يتبادلون زوجاتهم لمدة معلومة ثم يسترجع كل واحد زوجته المعارة، تماماً كما يعير القروي دابته، أو الحضري في بلادنا شيئاً من متاع بيته».

وهذه الحرية المفرطة ولدت مآسي جمة لهؤلاء القوم: كنتُ في إحدى الدول الغربية فسألني رجل مسلم سؤالاً غريباً وهو: هل يجوز لي قتل ابنتي؟ فسألته: ماذا تقصد؟ فقال: أنا رجل حصلت على الجنسية البريطانية، وبالمقابل حصلت ابنتي على نفس الجنسية، ودخلت كلية الشرطة، وهي الآن تنام مع من تشاء، وتضاجع من تشاء، أكاد أُجَنْ؟!

تقول «مارلين مونرو» -أشهر ممثلة إغراء- في رسالتها التي أودعتها صندوق الأمانات في أحد بنوك «نيويورك» رداً على رسالة جاءتها قبل انتحارها من إحدى الفتيات تسألها عن العمل في السينما فقالت: «احذري المجد، احذري من يخدعك بالأضواء، إني أتعس امرأة على هذه الأرض! لم أستطع أن أكون أماً، إني امرأة أفضل البيت، أفضل الحياة العائلية، لهي رمز سعادة المرأة؛ بل الإنسانية، لقد ظلمني الناس، وإن العمل في السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة، مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة» التوقيع: «مارلين مونرو».

---

(1) ماذا عن المرأة؟ د. نور الدين عتر (ص:8).

(2) عودة الحجاب: محمد المقدم (ص:56).

(3) ماذا عن المرأة؟ (ص:19).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعلقت «النيويورك تايمز» على انتحارها فقالت: «إن هوليود كانت تبيح روحها دون جسدها».

وقالت «الأزفستيا» السوفياتية: «إنها ضحية هوليود أوجدتها ثم قتلتها».

أما «الهيرالد تربيون» فقالت: «إن الاستغلال البشع الذي لجأت إليه شركات السينما، وتميز به: الإغراق في إبراز مفاتنها بشكل لا ذوق فيه... من أجل الأغراض التجارية».

وقالت «بيلدازايتوتع» الألمانية: «إنها كانت ضحية طرق الدعاية التي تمارسها هوليود».

وصرح بعض النقاد: بأن الجاني هو كل فرد في المجتمع الغربي.

وقال أحدهم في إيطاليا: إنها لم تنتحر... نحن الذين قتلناها، نحن الذين نشاهد الأفلام ونقرأ المجلات.

بينما اعتبرها أديب آخر: «إنسانة لم تطق استمرار العيش في قاذورات تلك الحضارة، فلم تجد مفراً من موتها اليومي إلا بالموت النهائي».

نعم.. لقد رأت هذه الممثلة في الانتحار خلاصاً من شقائها، وتحرراً من واقعها، ونجاة من مستغليها والمثرين على حساب أنوثتها!! [1].

وهكذا تبتذل المرأة وتهان كرامتها؛ لأن المجتمع الغربي الحديث قائماً على ثلاث قواعد:

1-المساواة بين الرجال والنساء.

2-استقلال النساء بشئون معاشهن.

3-الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء.

وذلك يعني أن تؤدي المرأة نفس ما يؤديه الرجل من الأعمال.

ومن هنا كان على المرأة أن تفتش عن عمل أياً كان: في دوائر حكومية، في الشركات، وفي المكاتب التجارية، أو في المخازن الكبرى... عليها أن تعمل بائعة أو محاسبة، تبيع الجرائد.. تنظف الشوارع.. تمسح الأحذية وتجمع القمامة.. تقطع تذاكر الركاب في السكك الحديدية.. تنظف المراحيض.. تحرس الأبنية الكبيرة في أخريات الليل.. تحمل الأثقال وتشقى في مصانع الصلب والحديد.

لقد ابتذلت المرأة وأهينت كرامتها، وابتعدت عما يليق بها في حضارة التيه والضياع، ناهيك عن تحملها مصاريف الحياة اليومية، أو مشاركتها في ذلك لزوجها إن كانت ذات زوج.

---

(1) انظر: رسالة إلى حواء: محمد رشيد العويد (ص:72)، والمرأة في سوق النخاسة العالمي، محمد القحطاني (ص:21).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن متاعب الحياة ومشاقها في ديار الغرب كثيرة؛ إذْ ما تزال المرأة هناك تتقاضى نصف أجر الرجل في أغلب مجالات العمل.

كما أن المرأة إذا أرادت الزواج أن تتنازل عن اسمها واسم أبيها لتصبح تابعة لزوجها حتى في الاسم... هذا ومن المعلوم أن المرأة في أوروبا هي التي تدفع المهر للرجل وليس العكس.

ونتيجة لتردي وضع المرأة الاجتماعي والاقتصادي؛ فإنها تصبح فريسة سهلة لسماسرة البغاء الدولية؛ كما أنها تستخدم لترويج البضائع؛ إذ دائماً ترى صورة امرأة فاتنة للإعلان عن أي شيء، حتى ولو لم يكن له علاقة بالمرأة.

وقد نشرت «جريدة الشرق الأوسط» أن جمعيات حقوق المرأة في بريطانيا نظَّمن مظاهرات صاخبة احتجاجاً على استعمال المرأة في ترويج البضائع، ومن ذلك إعلان يقول: «السيارة السوبر مثل العشيقة، أما السيارة الصالون فهي مثل الزوجة».

ولا تكاد تجد إعلاناً عن أية مادة من المواد إلا وتطالعك صورة حسناء شبه عارية تدعوك لشراء تلك السلعة.

وتهان المرأة على مسمع من الجميع؛ فيعتبر التحرش -مثلاً- بالمرأة العاملة من أسباب النكد في الحياة الغربية، إذ تشير رئيسة معهد النساء العاملات في نيويورك إلى أن المضايقات الجنسية لا تقتصر على الاعتداء الجسدي؛ بل إن الكلام البذيء، والنكات الفاضحة تشكل نوعاً من الاعتداء على المرأة الحساسة.

فكم من واحدة أصيبت بالأمراض الجسدية: كالصداع، والقيء، وعدم النوم؛ نتيجة لهذا الوضع السيء الذي تعيش فيه المرأة، وكم من واحدة اضطرت إلى أخذ الحبوب المهدئة لتستطيع الذهاب إلى العمل كل صباح، ثم سماع تلك الاسطوانة الممجوجة من الغزل البذيء[1].

ويطول بنا الحديث عن وضع المرأة في المجتمعات الغربية، فهناك:

1- فتاة الغلاف.

2- ومضيفات الطيران.

3- والإعلانات التجارية.

4- والجاسوسة الحسناء.

5- وسوق الجنس.

---

(1) انظر: المرأة بين الجاهلية والإسلام: محمد الناصر، وخولة درويش (ص:340) وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

6- وملكات جمال العالم.

7- وسماسرة الدعارة[1] وهلم جراً... فهل من منصف لهذه المرأة التي تعيش اليوم في ماخور كبير، ونظرة إلى صحافة المرأة، وأفلامها، ومعارض أزيائها، ومسابقات جمالها، ومراقصها، وحاناتها، وإذاعاتها؛ نظرة لترى الأوضاع المثيرة، والإيحاءات المريضة؛ في الأدب والفن وأجهزة الإعلام كلها؟ وكل هذه الأشياء تتخذُ المرأة وسيلة لجمع المال وتثميره، فهي عمليات نصب واحتيال وابتزاز تلبس ثوب الحرية والديمقراطية... هذا إلى جانب التدهور الخلقي، والانحلال الاجتماعي، الذي أصبح يهدد كل بيت وكل نظام، وكل تجمع إنساني... نظرة إلى هذا كله تكفي للحكم على المصير البائس الذي تدلف إليه المرأة في ظل هذه الجاهلية[2].

(1) انظر تفصيل ذلك في كتاب: المرأة في سوق النخاسة العالمي: محمد القحطاني.

(2) راجع: دستور الأسرة في ظلال القرآن: أحمد فائز (ص:8).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

مظاهر تكريم الإسلام للمرأة

إن الإسلام في تكريمه للمرأة يستهدف تحقيق المنهج الكامل والتشريعات الواضحة من أجل احترام المرأة وتكريمها؛ فالإسلام لا يهتم بالمرأة على حساب الرجل، ولا الرجل على حساب المرأة؛ ولكن لحساب «الإنسان» ولحساب المجتمع المسلم، ولحساب الخلق والصلاح والخير؛ ولحساب العدل المطلق المتكامل الجوانب والأسباب.

إن المنهج الإسلامي يتبع الفطرة في تقسيم الوظائف، وتقسيم الأنصبة بين الرجال والنساء، والفطرة ابتداءً جعلت الرجل رجلاً والمرأة امرأة، وأودعت كلاً منهما خصائصه المميزة؛ لتنوط بكل منهما وظائف معينة... لا لحسابه الخاص، ولا لحساب جنس منهما بذاته. ولكن لحساب هذه الحياة الإنسانية التي تقوم، وتنتظم، وتستوفي خصائصها، وتحقيق غايتها -من الخلافة في الأرض وعبادة الله بهذه الخلافة- عن طريق التنوع بين الجنسين، والتنوع في الخصائص، والتنوع في الوظائف.

وبهذه المقدمة نجد معالم التوازن والكرامة الشاملة، والتقدير الدقيق في المنهج الإسلامي الحكيم، الذي شرعه الحكيم: [أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾] [سورة الملك][1].

وإليك -أخي القارئ الكريم- بعض مظاهر تكريم الإسلام للمرأة:

أولاً: المساواة في الإنسانية:

فالرجال والنساء في الإنسانية سواء، قال تعالى: [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات:13]

وقال تعالى: [هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

(1) راجع: دستور الأسرة في القرآن، أحمد فائز (ص:33).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا [الأعراف:189]

وقال صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة ل أنه قال: (إنما النساء شقائق الرجال)[1] قال ابن الأثير: «أي نظائرهم وأمثالهم كأنهن شققن منهم؛ لأن حواء خلقت من آدم عليه الصلاة والسلام، وشقيق الرجل أخوه لأبيه ولأمه؛ لأن شق نسبه من نسبه»[2].

فالحديث يدل على الوحدة الإنسانية حيث إن حواء خلقت من آدم، وهو أبو البشر.

ثانياً: المساواة في التكاليف الإيمانية -إلا ما اختص به الرجال-:

فالإسلام جعل الرجل والمرأة على قدم المساواة في التكاليف الدينية؛ والخطاب الشرعي يتوجه إلى النساء والرجال، ومن ذلك قوله تعالى: [فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ][محمد:19].. وقوله تعالى: [إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ] [البروج:10].

ومن المجمع عليه أن المرأة مطالبة بجميع تكاليف الإسلام إلا ما خص منها، وهي مطالبة أيضاً بأركان الإسلام مثل الصلاة إلا أن تكون حائضاً، والصوم والزكاة والحج... وغيرها من تكاليف الإسلام.

ثالثاً: المساواة في حق الملكية الفردية:

قال تعالى: [لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ] [النساء:32] وهذا الحق وهذه المساواة منحة الإسلام للمرأة، والنص واضح في ذلك؛ هذا الحق الذي كانت الجاهلية العربية -كغيرها من الجاهليات القديمة- تحيف عليه؛ ولا تعترف به للمرأة -إلا في حالات نادرة- ولا تفتأ تحتال للاعتداء عليه، إذ كانت المرأة ذاتها مما يستولى عليها بالوراثة كالمتاع!!

---

(1) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة: باب في الرجل... (1/ 162)، وأخرجه الترمذي في كتاب الطهارة، باب: فيمن يستيقظ فيرى بللاً (1/ 189)، ورواه أحمد في المسند (6/ 256)، وصححه الألباني في صحيح جامع الترمذي (1/ 35).

(2) عون المعبود بشرح سنن أبي داود (1/ 400).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو الحق الذي ظلت الجاهلية الحديثة -التي تزعم أنها منحت المرأة من الحقوق والاحترام ما لم يمنحه لها منهج آخر- تتحيفه، فبعضها يجعل الميراث لأكبر وارث من الذكور، وبعضها يجعل إذن الولي ضرورياً لتوقيع أي تعاقد للمرأة بشأن المال؛ ويجعل إذن الزوج ضرورياً لكل تصرف مالي للزوجة في مالها الخاص! وذلك بعد الثورات والحركات والمظاهرات النسائية الكثيرة، وما نشأ عنها من فساد في نظام المرأة كله، وفي نظام الأسرة، وفي الجو الأخلاقي العام.

فأما الإسلام فقد منحها هذا الحق ابتداءً وبدون طلب منها، وبدون ثورة، وبدون جمعيات نسوية، وبدون عضوية برلمانية!! منحها هذا الحق تماشياً مع نظرته العامة إلى تكريم الإنسان جملة، وإلى تكريم شقيق النفس الواحدة، (النساء شقائق الرجال) وإلى إقامة نظامه الاجتماعي كله على أساس الأسرة، وإلى حياطة جو الأسرة بالود والمحبة والضمانات لكل فرد فيها على السواء.

ومن هنا كانت المساواة في حق التملك وحق الكسب بين الرجال والنساء من مبادئ الإسلام التي جاء بها[1].

رابعاً: المساواة في جزاء الآخرة:

وتدل على أن المرأة متساوية مع الرجل في جزاء الآخرة، قال الله تعالى: [مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾] [النحل:97].

وقال تعالى: [مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾] [غافر:40].

وقال تعالى: [فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن

(1) دستور الأسرة في ظلال القرآن: أحمد فائز (ص:37).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ] [آل عمران:195].

فهذه المظاهر في التكريم في الجزاء الواحد بينها وبين الرجل، وأنها محاسبة ومؤاخذة مثل الرجال تماماً، وقارن ذلك بما أصدره البرلمان الإنجليزي من قرارات في عصر «هنري الثامن» ملك انكلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب «العهد الجديد» أي: الإنجيل؛ لأنها تعتبر نجسة.

خامساً: ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة:

أن العلماء نصوا على أن من ضرب جاريته وهي ترعى غنماً -مثلاً- له فأكل الذئب واحدة منها أن كفارة ضربه لها هو عتقها؛ والدليل على ذلك ما رواه معاوية بن الحكم السلمي ت قال: (كانت لي جارية ترعى غنماً لي في قبل أحد والجوانية، فاطلعتها ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة[1]، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فعَظَّم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال: ائتني بها، فأتيته بها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة)[2] فجعل النبي صلى الله عليه وسلم تكفير ضرب معاوية بن الحكم ت لجاريته أن يعتقها تكفيراً منه عما بدر منه من ضربها، فهل هناك دين يحترم المرأة ويقدر الكرامة كدين الإسلام الذي جعله الله رحمة للعالمين؟!

سادساً: ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة:

قصة أم هانئ بنت أبي طالب ل، فقد أجارت رجلين من أحمائها كتب عليهما القتل في عام الفتح، وتحكي القصة أم هانئ فتقول: (ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره بثوب، فسلمت عليه، فقال: من هذه؟ فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: مرحباً بأم هانئ، فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف قلت: يا رسول الله! زعم ابن أمي علي أنه قاتل رجلاً قد أجرته -فلان ابن هبيرة- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ)[3].

---

(1) صك بمعنى: ضرب قفاه ووجهه بيده (المصباح المنير مادة «صك») وصككتها صكة أي: ضربتها بيدي مبسوطة.

(2) الحديث أخرجه مسلم في كتاب المساجد... باب: تحريم الكلام (1/ 382) حديث رقم (537).

(3) أخرجه البخاري في كتاب الغسل باب: التستر عند الغسل (1/ 74)، ومسلم في كتاب الحيض، باب: تستر المغتسل (1/ 265) حديث رقم (336) (وأجرنا من أجرت) هي من رواية أبي داود في كتاب الجهاد، باب: أمان المرأة (3/ 193).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن الحديث السابق يتبين لنا: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قبل من أم هانئ كلامها وأجار من أجارت (ومشى كلامها) و لم يخفر ذمتها؛ احتراماً منه صلى الله عليه وسلم للمرأة، وتكريماً لها، وجعلها من المؤمنين الذين يجير عليهم أدناهم.

سابعاً: ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة:

أن الرسول صلى الله عليه وسلم يوقف جيشاً بأكمله للبحث عن عقد فُقد لزوجته الحبيبة الغالية عائشة ل، فيبحث الناس عن العقد ولا يجدونه، ويخرج وقت صلاة الظهر ولا ماء، فيقول المسلمون: حبسنا من أجل زوجته[1]. فهل وجدتم أحداً يحترم المرأة ويكرمها كما أكرمها رسول الهدى؟ إنه يوقف الجيش من أجل زوجته مراعاةً لشعورها وتقديراً لها.

هل يتعامل الناس اليوم مع زوجاتهم كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع زوجته عائشة ل؟

ثامناً: ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة:

أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يسابق زوجته[2]؛ وهذا من التبسط ورفع الكلفة بينه وبين زوجته، فهو صلى الله عليه وسلم يقتطع جزءاً من وقته الثمين ليدخل السرور على أهل بيته صلى الله عليه وسلم ، مع أن الله كلفه بتبليغ الرسالة وحمل الأمانة، فأين الدعاة والمفكرون وأساتذة الجامعة –اليوم– الذين يهملون زوجاتهم يعتذرون بضيق الوقت؟! أما كان لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة.

---

(1) انظر القصة بتمامها في تفسير ابن كثير (1/ 618) (سورة النساء).

(2) أخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح، باب: عشرة النساء (1/ 636) حديث رقم (1979)، وأحمد في مسنده (6/ 264)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (1/ 334) حديث رقم (1610)، وفي الأحاديث الصحيحة حديث رقم (131).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تاسعاً: ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة: أن القرآن ينتصر للمرأة:

فهذه خولة بنت ثعلبة كانت زوجة لأوس بن الصامت، وكان رجلاً غضوباً قد كبر سنه، فجاء يوماً فراجعته زوجته في أمر ما، فغضب وقال لها: أنت عليَّ كظهر أمي، فذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستفتيه عن حالها وتشتكي إليه، فقال صلى الله عليه وسلم : (ما أراك إلا قد حرمت عليه) فجادلت النبي صلى الله عليه وسلم واشتكت في حرقة أمرها إلى رسول الله، أهكذا بكل «بساطة» تنقطع الصلة والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (ما أراك إلا قد حرمت عليه)؟ فقالت: يا رسول الله!

أكل مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إليك أشكو، قالت:فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات: [قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾] [المجادلة:1] الآيات [1].

فالرجل كان في الجاهلية يغضب لأمر من امرأته فيقول: أنت علي كظهر أمي. فتحرم عليه، ولا تطلق منه، وتبقى هكذا، لا هي حل له فتقوم بينهما الصلات الزوجية، ولا هي مطلقة منه فتجد لها طريقاً آخر، وكان هذا طرفاً من العنت والإهانة والإذلال الذي تلاقيه المرأة في الجاهلية[2].

فنزل القرآن ليحكي هذا الشأن الذي سمع الله ما دار فيه من حوار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرأة التي جاءت تجادله فيه، وهذا هو الشأن الذي أنزل الله فيه حكمه من فوق سبع سموات، ليعطي هذه المرأة حقها، ويريح بالها وبال زوجها، ويرسم للمسلمين الطريق في مثل هذه المشكلة العائلية اليومية!!

وإنه لتكريم أيُّ تكريم أن يقع مثل هذا الحادث العجيب، وأن تشعر هذه المرأة أن الله معها، حاضر شؤونها، جليلها وصغيرها، معنيٌّ بمشكلاتها اليومية، مستجيب لأزمتها العادية.. وهو الله..

---

(1) انظر القصة بتمامها في تفسير ابن كثير (4/ 376) (سورة المجادلة).

(2) في ظلال القرآن (6/ 3505).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكبير المتعال.. العظيم الجليل.. القهار المتكبر، الذي له ملك السموات والأرض وهو الغني الحميد[1]، تقول عائشة ل[2]: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادِلة خولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت، ما أسمع ما تقول، فأنزل الله: [قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ] [المجادلة:1].

وخلاصة القول: إن الإسلام يكرم المرأة ويخاطبها على أنها كائن مستقل عن الرجال وليس ملحقاً له، وأن الدخول في دين الله عمل عيني لا تصح فيه الوكالة، فالمرأة مكلفة تكليفاً عينياً كما الرجل تماماً، وهذا دليل على تكريمها واستقلاليتها، وأنها مخاطبة بدين الله كما الرجل، لا كما يزعم الغربيون أن المرأة لا تقرأ الإنجيل –أي: العهد الجديد– لأنها نجسة ولا تكون راهبة أو داعية إلى دينها إلا ما حصل في العصور المتأخرة رغم معارضته الكثير من القساوسة ورجال الدين الغربيين.

(1) بتصرف من المرجع السابق (6/ 3505).

(2) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (13/ 460)..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

الفوارق بين الرجل والمرأة
وموقف الأنظمة الغربية من ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

المسائل التي تخالف فيها المرأة الرجل

يجب أن يفهم كل مسلم أن هناك أحكاماً انفردت بها المرأة عن الرجل، وأحكاماً انفرد بها الرجل عن المرأة لحكمة أراد الله سبحانه وتعالى، وأستطيع أن أقول: إن الأحكام المتعلقة بالرجل أو المرأة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أحكام خاصة بالمرأة وحدها نظراً إلى فطرتها وتكوينها مثل: الحيض، والنفاس، والولادة، وغيرها.. وهذا القسم غير داخل فيه الرجل بحال من الأحوال.

القسم الثاني: أحكام عامة بين الرجل والمرأة سواء بسواء، مثل: الإيمان، والتصديق، والاعتقاد بأركان الإيمان، وأركان الإسلام، وأصول الشريعة الأساسية وقواعدها العامة. وهذا القسم خاص بالعقيدة ولا مقارنة فيه؛ إذ الرجل والمرأة فيه سواء.

القسم الثالث: الأحكام التي شاركت فيها المرأة الرجل في القاعدة العامة، وخالفته في النوعيات والجزئيات، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: الفرق بين حلق رأس المرأة وبين حلق شعر رأس الرجل، أو الفرق بين طيب الرجل وطيب المرأة، أو الفرق بين لبس الرجل ولبس المرأة، أو الفرق بين عورة الرجل وعورة المرأة في الصلاة، أو الفرق بين صلاة الرجل أو صلاة المرأة، أو الفرق في الجهاد بين قتل الرجل وقتل المرأة، أو الفرق بين الرجل والمرأة في ولاية النكاح، أو الفرق بين الرجل والمرأة في باب الجنايات... وغيرها من الأبواب الفقهية.

أما الحكمة من انفراد المرأة ببعض الأحكام عن الرجل، أو العكس؛ فإن لكل حكمٍ حكمةٌ عند الله تعالى قد تذكر صراحة أحياناً، وقد تبقى بدون تصريح، لكنها تعرف بطريق الاجتهاد، وقد تبقى مجهولة لأمر يريده الله، علماً بأن المسلم يُسلِّم بأن لكل حكم شرعي حكمة سواء عرفت أم لم تعرف.

والحكمة لا تكون على نسق واحد في الفروق كلها، بل كل فرق تصاحبه حكمة بتأمل حالة المرأة والرجل، وطبيعة الحكم نفسه، ووظيفة كل منهما، وعلاقته بالآخر، وبدوره في الحياة[1].

---

(1) راجع بتوسع: الأحكام التي تخالف فيها المرأة الرجل: سعد الحرني (ص:14) وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن هنا سأتناول بعض المسائل التي تخالف المرأة فيها الرجل، وأبين حكمها في الفقه الإسلامي، وموقف النظام الغربي من ذلك.

من أهم المسائل التي تخالف فيها المرأة الرجل الآتي:

أولاً: القِوامة:

القوامة لغة هي: من قام على الشيء يقوم قياماً، أي: حافظ عليه وراعى مصالحه، ومن ذلك القيِّم الذي يقوم على شأن شيء ويليه ويصلحه[1].

والمقصود بالقوامة هنا: أن الزوج أمين على المرأة يتولى أمرها ويصلحها في حالها، ويقوم عليه آمراً وناهياً كما يقوم الوالي على رعيته[2].

والقوامة لا تعني القوامة في البيت، بل هي أعم وأشمل؛ فالرجل يقوم على زوجته بكل شيء تحتاجه، فهو الذي يحميها ويحفظها، ويراجع لها معاملاتها وأموالها وتجارتها ونحو ذلك، فالقوامة أعم وأشمل من أن تكون محصورة في البيت فقط.

والقوامة التي سنتحدث عنها والتي هي من اختصاص الرجل بدليل قوله تعالى: [ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ] [النساء:34] هذه القوامة استحقها الرجل؛ لأنه هو الذي يبذل وينفق على المرأة، ومن ثم استحق القوامة؛ لأنه هو المنفق. هذا **أولاً**.

ثانياً: لأن الله العليم اللطيف الخبير هو الذي أعطى الرجل هذه القوامة بما لديه من استعداد نفسي وعقلي وبدني... كما سيأتي توضيحه إن شاء الله.

فالقوامة للرجل بنص القرآن، لكن أعداء الإسلام شغبوا على الدين، واتهموا الإسلام أنه يهين المرأة؛ لأنه جعل القوامة بيد الرجل، ونحن سوف نناقش هذه المسألة بالعقل والمنطق لنرى هل ظلم الإسلام المرأة حين جعل القوامة بيد الرجل أو لا؟!

لنفرض أن البيت بما فيه من المرأة والأولاد والرجل شركة أو مؤسسة، ولابد لهذه المؤسسة أو الشركة من رئيس أو قيِّم أو مدير، وعليه فهناك احتمالات ثلاثة هي:

---

(1) لسان العرب مادة (قوم)، والمصباح المنير مادة (قوم).

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية: فصل قوامة (34/ 77).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

1- إما أن يكونا قيمين معاً (الرجل والمرأة).

2- إما أن تكون المرأة قيمة.

3- إما أن يكون الرجل قيماً.

أما الاحتمال الأول فنستبعده؛ لأنه ثبت بالتجربة أن وجود رئيسين للعمل الواحد أدعى إلى الإفساد من ترك الأمر فوضى بلا رئيس.

والقرآن يقرر أنه: [لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا] [الأنبياء:22].. [إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ] [المؤمنون:91] فإذا كان هكذا الأمر بين الآلهة المتوهمين فكيف يكون بين البشر العاديين؟!

وعلم النفس يقرر أن الأطفال الذين يتربون في ظل أبوين يتنازعان على السيادة تكون عواطفهم مختلة، وتكثر في نفوسهم العقد والاضطرابات.

بقي الاحتمالان الثاني والثالث، وقبل الخوض في بحثهما نسأل: أيهما أولى وأجدر أن تكون وظيفته القوامة بما فيها من تبعات العقل (الفكر) أو العاطفة؟ فإذا كان الجواب البدهي هو العقل، فقد انحلت المسألة دون حاجة إلى جدال كثير[1].

إذاً: بقي الاحتمال الأخير وهو أن الرجل أولى بالقوامة؛ لأنه بطبيعته المفكرة لا المنفعلة، وبما يحتوي كيانه من قدرة على الصراع واحتمال أعصابه لنتائجه وتبعاته، أصلح من المرأة في أمر القوامة على البيت، بل إن المرأة ذاتها لا تحترم الرجل الذي تسيره فيخضع لرغباتها، بل تحتقره بفطرتها، ولا تقيم له أي اعتبار.

بل إن المرأة بعاطفتها الجياشة إذا دخل ابنها وقد سالت الدماء من وجهه انفجرت بالبكاء مباشرة على ولدها، أما الرجل فيفكر قليلاً، ثم يقول لابنه: ماذا فعلت يا بني حتى فُعِلَ بك هذا؟!

على أن المرأة لو طالبت بالقوامة والسيادة في أول عهدها بالزواج وهي فارغة البال من الأولاد، وتكاليف تربيتهم التي تزهق البدن والأعصاب، فسرعان ما تنصرف عنها حين تأتي المشاغل، وهي آتية بطبيعة الحال، فحينذاك لا تجد في رصيدها الفكري والعصبي ما تحتمل به مزيداً من التبعات، فتعود القوامة والسيادة إلى الأصل وهو الرجل.

---

(1) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب (ص:121).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وخلاصة القول: أننا إذا اتفقنا على أن القوامة تكون بيد الرجل فليس معنى ذلك أن يستبد الرجل بالمرأة، أو بإدارة البيت، فالرئاسة الناجحة لهذه المؤسسة (البيتية) تعني المشاورة والمعاونة، والتفاهم الكامل، والتعاطف المستمر، وهي قوامة إدارة ورعاية لا قوامة تسلط وتحكم، وكل توجيهات الإسلام تهدف إلى إيجاد هذه الروح داخل الأسرة، وإلى تغليب الحب والتفاهم على التراع والشقاق، فالقرآن يقول: [وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ] [النساء:19] والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (خيركم خيركم لأهله) وهو ميزان صادق الدلالة، فما يسيء رجل معاملة شريكته في الحياة إلا أن تكون نفسه من الداخل منطوية على انحرافات شتى، تفسد معين الخير أو تعطله عن الانطلاق[1].

وقد يقول قائل من المتأثرين بالنظام الغربي: إن هذه القوامة التي ميز الله بها الرجل، وأخضع المرأة لها، تنطوي على إجحاف بحقها، كما أنه شاهد بيّن على غياب المساواة المزعومة بين الرجل والمرأة في أحكام الشريعة الإسلامية والنظام الإسلامي!

والرد على ذلك مع ما سبق ذكره آنفاً أن نقول:

أولاً: إن الله خلق الناس من ذكر وإنثى... زوجين على أساس القاعدة الكلية في بناء هذا الكون، وجعل من وظائف المرأة: أن تحمل، وتضع، وترضع، وتكفل ثمرة الاتصال بينهما وبين الرجل، وهي وظائف ضخمة أولاً، وخطيرة ثانياً، وليست هينة ولا يسيرة بحيث تؤدى بدون إعداد عضوي ونفسي وعقلي عميق غائر في كيان الأنثى! فكان عدلاً كذلك أن يناط بالشطر الثاني -الرجل- توفير الحاجات الضرورية، وتوفير الحماية كذلك للأنثى؛ كي تتفرغ لوظيفتها الخطيرة، ولا يحمل عليها وتكلف أن تحمل وترضع وتتكفل.. ثم تعمل وتكد وتسهر لحماية نفسها وطفلها في آن واحد.

ثانياً: من العدل -كذلك- أن يمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينه على أداء وظيفة القوامة وغيرها من الوظائف.. وأن تمنح المرأة في تكوينها العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينها على أداء وظيفتها تلك.

وكان هذا فعلاً... ولا يظلم ربك أحداً.

ثالثاً: أن من الخصائص التي جعلت الرجل أولى بالقوامة أنه كُلِّف بالإنفاق -وهو فرع من توزيع

---

(1) للتوسع راجع: المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني، د. محمد سعيد البوطي (ص:98)، وفي ظلال القرآن (2/ 650)، وشبهات حول الإسلام، محمد قطب (ص:21).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاختصاصات- يجعله بدوره أولى بالقوامة؛ لأن تدبير المعاش للمؤسسة ومن فيها داخل في هذه القوامة، والإشراف على تصريف المال فيها أقرب إلى طبيعة وظيفته فيها... [1].

وقبل أن أنهي موضوع القوامة أريد أن أذكر مقلدة الغرب وحضارته ممن يزعم نصرة المرأة، والذي يتذمر من تشريع قِوامة الرجل ويدعي أن فيه هضماً للمرأة وظلماً... ويريد أن لا يكون للزوج عليها سبيل مهما فعلت.

أريد أن أذكره بقول الغربيين أنفسهم في هذه القضية:

فقد عالج موضوع قوامة الرجل وحلله تحليلاً نفسياً واجتماعياً موفقاً الباحث الدكتور «أوجست فوريل» وخلص إلى نتيجة هامة جداً قرر فيها: أن حماية الرجل للمرأة أساس جوهري لاستقرار الأسرة، ولتمتع الزوجة نفسها بالسعادة قال تحت عنوان له: **(سيادة المرأة):**

«يؤثر شعور المرأة بأنها في حاجة إلى حماية زوجها على العواطف المشعة من الحب فيها تأثيراً كبيراً، ولا يمكن للمرأة أن تعرف السعادة إلا إذا شعرت باحترام زوجها، وإلا إذا عاملته بشيء من التمجيد والإكرام، ويجب أيضاً أن ترى فيه مثَلَها الأعلى[2] في ناحية من النواحي، إما في القوة البدنية، أو في الشجاعة، أو في التضحية وإنكار الذات، أو في التفوق الذهني، أو في أي صفة طيبة أخرى، وإلا فإنه سرعان ما يسقط تحت حكمها وسيطرتها، أو يفصل بينهما شعور من النفور والبرود وعدم الاكتراث...

ولا يمكن أن تؤدي سيادة المرأة إلى السعادة الزوجية؛ لأن في ذلك مخالفة للحالة الطبيعية التي تقضي بأن يسود الرجل المرأة بعقله وذكائه وإرادته، لا تسوده هي بقلبها وعاطفتها» [3].

كذلك دلت الدراسات الأحصائية لأجوبة الطالبات المثقفات ثقافة عالية في أمريكا، وفي دراسات أجريت في عدد كبير من المدارس الأجنبية -أيضاً- في العراق والأردن ومصر ولبنان وهي بيئة لا تُتَّهم بالرجعية، دلت الدراسات على أن الفتيات «يرغبن في البيت والأطفال، وفي زوج يأخذ المسئولية على عاتقه؛ ليخلق من هذا البيت مكاناً مريحاً سعيداً» وقد ذُكرت هذه الإحصاءات

---

(1) في ظلال القرآن (2/ 650).

(2) المثل الأعلى لنا هو الرسول ﷺ.

(3) انظر: ماذا عن المرأة؟ د. نور الدين عتر (ص:115).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونتائجها في كتاب (**مشكلات المرأة في البلاد العربية**) والغريب أن مؤلفة الكتاب تعارض الفتيات في ذلك!! [1].

ثانياً: من الأمور التي تخالف فيها المرأة الرجل: الطـــــلاق:

أباح المنهج الإسلامي المحكم الطلاق كعلاج أخير لإنهاء المنازعات الزوجية؛ لأنه الحـــل العملـــي الحاسم الذي يلجأ إليه الزوج حين يعجز عن الوصول إلى التقارب والتفاهم مع زوجته مـــن خـــلال الأساليب التربوية المتدرجة التي أمر بها الإسلام، وبعد أن قام الزوج بخطواتها المطلوبة فقدم لها الموعظـــة الحسنة وكررها، هجرها في المضاجع، وعمل على التأديب بالضرب غير المبرح -بشروطه- ثم لجـــأ إلى التحكيم العائلي، وقد كان من رحمة الله بكيان الأسرة، وفضله على الزوجين أن جعل الطـــلاق علـــى مرتين؛ ليترك للزوجين فرصة تراجعهما عن الخطأ، وليشعرا بالندم والحسرة على ما صدر منهما بعـــد أن اقتربا من حافة الخطر[2].

لكن أعداء الإسلام جعلوا الطلاق هضم وظلم لحق المرأة، واستهانة بكرامتها، وقالوا: نحن نســـمع كثيراً من القصص والمآسي التي تنجم عن الطلاق، من تشريد للزوجة والأطفال، ومنازعات في المحاكم لا تكاد تنتهي حتى تبدأ من جديد.

تكون المرأة في بيتها هادئة مستقرة؛ بل مكدودة ناصبة، ترضع طفلاً وتنظر في طلبات طفل آخـــر، وتعمل مع هذا وذاك على تهيئة راحة الزوج، فإذا هي تفاجأ دون إنذار سابق بوثيقة الطلاق على يـــد المأذون.

لمـــــــــــاذا؟

لأن نزوة طارئة خطرت في نفس الزوج: رأى امرأة أخرى ظنها أجمل، أو مل (الروتين) الزوجـــي فرغب في التغيير، أو لأنه طلب من زوجته أن تسقيه فرفضت أو تكاسلت لأنها متعبة!

قالوا: أما من طريق لتحطيم هذا السلاح الخطر الذي يلهو به الرجل في لحظة غادرة بكيان امـــرأة صابرة، وعش هادئ، ومستقبل سعيد ينتظر أفراخه الصغار؟

ولا شك في وجود هذه المآسي الكثيرة، ولكن ما السبيل؟

---

(1) المرجع السابق نفسه.

(2) مزايا نظام الأسرة المسلمة: أحمد حسن كرزون (ص:191).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قالـــــــوا:

1- نلغي الطلاق: بمعنى يَحْرم الطلاق ويبقى القيد مؤبداً.

الرد: ماذا نصنع في المآسي التي تنجم من تحريم الطلاق، تلك المآسي التي تعرفها جيداً الدول الكاثوليكية التي لم تأخذ بمبدأ الإباحة؟!

وهل يصير البيت بيتاً وأحد الطرفين أو كلاهما يكره الآخر ولا يطيق عشرته؟ ومع ذلك فالقيد مؤبد، والخلاص مستحيل، أوليس هذا يؤدي إلى الجريمة؟ يتخذ الزوج عشيقة يلبي معها دوافع الجنس، والزوجة المنبوذة تتخذ نفس الطريق[1].

ومما يؤكد ذلك أن أحد القراء المسيحيين بعث لإحدى الصحف قائلاً: نحن الآن واقعون في مشكلة من أعقد المشكلات، هي الكره الشديد من بنت أخي لزوجها الذي تزوجته، وهي الآن لا تريده، وتستغيث ولا مغيث، أفلا يخشى من نتيجة ذلك أن تخون زوجها، أو تهرب، أو تنتحر، أو... إلخ فتسيء إلينا جميعاً؟ أليس من الخير لها ولنا ولزوجها الحالي الآن أن تطلق منه صيانة لنا ولزوجها، ولهذه الأسرة المضطربة الآن؟[2] [3].

وكذلك هل ينفع الأطفال أن ينشأوا في مثل هذا الجو المكهرب الملبد بالغيوم؟ ليس المهم هو مجرد حياتهم في كنف الوالدين، ولكن المهم هو الجو الذي يعيشون فيه.

ومع فشل هذه الطريقة وهي تحريم الطلاق، وحسبنا العبرة في ذلك في أعتى دولتين متعصبتين ضد تشريع الطلاق: ألا وهما: إيطاليا وأسبانيا، فقد أباحت الدولتان الطلاق، حيث أقر البرلمان الإيطالي قانوناً بإباحة الطلاق، ورقص الجمهور احتفاءً بهذا القانون؛ لكي لا تواجه المحاكم الإيطالية العدد الضخم من قضايا الطلاق، والذي يبلغ مليون قضية أو يزيد.

وكذلك أقرت حكومة أسبانيا تشريع الطلاق[4].

إذن: هذه طريقة فاشلة!

قالوا: نقيد حق الرجل في الطلاق:

بمعنى: أنه لا يقع الطلاق بمجرد إلقاء الرجل كلمة الطلاق، وإنما يقع في المحكمة، والمحكمة ترسل

---

(1) شبهات حول الإسلام: محمد قطب (ص:132).

(2) حقوق المرأة بين الإسلام والديانات الأخرى: محمود عبد الحميد محمد (ص:225).

(3) راجع بالتفصيل: الطلاق في الديانة المسيحية، المرجع السابق نفسه.

(4) انظر: ماذا عن المرأة؟ د. نور الدين عتر (ص:163).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في طلب حكمٍ من أهله، وحكمٍ من أهلها، ويبحثون الموضوع، ويراجعون الزوج، ويعظونه ويحاولون الصلح، فلعل ذلك كله أن يرد الرجل عن غيه، ويبقي على الأسرة وروابط الزوجية، فإذا لم تجد المحاولة فعند ذلك فقط ينفذ الطلاق على يد القاضي لا على يد الزوج[1].

وهذا الإجراء لا مانع منه؛ لأنه ينفذ في جزء منه وصية الشرع في مراجعة الأهل ومحاولة التوفيق، ولكن عند التطبيق نجد أنه يحتوي على صعوبات كثيرة منها:

1- كثرة المعاملات في المحاكم، وانتظار الوقت حتى ينظر القاضي في المعاملة.

2- إمكانية ضياع المعاملة.

3- إهانة الرجل المرأة أثناء وجود المعاملة للقاضي للنظر فيها، وإصدار حكمه بالطلاق إذا أصر الرجل على ذلك.

4- هناك أمم متحضرة لا تطبق التشريع الإسلامي، ولا يتم الطلاق إلا في المحكمة، وبعد تقديم المواعظ والإرشادات، ومحاولة التوفيق، فكم بلغت نسبة الطلاق هناك؟ لقد وصلت في أمريكا -وهي ممن يقيد حق الرجل في الطلاق- إلى (40%) وزيادة، وهي أعلى نسبة في العالم كله.

5- كيف نصنع برجل لا يريد الزوجة ولا يرغب بها، وأن الطلاق لا يتم ولا يثبت إلا إذا كانت الزوجة هي المخطئة؛ فأين كرامة المرأة في أن تبقى في بيت رجل يكرهها ولا يريدها في بيته؟! ويذكرها صباح مساء بأنه لا يرغب فيها ولا محل لها في قلبه؛ بل ينبذها وأحياناً قد يخبرها أنه يتصل بغيرها أو يفكر بغيرها أو نحو ذلك. أرى أننا أردنا أن نكرم المرأة فأهينت من حيث لا نشعر.

هل تبقى المرأة في بيت زوجها للمكايدة؟ أو هل تبقى وهي مسلوبة الكرامة والسلطان؟!

أم هل تبقى لتربية الأولاد؟ أكرم للأولاد -ألف مرة- وأقوم لتربيتهم أن يكونوا منفصلين مع أمهم، من أن يكونوا ليل نهار في هذا الجو المظلم الكريه.

إذاً: كلا. فليس لهؤلاء المتطرفون، وليس لأعداء الإسلام توفيق في هذه المسألة أبداً... ولا تحل المشكلة بتغيير الشرع.

إذاً: ما الحل؟!

تحل هذه المسألة بالتربية.. برفع المستوى الثقافي والنفسي والروحي لمجموع الشعب.. بتهذيب المشاعر حتى يكون الخير هو الغالب، وتكون المودة هي الأصل في الحياة.. بتعويد الرجل على أن ينظر

---

(1) شبهات حول الإسلام: محمد قطب (ص:133).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى علاقته الزوجية على أنها رباط مقدس لا ينبغي له أن يقطعه لأتفه الأسباب، وأن الطلاق حكم شرعي لا يتلاعب به أو يهدد به المرأة، فلا يليق برجل يحترم نفسه وذاتيته أن يجعل من الطلاق تهديداً مستمراً للمرأة؛ فليس ذلك من المعاشرة بالمعروف.

فالتربية طريق طويل وبطيء، لكنه الطريق الصحيح للتربية على الإسلام، وتحكيم الإسلام في أمورنا كلها، والتربية تحتاج إلى جهد دائم في البيت، والمدرسة، ووسائل الإعلام والصحافة، والكتب، والمسجد، وكل مكان يتواجد فيه الناس؛ ليعرفوا حقيقة الإسلام، ويقوموا بتطبيقه عملاً وواقعاً في حياتهم.

وأخيراً: فالإسلام يكفيه عدالة وتكريماً للمرأة والرجل، أن يعطي الحق للطرفين، فيعطي المرأة كذلك حق الانفصال حين ترى حياتها مع الرجل لا تؤدي إلى الوفاق المنشود عن طريق الخلع.

بل إن بعض الفقهاء نص على أن المرأة إذا خافت الرجل أو أن سمعته أو معاملته قد لا تكون جيدة فلها أن تشترط في العقد أن يكون أمرها بيدها، ولها ذلك إذا وافق الرجل؛ لأن المسلمين على شروطهم. وبعد هذا كله فالإسلام يقرر: أن الطلاق هو أبغض الحلال إلى الله، أو هو الحلال البغيض...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: من الأمور التي تخالف فيها المرأة الرجل: تعـــدد الزوجـــــــات:

وهذه واحدة من أبرز المسائل التي يتعلق بها محترفو الافتئات على الإسلام مصطنعو الغـــيرة علـــى المرأة وحقوقها.. وهي عندهم عنوان كبير على أن المرأة تعاني في المجتمعات الإســـلامية مـــن مشـــكلة اللامساواة مع الرجل، فما هو وجه الحقيقة في ذلك؟

بوسعنا أن نقول -ابتداءً- إن الأصل هو أن يحبس كل من الزوجين نفسه لرعاية الآخر وإسعاده.

ولكن الشريعة الإسلامية تضع في اعتبارها احتمال وجود ظروف وأسباب تجعل الـــزوج عـــاجزاً عن الاكتفاء بالزوجة الواحدة، وليس في الناس من يمتري ويجادل في وجود هذه الأسباب في كثير مـــن الأحيان أياً كان نوعها، وهي تعلن عن نفسها في الغرب وتميمن بسلطانها هناك على الرجال، أكثر ممـــا تعلن عن نفسها هنا في المجتمعات الإسلامية[1].

إذاً: ونظراً لاحتمال وجود هذه الأسباب -والتي سيجيء ذكرها لاحقـــاً- فإن الزوج قـــد يجـــد نفسه أمام احتمال من ثلاثة احتمالات:

1- أن يتزوج كل رجل صالح للزواج امرأة من الصالحات للزواج، ثم تبقى واحـــدة أو أكثـــر - حســـب درجـــة الاخـــتلال الواقعيـــة- بـــدون زواج، تقضـــي حياتهـــا -أو حيـــاتهن- لا تعرف الرجال.

2- أن يتزوج كل رجل صالح للـــزواج واحـــدة فقـــط زواجـــاً شـــرعياً نظيفـــاً، ثم يخـــادن أو يسافح واحدة أو أكثر مـــن هـــؤلاء اللـــواتي لـــيس لهـــن مقابـــل في المجتمـــع مـــن الرجـــال، فيعرفن الرجل خدناً أو خليلاً في الحرام والظلام!

3- أن يتزوج الرجال الصالحون -كلهم أو بعضهم- أكثر مـــن واحـــدة، وأن تعـــرف المـــرأة الأخرى الرجل زوجة شريفة في وضح النور لا خدينة ولا خليلة في الحرام والظلام.

أما الاحتمال الأول: فهو ضد الفطرة، وضـــد الطاقـــة، بالقيـــاس إلى المـــرأة الـــتي لا تعـــرف في حياتها الرجال. ولا يدفع هذه الحقيقة ما يتشدق به المتشدقون من استغناء المرأة عن الرجل بالعمـــل والكسب، فالمسألة أعمق بكثير مما يظنه هؤلاء المتحذلقون الجهال عن فطرة الإنسان، وألـــف عمـــل وألف كسب لا تغني المرأة عن حاجتها الفطرية إلى الحياة الطبيعية سواء في ذلـــك مطالـــب الجســـد والغريزة، ومطالب العقل والروح، من السكن والأنس بالزوج.. والرجل يجد الكسب والعمل؛ ولكـــن

(1) المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني: د. محمد سعيد البوطي (ص:121).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا لا يكفي، فيروح يسعى للحصول على الزوجة، والمرأة كالرجل -في هذا- فهما من نفس واحدة.

وأما الاحتمال الثاني: فهو ضد اتجاه الإسلام النظيف، وضد قاعدة المجتمع الإسلامي العفيف، وضد كرامة المرأة الإنسانية. والذين لا يحفلون أن تشيع الفاحشة في المجتمع، هم أنفسهم الذين يتعالمون على الله، ويتطاولون على شريعته؛ لأنهم لا يجدون من يردعهم عن هذا التطاول.

أما الاحتمال الثالث: فهو الذي يختاره الإسلام.. يختاره رخصة مقيدة لمواجهة الواقع.. يختاره متمشياً مع واقعية الإنسان وفطرته وظروف حياته[1].

أسباب تعدد الزوجات:

ومن هنا نرى أن الإسلام كان واقعياً حين شرع التعدد لما سبق ذكره وللأسباب والظروف الآتية:

أولاً: حالات الحروب التي تفني عدداً كبيراً من الشباب:

فيختل الميزان ويزيد عدد النساء على عدد الرجال، وعند ذلك يكون تعدد الزوجات ضرورة لاتقاء الفساد الخلقي والفوضى الاجتماعية التي تنشأ لا محالة عن وجود نساء بلا رجل، وقد تعمل المرأة لتعول نفسها وأهلها. نعم، ولكن حاجتها الطبيعية إلى الجنس كيف تقضيها؟ وما لم تكن هذه المرأة قديسة أو ملاكاً فهل أمامها سبيل إلا الارتماء في أحضان الرجال لحظات خاطفة في ليل أو نهار؟

ثم حاجتها إلى الأولاد كيف تشبعها؟ والنسل شهوة بشرية لا ينجو منها أحد، ولكنها لدى المرأة أعمق بكثير منها عند الرجل؛ إنها كيانها الأصيل الذي لا تشعر دونه بطعم الحياة.

وأعرف نساءً كثيرات كان زوجها عقيماً وهي تحبه حباً شديداً ومع ذلك طلبت الانفصال، ورضيت أن تتزوج برجل متزوج من أجل شهوة النسل والولد.

فهل من سبيل إلى قضاء تلك الحاجات كلها بالنسبة للمرأة ذاتها -بصرف النظر عن حاجة المجتمع إلى أخلاق نظيفة تحفظه من التحلل الذي أصاب دولاً كثيرة فأزالها من قائمة الدول التي لها دور في التاريخ- هل من سبيل إلى ذلك بغير اشتراك أكثر من امرأة في رجل واحد، علانية وبتصريح من القانون، على أن تكون كل منهن أصيلة ذات حقوق متساوية في كل شيء (إلا عواطف القلب المضمرة فهذه ليس لأحد عليها سلطان) ذلك بعض هدف الإسلام في هذا التشريع، وما يقول أحد أن اشتراك امرأة في رجل مع امرأة أخرى فضلاً عن اثنتين أو ثلاث يريح نفسها ويمنحها السعادة التي

(1) في ظلال القرآن: سيد قطب (1/ 580).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تهفو إليها، ولكنها ضرورة، ولولا أنها تجد في هذا الاشتراك ضرراً أخف من بقائها عاطلة بلا رجل ما قبلت الإقدام على ما فيه من منغصات[1].

(1) شبهات حول الإسلام: محمد قطب (ص:135-136).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: ما هو شبيه بحالة الحروب:

كالأعمال الخطرة والحوادث، وهذه الحوادث تخل التوازن بين الرجال والنساء؛ ومن ثَمَّ شرع التعدد.

ثالثاً: الطاقة الجنسية الحادة عند بعض الرجال:

حيث أن بعض الرجال لا يكتفي بواحدة؛ ولا يمكن له أن يصبر عليها، ونحن هنا نجد أنفسنا أمام احتمال من ثلاثة احتمالات:

1- أن نكبت الرجل ونصده عن مزاولة نشاطه الفطري بقوة التشريع الذي نصدره بعدم التعدد، وقوة السلطان، ونقول له: عيب يا رجل! إن هذا لا يليق، ولا يتفق مع حق المرأة التي عندك ولا مع كرامتها.

2- أن نطلق هذا الرجل يخادن ويسافح من يشاء من النساء!

3- أن نبيح لهذا الرجل التعدد -وفق ضرورات الحال- ونتوقى طلاق الزوجة الأولى التي لا تكفيه أو تكون عائقاً أمام شهوته العارمة.

الاحتمال الأول: ضد الفطرة، وفوق الطاقة، وضد احتمال الرجل العصبي والنفسي، وثمرته القريبة -إذا نحن أكرهناه بحكم القانون وقوة السلطان- هي كراهية الحياة الزوجية التي تكلفه هذا العنت، ومعاناة جحيم هذه الحياة.. وهذا ما يكرهه الإسلام؛ الذي جعل من البيت سكناً، ومن الزوجة أنساً ولباساً.

والاحتمال الثاني: ضد اتجاه الإسلام الخلقي، وضد منهجه في ترقية الحياة البشرية، ورفعها وتطهيرها وتزكيتها كي تصبح لائقة بالإنسان الذي كرمه الله على الحيوان!

والاحتمال الثالث: هو وحده الذي يلبي ضرورات الفطرة الواقعية، ويلبي منهج الإسلام الخلقي، ويحتفظ للزوجة الأولى برعاية الزوجية، ويحقق رغبة الزوجين في الإبقاء على عشرتهما وعلى ذكرياتهما، وييسر على الإنسان الرفق واليسر والواقعية[1].

---

(1) انظر في ظلال القرآن: سيد قطب (1/ 581).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رابعاً: عجز الزوجة لعقم، أو عيب جنسي، أو مرض عضال[1]:

قد تعجز المرأة عن الوفاء باحتياجات الحياة الزوجية، وذلك بسبب عقمها فلا يتحقق التناسل وهو من المقاصد الرئيسة للزواج، أو بسبب عيبها الجنسي -كل ما يمنع الاتصال الجنسي بين الزوجين أو يحول دون كماله- وهنا يكون البلاء أشد، وقد يطرأ العجز نتيجة مرض عضال يصيب الزوجة فيشل حركتها عن القيام بما تتطلبه الحياة الزوجية من أعباء.

قد يبدو أن المثل العليا تفرض على زوج هذه المرأة أن يرعاها ويسهر على راحتها، لا يتخلى عنها بفراق أو طلاق، ولا يزيد آلامها بزواج جديد عليها من أخرى، فهو قد اختارها برضاه شريكة لحياته.. يقتسمان معاً مرارة الحياة وحلاوتها، وما كان في امرأته أو ما طرأ عليها من عجز كان أمراً خارجاً عن إرادتها لا ذنب لها فيه.

غير أن الواقع يحدثنا بأنه من غير المستساغ أن نطلب من الرجل أن يعيش مع هذه الزوجة وحدها إلى الأبد في عش زوجية تخيم عليه ظلال البؤس أو المرض، ولا يتزوج غير هذه العاجزة مهما كلف ذلك من مشقة وعناء. نعم، لا ذنب للمرأة في عجزها؛ ولكن ما ذنب الرجل معها، ولماذا نحكم عليه بالعجز مثلها؟

هكذا يحدث التعارض بين مصلحة كلٍّ من هذين الزوجين؛ فإذا حدث مثل هذا التعارض نرى معظم التشريعات -مستهدفة مصلحة الجماعة- تجيز للزوج غير العاجز طلب التفريق بينه وبين زوجه العاجز، حتى لا يجر العجز الفعلي لأحد الزوجين إلى عجز حكمي للزوج الآخر، وحتى يتحقق الكمال في العلاقات الزوجية، وقد يلجأ الرجل إلى طلاق زوجته عند عجزها، أو طلب فراقها إذا لم يكن الطلاق مباحاً، أو إلى الزواج عليها إذا كان له أن يعدد زوجاته، وتلجأ المرأة كذلك إلى طلب التفريق بينها وبين زوجها لعيبه الجنسي، أو للضرر إن أصابه مرض عضال، أو حتى لعقمه؛ تشهد على ذلك القضايا العديدة في المحاكم.

وإذا كانت المثل العليا تفرض على الزوج أن يبقى مع زوجته العاجزة مراعاة لمصلحتها، وكانت التشريعات لا تستطيع أن تحيد عن الواقع في أحكامها فتراعي مصلحة الزوج غير العاجز ومصلحة الجماعة في تكامل الأسرة؛ فإن تعدد الزوجات هنا حلاً تشريعياً لصالح المرأة، يوفق بين الرغبة في العمل بالمثل العليا وبين ما يفرضه الواقع من أحكام، ذلك أن تعدد الزوجات في هذه الحالات يحقق

---

(1) انظر: تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية: عبد الناصر العطار (ص:25) وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في وقت واحد مصلحة الزوج ومصلحة امرأة أخرى تشرق عليها شمس حياة زوجية كريمة؛ بل ومصلحة الزوجة العاجزة ومصلحة المجتمع في أن لا تفترق هذه الزوجة عن زوجها واستمرار الزوجة العاجزة في حياة زوجية -ولو كانت ذات مرارة- خير لها من أن تكون بغير زواج طريدة الطلاق، أو التطليق أو الفسخ، لعيب جنسي أو عقم أو مرض عضال؛ لأن الزواج عليها دون فراقها يبقي لها أمل الشفاء، ويحفظ لها كرامة الحياة الزوجية، وعيش هذه الزوجة العاجزة مع زوجها وهو راض النفس بعد الزواج الجديد خير لها من عيشها معه وهو ضجر ضيق الصدر.

حقاً.. إن البقاء مع الزوج العاجز رجلاً كان أو امرأة دون زواج جديد، هو بلا شك إيثار من الزوج الآخر، والإيثار -من الناحية الخلقية- مطلوب من الإنسان، ولكنه غير مفروض عليه. ولا شك أن هناك نوادر من الوفاء من جانب بعض الرجال أو من جانب بعض النساء ولكنها «نوادر» وليست الوضع الغالب في الحياة، ولذلك يتحدث الناس عنها كأعمال بطولية، والتشريع يعنيه الغالب من الحوادث دون النادر منها؛ لأنه حكم بين الناس يحسم مشكلة، وعلى غيره تقع مسئولية الوعظ والإرشاد، والتشريع الإسلامي هنا عندما يبيح تعدد الزوجات لا تغيب هذه المثل عن باله، وإنما يقدر مصلحة عامة أولى بالاعتبار من المصالح الخاصة بالأفراد؛ بل ويراعي في هذه المصلحة مصلحة المرأة العاجزة؛ لأن الزوج لو كان عاجزاً ورفضت المرأة البقاء معه لحصل الفسخ؛ ولذلك نجد أن كثيراً من خصوم التعدد يعترف بهذا الدافع، ويعتبره مسوغاً مشروعاً لتعدد الزوجات.

خامساً: الفارق العددي أو «العنوسة»:

قد تتأخر المرأة عن الزواج لأيِّ سبب كان فيتقدم بها العمر؛ والعانس هي المرأة التي تمكث في بيت أهلها و لم يتقدم لها أحد، وتختلف وجهات النظر في تحديد العمر الذي تصبح فيه المرأة عانساً؛ لأن تحديده أمر نسبي يختلف باختلاف الزمان، والأعراف والمجتمعات، فالمرأة في مجتمعات سابقة إذا بلغت العشرين و لم تتزوج يمكن أن تُعدَّ عانساً، ولا تُعدُّ في زماننا عانساً، كما أنه في الزمان الواحد تختلف من مجتمع لآخر، فالعنوسة مرتبطة بالسن الذي ينصرف فيه عنها الخُطَّاب الأكْفاءُ الذين ترغبهم، ويتجهون إلى من هي أصغر منها.

وأنا أميل إلى أن بداية سن العنوسة بلوغ (25) سنة؛ بينما ذكرت «منظمة الأسكوا» استناداً إلى إحصاءات أجرتها أن عنوسة الفتاة تبدأ في سن الثامنة والعشرين ونصف[1].

(1) شريك العمر كيف تخططين بوعي للاقتران به: عبد الله المديفر (ص:44).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالفارق العددي للنساء الذي وصل في بعض البلدان (1: 4) يجعل التشريع الإسلامي ينظر إلى التعدد إلى أنه وسيلة مهمة جداً لإباحة التعدد؛ ومن ثم -أيضاً- مكافحة العنوسة والرحمة بهذه المرأة التي قد فاتها قطار الزواج لسبب من الأسباب.

وهذه طبيبة مشهورة حصلت على شهادة الدكتوراة في فنِّها وهي متخصصة في النساء والولادة تقول عن نفسها بعد أن فاتها قطار الزواج:

«إن النساء اللاتي يعالجن عندي في عيادتي ينظرن إلى هذه العيادة إلى أنها جنتي وهي سجني، وأن هذا الثوب الأبيض الذي ألبسه ينظرن إليه إلى أنه ثوب من حرير وهو ثوب كفني.. خذوا شهاداتي.. خذوا كل ما أملك وأسمعوني كلمة «ماما». ثم تقول بملء الحسرة: وأنا اليوم قد تجاوزت الأربعين من عمري، إنني اليوم مجرد امرأة فاقدة أي إحساس بالسعادة على الرغم من تفوقي ونجاحي العملي؛ لأني فقط لست أماً!!».

وتقول عانس أخرى: «ليت والديَّ أجبراني على الزواج.. لقد ضربني والدي كثيراً حين ترك لنا الحرية في تأجيل الزواج لمواصلة تعليمنا، وكذلك ضرتني والدتي حين لم تحذرني من أنني قد أندم حين أكبر وأبقى دون زواج»[1].

وخلاصة القول: إن نظام التعدد يتيح الفرصة أمام كثير من العانسات، فعيش هؤلاء العانسات بدون زواج أشد ضرراً من عيش بعضهن بنصف أو ثلث أو ربع زوج.

سادساً: حب الرجل لأخرى كسبب لتعدد الزوجات:

من المعروف أن الحب الذي قد ينشأ بين الرجل والمرأة ويدفعه إلى زواجها له أسبابه العديدة، ومن الخطأ أن نتوهم سبباً جنسياً وراء كل حب بين الرجل والمرأة يدفعهما إلى الزواج؛ ذلك أن ظروف العصر الحديث تصنع البؤرة الصالحة لنشأة الحب بين الرجل والمرأة، ولو كان أحدهما متزوجاً فالمرأة اليوم لم تعد بعيدة عن الرجل الأجنبي عنها؛ بل قد تكون أقرب إليه من زوجته في أكثر الأحوال، فهو يقضي معها في محل عملها زهاء ست ساعات متواصلة -وقد تطول أكثر- وقد لا يقضي مثل هذا الوقت مع زوجته اللهم إلا نائماً أو مشغولاً عنها، وقد يرى الرجل من زميلته في العمل ما لا يراه من زوجته، فيرى من زميلته جمالاً باهراً، وقد تربطه بها علاقة طيبة من

(1) المرجع السابق (ص:53)، وراجع للزيادة: غير متزوجات ولكن سعيدات: محمد رشيد العويِّد، وكيف تزوج عانساً، خالد الجريسي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حيث المعاملة في المكتب، وقد يسمع أحياناً منطقاً ساحراً.. ومن السهل أن يلتقي الرجل بالمرأة الأجنبية عنه في كل مكان، وللعيون نظرة، وللقلوب هوى، ولمشاعر الرجل والمرأة تفاعل قد يفوق التفاعل بين أية عناصر طبيعية أخرى.

ومن هنا نجد أن الشرع الحكيم نظر إلى المصالح المتعارضة: مصلحة الزوجة في أن لا يتزوج الزوج عليها، ومصلحة الزوج والمرأة الجديدة التي أحبها في أن يجمع بينهما عش الزوجية كما سبق للحب أن جمع بين قلبيهما، ومصلحة المجتمع في أن يحافظ على الأسرة القديمة، وفي أن يراقب العلاقة الجديدة خشية في أن تجري في السر وفي غير حلال وضد الدين.

ولو منعنا التعدد هنا وقالت المرأة: أفضل أن يزني زوجي ولا يتزوج عليَّ -كما قالته البعض منفعلة- فإننا نقع في أمرين خطيرين:

الأول: إما فتح باب الخليلات.

الثاني: أو طرق باب التخلص من الزوجة السابقة بطلاق أو بغيره، وليس ذلك في صالح المرأة ولا في صالح الرجل، ولا في صالح النظام الاجتماعي، تشهد على ذلك المآسي والمشاكل التي نسمعها ونقرأها في وسائل الإعلام.

والحق يقال: إن زواج الرجل بمن أحبها على زوجته أكرم له من انحرافه وخيانته، وتضييع وقته وجهده وماله على الحبيبة الجديدة، وأكرم كذلك لامرأته السابقة ولأولاده، وأشرف للمجتمع وأطهر للمرأة الجديدة، وهو كذلك خير من فراقه لزوجته السابقة في أكثر الأحوال مع ما يحصل للأولاد من تشرد وضياع[1].

سابعاً: كره الرجل زوجته:

قد يكره الرجل زوجته لسبب من الأسباب ولا يجد نحوها ميلاً أو رغبة، ربما لأنها سيئة الخلق، أو دميمة الخلقة، الأمر الذي يفقد الرجل رغبته الجنسية نحوها، وترى هذه المرأة أن من مصلحتها وخيرها أن تعيش مع زوجها الكاره لها لأسباب تحتم عليها ذلك، فيتزوج الرجل بامرأة أخرى تعصمه عن الوقوع في الفاحشة.

---

(1) بتصرف من كتاب: التعدد من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية: د. عبد الناصر العطار (ص:28) وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثامناً: الرغبة في الإنجاب:

فالرجل ينجب حتى بلوغ السبعين سنة وأزيد، والمرأة تتوقف عن الإنجاب في الأربعين أو الخامسة والأربعين، والغالبية في سن الخمسين، والفارق تقريباً ثلاثين سنة، فيتزوج الرجل ليستفيد من هذا الفارق ويكثر من الأولاد ومن هذه الرغبة الفطرية لديه.

تاسعاً: وفاة زوج لامرأة قريبة للرجل:

كأن يموت زوج إحدى قريبات الرجل كابنة العم أو الخال مثلاً، ولديها أطفال ويريد هذا الرجل أن يتزوج هذه القريبة ليحفظها ويحفظ أولادها، ولا يريد من الغرباء أن يرعوا أولاد قريبته؛ وربما لو لم يتزوجها لعرض المرأة أو أولادها للضياع والتشرد والعوز.

عاشراً: الجمال البسيط أو وجود عاهة بالمرأة[1]:

امرأة تولد وجمالها بسيط أو يكون بها عاهة، وهي بطبيعة الحال ليس لها دخل في خلقها، فهل يجوز لنا أن نحرمها من متعة الحياة الزوجية وإنجاب الأطفال؟

الجواب: لا يجوز لنا ذلك، والإسلام يشحذ همم المؤمنين ويشجعهم على الزواج بأمثال هذه المرأة وإدخال الفرحة والسرور إلى قلبها.

حادي عشر: غلط الرجل على المرأة:

قد يكون التعدد في بعض الأحيان تصحيحاً لغلط وقع بين الرجل وامرأة؛ والمرأة بطبيعة الحال هي كبش الفداء لهذا الخطأ فإنه يؤذيها في شرفها وكرامتها وسمعتها، وعلاج هذا الخطأ هو أن يتزوجها الرجل الذي غلط معها ولو كان متزوجاً من ذي قبل[2].

ثاني عشر: عودة المطلقة إلى عصمة زوجها السابق:

قد يفترق الزوجان بطلاق أو تطليق، ثم يرى الزوج بعد زواجه بأخرى أن يضم إلى عصمته

---

(1) نظرات في تعدد الزوجات: د. محمد مسفر الزهراني (ص:74).

(2) المرجع السابق (ص:75).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زوجته السابقة وتبادله هذه الرغبة، بعد أن عفى الزمان على أسباب الخلاف بينهما، أو بدافع رعاية أبنائهما، أو لغير ذلك من الأسباب. وتعدد الزوجات هو الحل الأمثل لمثل هذه الحالات، فهو يبقي الزوجة الجديدة دون فراق، ويعيد المطلقة إلى زوجها السابق، ويكفل لأولاد المطلقة العودة إلى العيش الذي كان يجمع والدهم ووالدتهم معاً، وإذا لم يكن تعدد فتضيع الأسرتين...

وخلاصة القول: إن هذه ليست كل المسوغات للأخذ بنظام تعدد الزوجات، وهناك بالتأكيد مسوغات أخرى تختلف من مجتمع إلى آخر، وتكون دافعاً للرجل المسلم على التعدد

والإسلام حين أباح التعدد لم يترك الأمر لهوى الرجل؛ ولكنه ليقيد التعدد بالعدل وإلا امتنعت الرخصة المعطاة للرجل!!

وقد كان الرجل في الجاهلية يتزوج ويعدد ما شاء من النساء، فجاء الإسلام ليحدد التعدد. روى البخاري بإسناده أن غيلان الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (اختر منهن أربعاً)[1].

وروى -أيضاً- أن عميرة الأسدي قال: أسلمت وعندي ثماني نسوة، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (اختر منهن أربعاً)[2][3].

فقد جاء الإسلام إذن وتحت الرجل عشر نسوة أو أكثر أو أقل -دون حد ولا قيد- فجاء ليقول للرجال: إن هناك حداً لا يتجاوزه المسلم هو أربع، وإن هناك قيداً هو إمكان العدل وإلا فواحدة[4].

كما أن الإسلام لم يجعل نظام تعدد الزوجات فرضاً لازماً على الرجل المسلم، ولا أوجب على المرأة أو أهلها أن يقبلوا الزواج برجل له زوجة أو أكثر، وأعطت الشريعة المرأة وأهلها الحق في القبول إذا وجد أن في هذا الزواج منفعة ومصلحة لابنتهم، أو الرفض إذا كان الأمر على العكس من ذلك. وإذا قبلت المرأة الزواج برجل متزوج فهذا دليل واضح على قناعتها التامة بأن زواجها لن يلحق بها ضرراً، ولن يكون فيه إجحاف لحقها

---

(1) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (6/ 248) عن عثمان بن محمد، ورواه أحمد (2/ 13، 44، 83)، وابن ماجه (1/ 628)(1953)، الترمذي (3/ 435)(1128)، الحاكم (2/ 210)، الدارقطني(3/ 269) عن بن عمر.

(2) البخاري في التاريخ الكبير (2/ 262).

(3) راجع: في ظلال القرآن (1/ 578) وما بعدها.

(4) راجع: في ظلال القرآن (1/ 578) وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو إهدار لكرامتها[1].

شروط التعدد:

اشترطت الشريعة الإسلامية شروطاً للتعدد هي:

الشرط الأول: العدد: فيباح تعدد الزوجات حتى أربع كحد أعلى.

الشرط الثاني: النفقة: وتشمل هذه النفقة على الطعام، والشراب، والكسوة، والمسكن والأثاث اللازم له؛ فالرجل الذي لا يستطيع أن ينفق على أكثر من زوجة واحدة فإنه لا يحل له شرعاً أن يتزوج بأخرى، فالقدرة على الإنفاق على الزوجة الثانية وأولادها واجب كما يظهر من قوله تعالى: [وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ] [النساء:3] فقوله: ألا تعولوا، أي: لا تكثر عيالكم فتصبحوا غير قادرين على تأمين النفقة لهم.

الشرط الثالث: العدل: فالتعدد مشروط بالعدل بين الزوجات، ومن لم يكن متأكداً من قدرته على تحقيق العدل بين زوجاته فإنه لا يجوز له أن يتزوج بأكثر من واحدة. ولو تزوج الرجل بأكثر من واحدة وهو واثق من عدم قدرته على العدل بينهن؛ فعقد الزواج صحيح وهو آثم.

فالعدل المطلوب هو العدل في المعاملة والنفقة والمعاشرة، أما العدل في مشاعر القلوب وأحاسيس النفوس فلا يطالب به أحد من بني الإنسان؛ لأنه خارج عن إرادة الإنسان، وهو العدل الذي قال الله عنه في الآية في هذه السورة: [وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ] [النساء:129] هذه الآية التي يحاول بعض الناس أن يتخذوا منها دليلاً على تحريم التعدد، والأمر ليس كذلك، وشريعة الله ليست هازلة حتى تُشرِّعَ الأمر في آية وتُحرمه في آية بهذه الصورة التي تعطي باليمين وتسلب بالشمال! فالعدل المطلوب في الآية الأولى، والذي يتعين عدم التعدد إذا أضيف ألا يتحقق هو العدل في المعاملة والنفقة

(1) نظرات في تعدد الزوجات: د.محمد بن مسفر الزهراني (ص:40).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمعاشرة والمباشرة، وسائر الأوضاع الظاهرة، بحيث لا ينقص إحدى الزوجات شيء منها؛ وبحيث لا تُؤْثِر واحدة دون الأخرى بشيء منها على نحو ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو أرفع إنسان عرفته البشرية يقوم به، في الوقت الذي لم يكن أحد يجهل من حوله ولا من نسائه أنه كان يحب عائشة ل، ويؤثرها بعاطفة قلبية خاصة لا تشاركها فيها غيرها، فالقلوب ليست ملكاً لأصحابها، إنما هي بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

وقد كان صلى الله عليه وسلم يعرف دينه ويعرف قلبه فكان يقول: (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)[1] [2].

فالميل القلبي ليس على الزوج فيه سلطان؛ لكن يجب عليه أن لا ينصرف كلية عن زوجته فيذرها كالمعلقة، فلا هي ذات زوج ولا هي معلقة، كما قال تعالى: [فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ] [النساء:129] بل على الزوج أن يعامل زوجته بالحسنى حتى يكسب مودتها، وأن الله لا يؤاخذه على بعض الميل إلا إذا أفرط في الجفاء، ومال كل الميل عن الزوجة الأولى[3]. فحينئذٍ يؤاخذ ويأثم، ويدل لذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إذا كان الرجل عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط)[4].

وإذا وجد العدل خفت الغيرة بين النساء كثيراً، واطمأنت المرأة على مستقبلها مع زوجها وضرتها. وهذا معاذ بن جبل ت يُروى عنه أنه ماتت له زوجتان في يوم واحد، وبعد الانتهاء من مراسم الجنازة وعند القبر أقرع بينهما ت أيهما تدخل في قبرها أولاً. قمة العدل والمراعاة حتى بعد الممات رضي الله عنهم أجمعين.

رابعاً: من الأمور التي تخالف فيها المرأة الرجل: حق الميراث:

---

(1) أبو داود (2/ 242) (2134)، النسائي (7/ 63-64)، الترمذي (3/ 446) (1140)، ابن ماجه (1/ 633) (1971)، الدارمي (2/ 193) (2207)، ابن حبان (10/ 5) (4205)، الحاكم (2/ 204).

(2) في ظلال القرآن (1/ 582).

(3) نظرات في تعدد الزوجات: محمد الزهراني (ص:41).

(4) الترمذي (3/ 447) (1141)، أبو داود (2/ 242) (2133) عن أبي هريرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أبرز الانتقادات التقليدية التي تتكرر في نطاق الحديث عن المساواة وضرورتها بين الرجل والمرأة، والوقوف عند قول الله تعالى في سورة النساء: [يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ] [النساء:11]، والنظر إليه على أنه وثيقة إدانة للشريعة الإسلامية، التي ضُبطت من خلال هذا الكلام متلبسة بتهمة التفريق بين الرجل والمرأة في أبرز ما ينبغي أن تناله من حقوق ألا وهو حق الميراث.

وسبب هذا الوهم الكبير في فهم الآية؛ لأن سماسرة هذا الانتقاد يفهمون من قوله تعالى: [لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ] [النساء:11] قانوناً عاماً سارياً في أحكام الميراث؛ بل إن كلمة [لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ] [النساء:11] غدت في وهم المروجين لهذا الانتقاد وكثير من دهماء الناس بمثابة دستور اجتماعي مطلق يفرضه الدين في كل مسألة وفي سائر الأحوال، وبالنسبة إلى سائر القضايا والمشكلات! في حين أن الآية إنما رسمت هذا الحكم في ميراث الأولاد دون غيرهم. وللورثة الآخرين ذكوراً وإناثاً أحكامهم الواضحة الخاصة بهم، ونصيب الذكور والإناث واحد في أكثر هذه الأحكام.

وإليك هذه الأمثلة:

1- إذا ترك الميت أولاداً وأباً وأماً، ورث كل من أبويه سدس التركة، دون تفريق بين ذكورة الأب وأنوثة الأم، ودون وجود أي سلطان للدستور الوهمي المطلق: [لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ] [النساء:11] وذلك عملاً بقوله تعالى: [وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ] [النساء:11].

2- إذا ترك الميت أخاً لأمه أو أختاً لأمه، و لم يكن ثمة من يحجبهما من الميراث فإن كلاً من الأخ والأخت يرث السدس، دون أي فرق بين الذكر والأنثى، ودون نظر إلى: [لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ] [النساء:11]؛ وذلك عملاً بقوله تعالى: [وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ] [النساء:12].

3- إذا ترك الميت عدداً من الإخوة للأم، اثنين فصاعداً، وعدداً من الأخوات للأم ثنتين فصاعداً، فإن الإخوة يرثون الثلث مشاركة، والأخوات -أيضاً- يرثن الثلث مشاركة، دون تفريق بين الإناث والذكور، ودون نظر إلى ما يظن بعضهم أنه دستور قانون مطلق هو: [لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ] [النساء:11]؛ وذلك بموجب قوله تعالى: [فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ] [النساء:12].

4- إذا تركت المرأة المتوفاة زوجها وابنتها، فإن ابنتها ترث النصف، ويرث والدها الذي هو زوج المتوفاة الربع... أي: إن الأنثى ترث هنا ضعف ما يرثه الذكر.

5- إذا ترك الميت زوجة وابنتين وأخاً له، فإن الزوجة ترث ثمن المال، وترث الابنتان الثلثين، وما بقي فهو لعمهما، وهو شقيق الميت، وبذلك يرث كل من البنتين أكثر من عمهما. إذ إن نصيب كل منهما يساوي (24/8) بينما نصيب عمها (24/5)، وهذا ما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما جاءته امرأة سعد بن الربيع بابنتيها قائلة: (يا رسول الله! هاتان ابنتا سعد قتل أبوهما يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولا تنكحان إلا بمال.قال: يقضي الله في ذلك. فنزلت آية الميراث. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال: «أعط ابنتي سعد الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فهو لك»[1].

إذاً: فقد تبين أن قوله تعالى: [لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ] [النساء:11] ليس قاعدة نافذة مستمرة تطبق كلما اجتمع ذكر وأنثى، وكان لهما نصيب من الميراث كما يتصور بعض الناس؛ بل هو قيد للحالة التي ذكرها الله تعالى وهي أن يرث جمع من الأولاد من أحد الأبوين، يتبين ذلك واضحاً من الجملة التي جاءت قبل هذا الحكم، وهي قوله تعالى: [يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ

(1) أبو داود (3/ 121) (2892)، الترمذي (4/ 414) (2092)، ابن ماجه (2/ 908) (2720)، أحمد (3/ 352)، الحاكم (4/ 370).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَوْلَادِكُمْ] [النساء:11] فإذا اجتمع من الأولاد ذكور وإناث فإن الذكور بمقتضى كونهم عصبة يعصبون أخواتهم، فيأخذ الجميع ما يفضل عن حصص أصحاب الفروض، على أن يكون للذكور الأولاد مثل حظ الأنثيين[1].

وبذلك نعرف أن الشارع الحكيم قد راعى وضع الوارث ومدى حاجته، ونوع العلاقة بينه وبين مورثه ذكراً كان أو أنثى، والدليل على ذلك أنه يجعل الابن هو المكلف بالإنفاق، ولا يتطلب من المرأة أن تنفق شيئاً من مالها على غير نفسها وزينتها، (إلا حيث تكون العائل الوحيد لأسرتها وهي حالات نادرة في ظل النظام الإسلامي؛ لأن أي عاصب من الرجال مكلف بالإنفاق ولو بعدت درجته) فأين الظلم الذي يزعمه دعاة المساواة المطلقة؟!

إن المسألة مسألة حساب لا عواطف ولا ادعاء، تأخذ المرأة -كمجموعة- ثلث الثروة الموروثة لتنفقها على نفسها، ويأخذ الرجل ثلثي الثروة لينفقها أولاً على زوجه -أي: على امرأة- وثانياً: على أسرة وأولاد، فأيهما يصيب أكثر من الآخر بمنطق الحساب والأرقام؟

وإذا كانت هناك حالات شاذة لرجال ينفقون كل ثرواتهم على أنفسهم ولا يتزوجون ولا يبنون أسرة، فتلك أمثلة نادرة، وإنما الأمر الطبيعي أن ينفق الرجل ثروته على بناء أسرة فيما امرأة بطبيعة الحال هي الزوجة،وهو ينفق عليها لا تطوعاً بل تكليفاً، ومهما كانت ثروتها الخاصة فلا يحق له أن يأخذ منها شيئاً ألبتة إلا بالتراضي الكامل بينهما، وعليه أن ينفق عليها كأنها لا تملك شيئاً، ولها أن تشكوه إذا امتنع عن الإنفاق أو قتر فيه بالنسبة لما يملك، ويحكم لها الشرع بالنفقة أو بالانفصال، فهل بقيت بعد ذلك شبهة في القدر الحقيقي الذي تناله المرأة من مجموع الثروة؟

وهل هو امتياز حقيقي في حساب الاقتصاد أن يكون للرجل مثل حظ الأنثيين وهو مكلف ما لا تكلفه الأنثى؟

على أن هذه النسبة إنما تكون في المال الموروث بلا تعب، فهو تقسيم بمقتضى العدل الرباني الذي يعطي لكل حسب حاجته، ومقياس الحاجة هو التكاليف المنوطة بمن يحملها. أما المال المكتسب فلا تفرقة فيه بين الرجل والمرأة، لا في الأجر على العمل، ولا في ربح التجارة ولا ريع الأرض... إلخ؛ لأنه يتبع مقياساً آخر هو المساواة بين الجهد والجزاء، وإذن فلا ظلم ولا شبهة في ظلم، وليس وضع المسألة أن قيمة المرأة هي نصف قيمة الرجل في حساب الإسلام كما يفهم العوام من المسلمين، وكما

---

(1) المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني: د. محمد سعيد البوطي (ص:107) وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول المشنعون من أعداء الإسلام، وقد رأينا بحساب الأرقام أن ذلك غير صحيح[1].

خامساً: من الأمور التي تخالف فيها المرأة الرجل: الشهادة:

جعل الإسلام الشهادة التي تثبت الحقوق شهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين، وذلك في قوله تعالى في آية المداينة: [وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ] [البقرة:282].

ومن الواضح أن هذا التفاوت لا علاقة له بالإنسانية ولا بالكرامة ولا بالأهلية، فما دامت المرأة إنساناً كالرجل، كريمة كالرجل، ذات أهلية كاملة لتحمل الالتزامات المالية كالرجل، لم يكن اشتراط اثنتين مع رجل واحد إلا لأمر خارج عن كرامة المرأة واعتبارها واحترامها، وإذا لاحظنا أن الإسلام -مع إباحته للمرأة التصرفات المالية- يعتبر رسالتها الاجتماعية هي التوفر على شئون الأسرة، وهذا ما يقتضيها لزوم بيتها في غالب الأوقات -وخاصة أوقات البيع والشراء- أدركنا أن شهادة المرأة في حق يتعلق بالمعاملات المالية بين الناس لا يقع إلا نادراً، وما كان كذلك فليس من شأنها أن تحرص على تذكره حين مشاهدته، فإنها تمر به عابرة لا تلقي له بالاً، فإذا جاءت تشهد به كان أمام القاضي احتمال نسيانها أو خطأها ووهمها، فإذا شهدت امرأة أخرى بمثل ما تشهد به زال احتمال النسيان والخطأ، والحقوق لابد من التثبت فيها، وعلى القاضي أن يبذل غاية جهده لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

هذا هو كل ما في الأمر، وقد جاء النص عليه صراحة في الآية ذاتها حيث قال تعالى في تعليل اشتراط المرأتين بدلاً من الرجل الواحد: [أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ] [البقرة:282] أي: خشية أن تنسى أو تخطئ إحداهما فتذكر الأخرى بالحق كما وقع.

---

(1) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب (ص:119-120).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولهذا المعنى نفسه ذهب كثير من الفقهاء إلى أن شهادة النساء لا تقبل في الجنايات، وليس ذلك إلا لما ذكر من أن المرأة تكون غالباً قائمة بشئون بيتها، ولا يتيسر لها أن تحضر مجالس الخصومات التي تنتهي بجرائم القتل وما أشبهها، وإذا حضرتها فقل أن تستطيع البقاء إلى أن تشهد جريمة القتل بعينها، وتظل رابطة الجأش؛ بل الغالب أنها إذا لم تستطع الفرار تلك الساعة كان منها أن تغمض عينيها وتولول وتصرخ، وقد يغمى عليها، فكيف يمكن بعد ذلك أن تتمكن من أداء الشهادة، فتصف الجريمة والمجرمين وأداة الجريمة، وكيفية وقوعها؟ ومن المسلم به أن الحدود تدرأ بالشبهات، وشهادتها في القتل وأشباهه تحيط بها الشبهة: شبهة عدم إمكان تثبتها من وصف الجريمة لحالتها النفسية عند وقوعها.

وما يؤكد هذا الاحتياط أن الشريعة قبلت شهادتها وحدها فيما لا يطلع عليه غيرها، أو ما تطلع عليه دون الرجال غالباً، وقد قرر الفقهاء أن شهادتها وحدها تقبل في إثبات الولادة، وفي الثيبوبة والبكارة، وفي العيوب الجنسية لدى المرأة، وهذا حين كان لا يتولى توليد النساء وتطبيبهن والاطلاع على عيوبهن الجنسية إلا النساء في العصور الماضية.

فليست المسألة إذاً مسألة إكرام وإهانة، أو أهلية وعدمها، وإنما هي مسألة تثبت في الأحكام واحتياط في القضاء بها، وهذا ما يحرص عليه كل تشريع عادل.

وبهذا نعلم أنه لا معنى للشغب والتشنيع على الإسلام في هذه القضية، واتخاذها سلاحاً للإدعاء بأنه انتقص المرأة، وعاملها دون الرجل كرامة ومكانة، وقد تقدم فيما سبق أنه عامل المرأة كالرجل، وبنصوص صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض[1].

سادساً: من الأمور التي تخالف فيها المرأة الرجل: الحجاب:

يرى كثير من الناس أن شرعة الحجاب هذه التي اختص بها الإسلام المرأة، من أكبر الأدلة على اللامساواة التي أقامها بين المرأة والرجل؛ بل رأى بعضهم في هذه الشرعة دليلاً على ازدراء المرأة والتقييد البالغ لحريتها.

ولو تأمل هؤلاء الناس في الباعث على شرعة الحجاب، لاكتشفوا أن الأمر على عكس ما يتصورون[2] -كما سيأتي معنا لاحقاً.

ولذلك لو أردنا أن نقنع فتاة ما بالحجاب، فيجب أن لا نستعمل أسلوب الضغط والإكراه؛

---

(1) انظر: المرأة بين الفقه والقانون: د. مصطفى السباعي (ص:31) وما بعدها.

(2) المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الإلهي: محمد سعيد البوطي (ص:154).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيضغط الأب على ابنته، والزوج على زوجته؛ من أجل لبس الحجاب، ما الذي سيولده هذا الضغط؟ سوى الحقد الدفين على الحجاب وأهله.

لماذا زاد الحقد على الحجاب؟!

لأن طريقتنا في الإقناع خاطئة.. ماذا فعل الرسول في دعوته خلال ثلاثة وعشرين سنة؛ إن التشريعات لم تنزل جملة واحدة، ومنها مسألة الحجاب، فآية الحجاب وهي قوله تعالى: [وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ] [الأحزاب:53] نزلت في ذي القعدة في السنة الخامسة من الهجرة؛ أي: بعد خمس عشر سنة.

لماذا كل هذه المدة الطويلة؛ إنها مرحلة التربية والإقناع؛ الإقناع الحسي والعاطفي، ثم بعد أن تهيأت القلوب نزل التشريع، ولذلك تقول عائشة ل: «لو قال الله لهم: صوموا وصلوا وزكوا وتحجبوا لما أطاعوا، لكنه بدأ بالتهيئة الإيمانية، بدأ بغرس العقيدة في قلوبهم حتى إذا استقرت العقيدة والإيمان، ثم بدأت طلبات التشريع تنزل شيئاً فشيئاً ومرحلة بعد مرحلة.

وكذلك نحن إذا أردنا أن نقنع الفتاة بالحجاب فيجب أن نبين لها مغزاه الحقيقي الذي ينطوي عليه -بعد التدرج- فإذا جعلنا المسألة مسألة اختيار شخصي ومسألة اقتناع ديني فإن الفتاة ستلبس الحجاب عن قناعة، ولن أُملي عليها أوامري، فتتشبث هي برأيها وتقام تلقائياً.

لكن لماذا لا تلتزم الفتاة بالحجاب؟

المسألة هو أن هذه الفتاة عندما كانت تأتي سافرة في البداية كانت تحمل هدفاً أو فكرة أو ربما لم تكن متأثرة برأي يخالف الدين، لكنها كانت تعمل ذلك لأنها ترى نفسها عصرية الهندام، أي أنها كانت قد صاغت نفسها، ورتبتها على آخر طراز للفتاة العصرية المتقدمة، كما تشاهد ذلك في التلفاز أو الصحافة، أو سمعته في الإذاعة، أو ترى نفسها أينما سارت أو ذهبت لا حديث للآخرين إلا عنها، ولا إطراء إلا لقيمها ومبادئها؟!

إذاً: ليس علينا أن نقول للفتاة: البسي كما كانت جدتك أو عمتك تلبس.

لكن قبل أن نقول لها: البسي كما لبست جدتك أو عمتك أو أمك يجب أن نحطم الصنم الذي استحوذ على تفكيرها.. لقد ذهبت عبادة اللات والعزى؛ إنما أصنام اليوم هي القيم والمبادئ أمثال مبادئ الفتاة العصرية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لابد أن نطرح البديل، أو نعرض على هذه الفتاة قيماً أعلى وأفضل من قيم هذه الفتاة العصرية، فإذا أفلحنا في إقناع الفتاة بهذه القيم الأعلى للمرأة المسلمة، فلسوف ترتبط بها، وسوف تفرض على نفسها كل رموز تلك القيم، وتختارها بنفسها، وتعتز بها، دون أن تشعر بالحقارة أو المهانة، كما حصل مع الفتاتين المسلمتين في فرنسا رفضتا كل الإغراءات وقبلتا حتى بترك الدراسة على أن تتنازل عن حجابها وقيمها ومبادئها.

والدليل على ذلك هو المرأة الصينية، فقد كان يضرب بها المثل في الجمال الذي أذعنت له كل نساء العالم؛ لأنها برعت في الجمال والزينة، والتدلل والدلع والغنج والفتنة، وكان الفلاسفة يكتبون بأسلوب علمي عن الطريقة التي تصبح بها المرأة مغناجاً، وبات جمال المرأة علماً متطوراً.

ولكن فجأة ما الذي دفع هذه المرأة المغناج لأن تلبس لباس الخيش وهو أرخص أنواع الألبسة، هذا الملبس الخشن الرخيص لتواجه الفتاة الفرنسية أو الأمريكية من غير أن تشعر إزاها بالحقارة، بل على العكس هي تشعر بالتفوق عليها.. إنها تعد نفسها ثورية وليست فتاة برجوازية، وترى أن الفتاة الفرنسية والأمريكية دمية ذات مظهر برجوازي؛ إنها ترى نفسها الأعلى والأفضل.

علينا أن نبحث عن الدافع الذي جعل هذه الفتاة الصينية صاحبة السوابق في التزين والدلع والجمال، تأتي الآن في القرن العشرين لتظهر أمامنا بهذا الهندام الخشن مستهينة بالفتاة الأوروبية الأنيقة.

ما الذي تغير.. أهو التقدم الاقتصادي الصيني؟ كلا.. فالاقتصاد الصيني ما زال متخلفاً أمام الاقتصاد الأوروبي، والفتاة الصينية بالمقياس الحضاري ما زالت متخلفة عن الفتاة الأوروبية، فأين هي من الفتاة الفرنسية أو الأمريكية؟!

إن الذي تغير هو القيم والمبادئ، فهذا القميص، وهذا اللبس الخشن ليس هو لباسها التقليدي المفروض عليها من قبل والديها، وليس هو لباس العوز والفقر، بل هو زي فكري مرتبط بالفكر الذي اعتنقته والذي تجاهد من أجله.

إنها تواجه الفتاة الفرنسية والأمريكية لتسألها: ما هي فلسفة ملابسك؟ غلاها.. ثمنها.. أناقتها، إذن ملابسك مرتبة بالمال والجمال والأناقة فقط.. أما ملابسي فهي دليل على سمو الفكرة التي ترتكز عليها.. قيمتك أيها الفرنسية أو الأمريكية تكمن في مالك وثروتك وملابسك الغالية.

وقيمتي تكمن في عقيدتي وأسلوب تفكيري، وهما أسمى وأعلى من المال والثروة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا نموذج لامرأة صينية!! فما هو نموذجنا؟

للأسف كان نموذجنا نحن المسلمين أن لبس الحجاب عندنا إنما هو للأسرة الفقيرة المتخلفة التي تريد الفتاة أن تخفي رثاثة ثيابها وملابسها خلف حجابها.

أو هو للأسرة المتحجرة المتزمتة غير الواعية التي تغصب الفتاة على لبس الحجاب؛ لأن العادة أو التقاليد تأمر بذلك، فقط هذا هو معنى الحجاب عند البعض.

لقد كانت الفتاة السافرة تشعر تلقائياً بالتفوق على الفتاة المحجبة، وكانت الفتاة المحجبة تشعر بالمقابل بالحقارة والنقص تجاه الفتاة السافرة، فالقيم هي التي تحرك السافرة لأنها تشعر أنها أكثر عصرية وحداثة، ولبسها أقرب إلى ما يترل في الأسواق المشهورة وتلبس من الماركات المشهورة مثل «دفنشي» أو ماركة «بوس»، أما الفتاة المحجبة فملابسها من «باب اليمن» أو «باب شعوب» أو غيرها من الأحياء الفقيرة في بلدها.

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن المحجبة قيمها ومبادئها هذه قابلة للسقوط والانهيار، والسافرة الجميع معها والكل يتكلم عنها وعن جمالها وأناقتها.

إن أي فتاة تريد اليوم ارتداء الحجاب، ما هي دوافعها لاختيار هذا القرار؟ إن لديها دافعين:

الأول: إما أن تقول: هكذا كانت أمي وعمتي وخالتي يرتدين هذا الزي وهذا هو زيُّ بيئتنا، هذا هو الواقع ولابد أن أفعل ما يفعله الناس من حولي.

الثاني: وإما أن تقول: الحجاب الذي كانت أمي ترتديه يمثل فكراً عقائدياً وأمراً ربانياً، وقيمة دينية، وأنا أؤمن بهذا الفكر وأحمل هذه القيمة، والله أمرني أن ألتزم بتعاليم الحجاب، وديني يفرض عليَّ ذلك.

فالحجاب هو نفسه لم يتغير، لكن الدافع هو الذي تغير.

وبناء على ما سبق فالفتاة التي اختارت لباسها بدون قناعة وبدون دين في أي لحظة قد تتخلى عن حجابها.

أما الفتاة التي اختارت لباسها عن قناعة ودين لا يمكن أن تتخلى عنه، ولا يمكن أن تشعر بالحقارة أمام زميلتها التي لا تعير مسألة الحجاب شأناً ولا تقيم له وزناً، بل المحجبة تشعر وتحس بالتفوق على زميلتها؛ لأنها تطيع ربها؛ ولأن زيَّها مظهر لعقيدتها ودينها وأمتها، وهذا هو الشيء الذي له قدر وقيمة في نفسها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومثالنا لذلك هو «انديرا غاندي»؛ «فانديرا غاندي» ترتدي (الساري) الزي الهندي العائد إلى ثلاثة آلاف سنة مضت، وتلتقي قادة العالم الكبار، وتدخل منظمة الأمم المتحدة، ويصفق لها الأعضاء نصف ساعة، ويقومون احتراماً لها. لماذا لم تشعر «غاندي» بالحقارة؛ بل تفرض احترامها على الجميع؟!

ذلك لأن زيِّها ليس هو الزي التقليدي الموروث الذي كانت جدتها العزيزة ترتديه؛ بل هو الزي الذي تريد أن تقول به للغرب: لقد طالعت حضارتكم، وثقافة الفتاة اللائقة بنظركم، ومجلات عرض الأزياء عندكم، وقرأت كل ما أرتم فرضه علينا، ولكنني بزيي هذا الذي أسافر به إلى فرنسا وألمانيا وأمريكا ومقر الأمم المتحدة، أقول لكم: قرنان من الزمن وأنتم تبذلون قصارى جهودكم كي تعيدوا صياغتنا على نمطكم، لكن مساعيكم كلها ذهبت أدراج الرياح، وأنا ما زلت أنا.. أنا «انديرا غاندي» بزيي وبقيمتي وبعقيدة أمتي.

هذه هي وجهة نظري في هذه القضية، على أمل أن يتفهمها من أراد للفتاة أن تلبس الحجاب، إن علينا أن نغير أسلوب تفكير فتياتنا، وإذا نجحنا في ذلك فستلبس الفتاة الحجاب عن قناعة ودين، لا عن خوف وتقليد.

إننا نحترم الفتاة في فرنسا وأمريكا التي تلبس الحجاب، نحترمها ونرى أنها جديرة أن تكون مسلمة متميزة؛ لأن امرأةً وقفت أمام الدنيا من أجل مبدئها ودينها وحجابها؛ إنها تقلد عائشة وخديجة وأسماء وحفصة، أما السافرة فتقلد من (مارلين مانرو) أو (بروك شيلدز) أو (ليزبت تايلور) أو (نعومي كمبل) أو غيرهن كثير من أصحاب الموضات والشهرة، وشتان بين فريقين فريق ينتمي إلى أمته، وفريق يقلد الآخرين[1].

وخلاصة القول: هل الحجاب في صالح المرأة إذا اقتنعت به؟ أو هو يقف أمام حريتها أو أنوثتها وجمالها؟

دعونا نناقش القضية بعيداً عن العاطفة والانفعال، ونذكر بعض الأدلة العقلية، وذلك على النحو الآتي:

الدليل الأول: الحجاب في صالح المرأة من الناحية المادية:

1- ثبت أن المرأة المصرية العاملة تدفع من الراتب (40%) إلى (50%) من أجل اللبس، وهنا

(1) للتوسع فيما سبق راجع: المرأة بين لطائف التشريع الإسلامي والنظام الغربي، د. محمد سعيد البوطي، وحجاب المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، والحجاب، د. علي شريعتي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لابد من التغيير في اللباس يومياً حتى لا تظهر أمام الزملاء والزميلات أنها لا تملك إلا نوعاً واحداً من اللباس، ولو كانت محجبة ما احتاجت إلى التغيير في اللبس يومياً.

2- متابعة الموضة وتغيير ملابسها حسب ما يتوافق مع الموضة، وفي هذا جهد كبير وتضييع للمال وجري وراء كل ما أنتجته الأسواق من الملابس الجديدة الموافقة للموضة والشياكة، ولو كانت المرأة تلبس الحجاب لما احتاجت إلى هذا كله.

الدليل الثاني: الحجاب في صالح المرأة من الناحية المعنوية:

عندما يعمل الرجل في مكتبة ويلاحظ -مثلاً- زميلاته في العمل ويرى اللبس الجميل ويشم الرائحة الطيبة، ثم يعود إلى منزله فتقابله زوجته بثيابها الرثة -ثياب المطبخ- وقد يشم رائحة لا تعجبه، فيجري مقارنة بين زوجته وزميلته في العمل أو (سكيرتيرته) فهنا تغير قلبه على زوجته، وسبب التغير هو هذه المرأة غير المتحجبة! بل إن الموظف أو المدير قد يتزوج زميلته في العمل ويطلقها بعد سنة؛ لأنه قام من النوم فلم يجد الجمال والشياكة (والمكياج) الذي كان يجده في المكتب، وهذا ملاحظ مشاهد.

إذاً: فالرجل كان يحب زوجته وتغير قلبه على زوجته، والذي غير قلبه هذه المرأة المتزينة، فهل ترغب المرأة من إحدى النساء أن تغير قلب زوجها عليها؟

الجواب: لا. إذن فلماذا لا تتحجب المرأة وتحافظ على مشاعر الأخريات، وعلى مشاعر الرجل، خاصةً ونحن في زمن كثرت فيه المغريات، وهؤلاء الرجال ليسوا ملائكة ولا صالحين إلا من رحم ربك.

ومما يؤكد الناحية المعنوية للحجاب ما يلي:

أ) عندما تشترك المرأة مع الرجل في لقاء علمي أو فكري -مثلاً- يهدف إلى إصلاح اجتماعي، أو معالجة لمشكلة علمية أو ثقافية، فإننا نفترض في هذه الحالة مسايرة لرغبة من يتأففون من الحجاب وقيوده، أن تبرز المرأة في هذا اللقاء العلمي أو الفكري المشترك بادية الزينة، قد أبرزت الكثير من مغرياتها.. على نحو ما تفعله المرأة (المتحررة) اليوم.. ترى ما الذي يحصل عندما تقوم هذه المرأة بهذا المظهر المثير، لتناقش في مسألة فكرية، أو معضلة اجتماعية، أو حتى عمل أدبي؟

الذي لابد أن يحصل هو أن تهتاج في الرجال الذين يرونها ويسمعونها مشاعرهم الغريزية، وتتغلب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على أنشطتهم الفكرية، فتشرد بهم الغريزة عن كلامها ومحاكماتها الفكرية، إلى ما يتبدى أمامهم من مغرياتها الجسدية.. أي: أن حديثها إليهم يكون في واد، والمهيجات الغريزية تسبح بهم في واد آخر، وهذا يعني بكل وضوح أن الرجال إنما يتعاملون معها على الرغم من حديثها العلمي أو الفكري الذي تطرحه، على أنها كتلة أنوثة تهيج الغريزة وتبعث على المتعة، ولا يحفلون من حديثها الفكري بشيء[1].

ب) كانت إحدى الشاعرات المعروفات في محيطنا العربي، تلقي قصيدة في أمسية شعرية جامعة، وكانت بادية الزينة، وكانت تميل شعرها الطويل المسترسل أثناء الإلقاء إلى طرف من وجهها، ثم ما تلبث أن ترده عنها في حركة مثيرة.

ولما انتهت من إلقاء قصيدتها وعجت القاعة بالتصفيق سأل أحد الجالسين صاحبه: كيف رأيت شِعرها -بكسر الشين-؟

فقال: إن لها شَعراً -بفتح الشين- يأخذ بالألباب.

هل في الناس من لا يقرأ في هذا الكلام أسوأ عبارات الامتهان الجارحة؟! [2].

جـ) وقد سئل العلامة «أحمد وفيق باشا»؛ سأله بعض عشرائه من رجال السيادة في أوروبا في مجلس بإحدى العواصم قائلاً: لماذا تبقى نساء الشرق محجبات في بيوتهن مدى حياتهن من غير أن يخالطن الرجال ويغشين مجامعهن؟

فأجابه قائلاً: لأنهن لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهن.

الدليل الثالث: الحجاب في صالح المرأة حتى لا تتعرض للفتنة والإيذاء:

قال الله تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ] [الأحزاب:59].

ففي قوله تعالى: [ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ] [الأحزاب:59] تلك هي

(1) انظر: المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني: د. محمد سعيد البوطي، (ص:157).

(2) المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الإلهي، د. محمد سعيد البوطي (ص:162).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحكمة؛ أي: أن الحكمة من الحجاب ليست إعانة المرأة بواسطته على الانضباط بالأخلاق الفاضلة، ولكن الحكمة منه إعانة الرجال الناظرين إليها على هذا الانضباط ذاته، وعلى أن ينظروا إليها ويتعاونوا معها إنسانة مثلهم ذات مقومات علمية وثقافية وقدرات اجتماعية، لا على أنها كتلة من المهيجات الغريزية[1].

ومعلوم أن المرأة إذا التزمت بالحجاب الشرعي عُرفت بالعفة وأنها مستورة محتشمة بعيدة عن أهل الريب والخنا، وحتى لا تُفتن ولا تَفْتِن غيرها فلا تؤذى. وكف عنها الفساق ومن في قلوبهم مرض بخلاف المتبرجة فإنها مطموع فيها[2]؛ فالحجاب عنوان العفة كما قال تعالى: [ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ] [الأحزاب:59] يعرفن بالحشمة والتستر فلا يؤذيها الفساق وضعاف الدين.

الدليل الرابع: الحجاب يوافق الأمر الفطري لدى المرأة:

إن الحجاب أمر فطري للنساء تقتضيه فطرتهن؛ لأن النساء جبلن على الرقة والضعف، فيجدن في أنفسهن حاجة إلى رجل يقوم بحمايتهن وحماية أولادهن، الذين يؤثرونهم على أنفسهن. وهن يحملن في فطرتهن تخوفاً من الرجال الأجانب، وهذا التخوف يقتضي فطرة التحجب وعدم التكشف.

ثم إن ما يقرب من سبعة أعشار النساء، إما متقدمات في العمر، أو دميمات لا يرغبن في إظهار شيبتهن أو دمامتهن، أو أنهن يحملن غيرة شديدة في ذواتهن، يخشين أن تفضل عليهن ذوات الحسن والجمال، أو أنهن يتوجسن خيفة من التجاوز عليهن وتعرضهن للتهم. فهؤلاء النساء يرغبن فطرة في الحجاب، حذراً من التعرض والتجاوز عليهن، وتجنباً من أن يكن موضع تهمة في نظر أزواجهن؛ بل إن المسنات أحرص على الحجاب من غيرهن.

وربما لا يتجاوز الاثنتين أو الثلاث من كل عشر من النساء هن: شابات وحسناوات، لا يتضايقن من إبداء مفاتنهن! إذ من المعلوم أن الإنسان يتضايق من نظرات من لا يحبه أو لا يعرفه. وحتى لو فرضنا أن حسناء جميلة ترغب في أن يراها اثنان أو ثلاثة من غير المحارم، فهي حتماً تستثقل وتتزعج من نظرات سبعة أو ثمانية منهم؛ بل تنفر منها.

---

(1) المرجع نفسه (ص:162).

(2) حراسة الفضيلة: د. بكر أبو زيد (ص:55).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالمرأة لكونها رقيقة الطبع سريعة التأثر تنفر حتماً -ما لم تفسد أخلاقها وتتبذل- من نظرات خبيثة تصوب إليها، والتي لها تأثير مادي كالسم -كما هو مجرب- حتى أننا نسمع: أن كثيراً من نساء أوروبا -وهي موطن التكشف والتبرج- يشتكين إلى الشرطة من ملاحقة النظرات إليهن قائلات: إن هؤلاء السفلة يزجوننا في سجن نظراتهم.

وهكذا فإن رفع المدنية الغربية الحجاب، وإفساحها المجال للتبرج يناقض الفطرة الإنسانية. وأن أمر القرآن الكريم بالحجاب -فضلاً عن كونه فطرياً- يصون النساء من المهانة والسقوط، ومن الذلة والأسر المعنوي، ومن الرذيلة والخنا[1].. فالمرأة بالحجاب -فطرةً وشرعاً- معدن الفضيلة والطهارة والنظافة: [وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ] [الأحزاب:53] فلا يقل أحد غير ما قال الله تعالى، لا يقل أحد: إن الاختلاط وإزالة الحجب والحجاب والترخص في الحديث، واللقاء، والجلوس، والمشاركة بين الجنسين أطهر للقلوب، وأعفُ للضمائر، وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة، وعلى إشعار الجنسين بالأدب وترقيق المشاعر والسلوك... إلى آخر ما يقوله نفر من خلق الله الضعاف والجهال بحكمة الله. لا يقل أحد شيئاً من هذا والله يقول: [وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ] [الأحزاب:53] يقول هذا عن نساء النبي صلى الله عليه وسلم الطاهرات.. أمهات المؤمنين، وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق! وحين يقول الله قولاً ويقول خلق من خلق الله قولاً، فالقول لله سبحانه وتعالى، وكل قول آخر هراء لا يردده إلا من يجرؤ على القول بأن العبيد الفانين أعلم بالنفس البشرية من الخالق الباقي الذي خلق هؤلاء العبيد!

والواقع العملي الملموس يهتف بصدق الله، وكذب المدعين غير ما يقوله الله، والتجارب المعروضة اليوم في العالم مصدقة لما نقول.

وها هي البلاد التي بلغ فيها التكشف والتعري أقصاه أظهر في هذا وأقطع من كل دليل، والغرب

---

(1) المرأة في الإسلام حرية أم عبودية؟ خديجة النبراوي (ص:92-93).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أول من قطف أبشع الثمار لعدم فرضية الحجاب[1].

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (5/ 2878).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

شـــــــروط اللبـــــــــاس الشـــــــرعـــــــــي

لقد حدد الإسلام الشروط والضوابط التي يجب على المرأة المسلمة أن تتقيد بها في لباسها، وهـــذه الشروط تكلم عنها الفقهاء قديماً وحديثاً، وهناك كتب مفردة لهذه الشروط[1]، وسوف أتحدث عـــن هذه الشروط باختصار؛ لأن المجال ليس مجال تفصيل.

شروط الحجاب الشرعي ثمانية شروط هي:

الأول: استيعاب جميع بدن المرأة.

الثاني: أن لا يكون زينة في نفسه.

الثالث: أن يكون صفيقاً (ثخيناً) لا يشف.

الرابع: أن يكون فضفاضاً غير ضيق.

الخامس: أن لا يكون مبخراً أو مطيباً.

السادس: أن لا يشبه لباس الرجال.

السابع: أن لا يشبه لباس الكافرات.

الثامن: أن لا يكون لباس شهرة.

فإذا تخلف شرط من الشروط السابقة لم يُعد الحجاب شرعياً؛ لأنه فقد شـــرطاً مـــن الشـــروط الواجب توافرها في الحجاب، وإليك بيان هذه الشروط باختصار:

الشرط الأول: استيعاب جميع بدن المرأة:

وذلك ليكون ساتراً للعورة، وللزينة التي نهيت المرأة عن إبدائها، فإن القصد الأول من اللباس هـــو الستر، فلا بد أن يكون لباس المرأة ساتراً لوجهها وكفيها وقدميها وسائر جسمها -على الـــراجح- إذا كانت خارج الصلاة وبحضرتها أجانب، قال تعـــالى: [وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ

(1) انظر على سبيل المثال كتاب: حجاب المرأة المسلمة، لمحمد فؤاد البرازي، وعودة الحجاب: لمحمد أحمد إسماعيل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مِنْهَا ﴾ [النور:31].

والنهي عن إبداء الزينة نهي عن إبداء مواضعها من باب أولى، ولولا اللباس لظهرت مواضع الزينة: من الصدر، والذراع، والقدم.. ونحوها، فعلى الفتاة المسلمة مراعاة الآتي:

1- أن يكون اللباس ساتراً لبدن المرأة، ومنه: الوجه، والكفان، والقدمان، والساقان، وعلى هذا فلا بد أن تلبس المرأة ما يستر كل ذلك إذ قد يظهر شيء منه، ولا سيما عند ركوبها السيارة أو لترولها منها، أو دخولها أماكن تضطر فيها إلى صعود سلالم، فتظهر زينتها وتحصل الفتنة بها.

2- ينبغي للمرأة لبس القفازين لستر الكفين، والجوارب (الشُّربات) لستر القدمين، وذلك عند خروجها لحاجتها، ويجوز استعمال البرقع إذا كان يستر الوجه ما عدا العينين لحاجة الإبصار، ويدل لذلك قول عائشة ل في المرأة المحرمة: (لا تتلثم ولا تتبرقع، ولا تلبس ثوباً بورس أو زعفران) [1]، وما رواه مالك عن نافع عن ابن عمر كان يقول: (لا تتنقب المرأة المحرمة ولا تلبس قفازين) [2].

فهذا يدل على أن المرأة في غير حالة الإحرام، تلبس البرقع والقفازين، إذ لو لم يكن كذلك لم يكن هناك فائدة من نهيها عنهما حال الإحرام.

ويرى بعض العلماء في الوقت الحاضر عدم الإفتاء بجواز لبس البرقع في عصرنا هذا؛ لأنه ذريعة إلى الفساد حيث أصبحت النساء يظهرن مع العينين جزءاً من الوجه مما يجلب الفتنة ولا سيما أن كثيراً منهن تكتحل عند لبسه فمنعه وجيه جداً من باب درء المفسدة.

3- لبس البالطو لا بد أن يكون ضافياً على جميع البدن لئلا يظهر شيء من مفاتن بدنها وثيابها؛ لأن ظهور هذا من التبرج الذي نهيت عنه المرأة المسلمة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:33].

4- أن مهمة العباءة أو (الكاب) أو (البالطو) هو ستر ما تحته من لباس يعتبر من أهم أنواع الزينة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(1) انظر: فتح الباري، (ج 3/ 405)، نقلاً عن زينة المرأة المسلمة للشيخ عبد الله الفوزان، (ص:40).

(2) الأثر رواه مالك في كتاب الحج (باب:6) تخمير المحرم وجهه، (حديث:15)، (ج1/ 328).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ [الأحزاب:59]، والجلباب: هو الرداء فوق الخمار، وقيل: هو ثوب واسع تستر به المرأة بدنها كله[1]! والعباءة أو (الكاب) أو (البالطو) نوع من الجلباب.

وعلى هذا فلا يجوز للمرأة أن تلبس (البالطو) أو (الكاب) أو العباءة المطرزة، التي تكون في أطرافها وأكمامها قيطان أو غيره؛ لأن هذا من التبرج؛ لأن العباءة أو (الكاب) أو (البالطو) إذا كان زينة في نفسه فهو بحاجة إلى ما يستره[2].

الشرط الثاني: أن لا يكون اللباس زينة في نفسه:

والمقصود من ذلك الثياب الظاهرة، فالمرأة منهية عن الثياب إذا كانت تلفت أنظار الرجال إليها؛ لعموم قوله تعالى: [وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ] [النور:31] [النور:31] فإذا نهين عن إبداء الزينة فكيف تلبس ما هو زينة؟ ولأن ذلك داخل في التبرج فإن تعريفه: (أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها وما يجب عليها ستره مما يستدعي به شهوة الرجال)، ولا ريب أن خروج المرأة بملابسها الجميلة من أكبر أسباب الفتنة وعوامل الفساد، والله تعالى يقول: [وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ] [الأحزاب:33] وعلى هذا فمتى اختارت المرأة ثيابها من الألوان الجذابة لكي تلذ بها أعين الناظرين من الرجال فهذا من مظاهر التبرج الجاهلي!

ولذلك يقول العلماء[3]: إن كلمة التبرج إذا استعملت للمرأة كان لها ثلاثة معانٍ:

أولها: أن تبدي للأجانب جمال وجهها ومفاتن جسدها.

ثانياً: أن تبدي لهم محاسن ملابسها وحليها.

ثالثاً: أن تبدي لهم نفسها بمشيتها وتمايلها وترفلها وتبخترها.

فعلى المرأة المسلمة أن تحذر ثياب الزينة الظاهرة ولو كانت في منزلها عند زوجها إذا حضر بعض أقارب الزوج كأخيه وعمه وابن أخيه ونحوهم، وهذا يختلف عن اللباس لزوجها، فلها أن تلبس ما شاءت عنده مهما بلغ من الزينة ما لم يصل إلى حد الإسراف، كما أنه لا مانع من لباس الزينة إذا

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (ج14/ 243).

(2) زينة المرأة: عبد الله الفوزان، (ص:41-42).

(3) انظر: زينة المرأة المسلمة، للشيخ عبد الله الفوزان، (ص:54).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سترته بالعباءة أو البالطو أو الكاب لحضور مناسبة من المناسبات إذا لم يراها الرجال الأجانب[1].

الشرط الثالث: أن يكون صفيقاً (ثخيناً) لا يشف:

أما الصفيق فلأن الستر لا يتحقق إلا به، وأما الشفاف فإنه يزيد المرأة فتنة وجمالاً، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البخت العنوهن فإنهن ملعونات) [2]، والمقصود من ذلك أن النساء اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ولا يستر، فهن كاسيات بالاسم، عاريات في الحقيقة[3].

وبناءً على ذلك فلا يجوز للمرأة أن تلبس ثوباً خفيفاً، وأن الثوب الخفيف يؤدي إلى الفتنة، وليس هذا اللباس من الإسلام في شيء، ومنه نأخذ أن الشراب الخفيف لا يجوز، كما لا يجوز لبس الخمار (الطرحة) إذا كانت خفيفة؛ بل إن الخمار الذي يوضع على الوجه وهو خفيف فهو أشدُّ فتنة؛ فعلى المسلمة أن تحذر من ذلك كله[4].

الشرط الرابع: أن يكون فضفاضاً غير ضيق:

لأن الغرض من العباءة (أو البالطو أو الكاب) إنما هو رفع الفتنة ولا يحصل ذلك إلا بالعباءة الواسعة؛ والسبب في ذلك حتى لا يصف جسم المرأة، ويُظهر حجم أعضائها ويغري أهل الفساد بها، ولا شك أن الثياب الضيقة التي تبرز دقائق الجسد، وتفاصيل الأعضاء، صارت أداة من أدوات الإغراء، وداعية من دواعي الإثارة، وسبباً من أسباب الفتنة، وتقف وراء ذلك مؤسسات مشبوهة، ودور أزياء يهودية أخذت على عاتقها إفساد المرأة، وهمها الأول الربح المادي البحت.

والدليل على هذا الشرط هو حديث أسامة بن زيد ا قال: كساني رسول الله صلى الله عليه

---

(1) المرجع نفسه، (ص:54- 55).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم، (ص:232)، وصححه الألباني في الحجاب (ص:56)، ونقل السيوطي كلاماً فيه، انظر تنوير الحوالك، (ج:3/ 103)، وانظر نيل الأوطار، (ج2/ 131).

(3) عودة الحجاب: محمد إسماعيل، (ص:148).

(4) راجع: زينة المرأة المسلمة، الفوزان، (ص:56).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وسلم قُبطية كثيفة مما أهدى له دِحية الكلبي فكسوتها امرأتي، فقال: (مالك لم تلبس القبطية[1]؟ قلت: كسوتها امرأتي، فقال: مرها فلتجعل تحتها غلالة[2] فإني أخاف أن تصف حجم عظامها) [3].

فالضيق من الثياب الذي يصف أكتاف المرأة أو ثديها أو عجيزتها فهذا لا يجوز لبسه وهو منهي عنه، ووردت السنة بذلك كما في حديث أسامة السابق.

الشرط الخامس: أن لا يكون مبخراً أو مطيباً:

وذلك لأنه يحرم على المرأة أن تخرج من بيتها مطيبة بدنها، معطرة ثيابها، أما الطيب فمنهيٌ عنه بجميع أنواعه، سواء كان من العطور الزيتية أو الكحولية أو البخور؛ لأن الطيب يستميل قلوب الرجال ويفتح باب الفتنة.

ووردت أحاديث تنهى عن ذلك فمن ذلك ما يلي:

1- قوله صلى الله عليه وسلم: (أيما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية، وكل عين زانية) [4].

2- وقوله صلى الله عليه وسلم: (أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة) [5].

3- وقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا خرجت إحداكن إلى المسجد فلا تَمسَّ طيباً) [6].

فإذا كانت المرأة منهية عن الحضور إلى الصلاة لوجود الطيب وهو مانع من فعل فريضة، فما بالك بمن تخرج إلى الأسواق أو الجامعة أو نحوه معطرة مطيبة؟ فهذا أعظم وأكثر إثماً؛ لأنه وسيلة إلى استثارة الرجال وميلهم إلى المرأة المطيبة المتعطرة، وقد ذكر العلماء أن خروج المرأة من بيتها متعطرة متزينة أن ذلك من الكبائر، ولو أذن لها زوجها[7].

---

(1) القبطية: بضم القاف نسبة إلى القبط بكسر القاف وهم أهل مصر، والقباطي ثياب إلى الدقة والرقة والبياض.

(2) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب، فهو مثل الملابس الداخلية للمرأة.

(3) أخرجه أحمد في المسند، (ج5/ 205)، قال المنذري: في إسناده عبد الله بن لهيعة ولا يحتج بحديثه. انظر: عون المعبود، (ج11/ 175)، وانظر: زينة المرأة، عبد الله الفوزان، (ص:42).

(4) أخرجه أحمد في مسنده، (ج4/ 414)، والنسائي في كتاب الزينة (باب:35) ما يكره للنساء من الطيب، (ج8/ 153)، وقد حسنه الألباني في صحيح سنن النسائي، (ج3/ 1049). وراجع مشكاة المصابيح حديث رقم (1065).

(5) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب (30) خروج النساء... (ج1/ 328)، حديث رقم (143).

(6) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب (30) خروج النساء... حديث رقم (142)، (ج1/ 328).

(7) عودة الحجاب: محمد إسماعيل، (ص:135).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جاء في الفتح الرباني ما نصه[1]: (فيه تشديد وتشنيع على من تستعمل الطيب من النساء للخروج، وتشبيه لها بالزانية؛ لأنها تهيج بالتعطر شهوات الرجال، وتفتح باب عيونهم للنظر إليها؛ وذلك من مقدمات الزنا، وقد نشأ ذلك في نساء زماننا، نعوذ بالله من فتنتهن).

الشرط السادس: أن لا يشبه لباس الرجال:

قال بعض العلماء[2]: (فإن لثوب الرجل صفات من أهمها: أن يكون فوق الكعبين أو إلى أنصاف الساقين، وقد ورد -في حق الرجال- عن أبي هريرة ا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار) [3].

ولكن الأمر انعكس في هذا العصر، فصار ثوب كثير من النساء فوق الكعبين، وبعضهن إلى أنصاف الساقين، وصار ثوب الرجل أسفل من الكعبين، ولا شك أن قصر ثوب المرأة يؤدي إلى ظهور عورتها من القدم والساق ونحوهما، وظهور زينتها إذا قامت أو انحنت أو جلست والله يقول: [وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ] [النور:31].

فإذا نهيت عن إظهار زينة الرِّجل فهي منهية عن إظهار الرجل نفسها من باب أولى.

وعن أبي هريرة ا قال: (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبس المرأة والمرأة تلبس لبس الرجل) [4].

ولباس المرأة أسفل الكعبين لحديث ابن عمر يقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر إليه يوم القيامة، فقالت أم سلمة: فكيف تصنع النساء بذيولهن؟ قال: يرخينه شبراً فقالت: إذن تنكشف أقدامهن، قال: فيرخينه ذراعاً لا يزدن عليه) [5] فهذا دليل على وجوب

---

(1) بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، (ج17/ 303).

(2) زينة المرأة المسلمة، (ص:44) وما بعدها.

(3) أخرجه البخاري في كتاب اللباس (باب:4) ما أسفل الكعبين، (ج7/ 34).

(4) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس (باب:31) في لباس النساء، (ج4/ 354)، وأحمد في مسنده، (ج:2/ 325)، وقد صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (ج:2/ 773)، حديث رقم (4098).

(5) أخرجه الترمذي في كتاب اللباس (باب:9) ما جاء في جر ذيول النساء، وقال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح، (ج:4/ 223)، والنسائي في كتاب الزينة باب (105) ذيول النساء، (ج:8/ 209)، وأحمد في مسنده، (ج:2/ 42)، وهو حديث صحيح.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ستر[1] قدم المرأة، وأنه أمر معلوم عند نساء الصحابة ي وأن الرِّجلين والساقين مما يخفى ولا يجوز إظهاره، فلا بد من ستره ولا يكون ذلك إلا بأن ترخي المرأة ثوبها شبراً أو ذراعاً، فتعمل المرأة المسلمة بهذا الحديث وتفصل ثيابها على ما يقتضيه الدليل الشرعي، ويكون لها قدوة بنساء خير الأمة وأفضل القرون.

وهناك أحاديث تنهى المرأة أن تتشبه بالرجل، وتنهى الرجل أن يتشبه بالمرأة، ولا شك أن تشبه أحد الجنسين بالآخر انحراف عن الفطرة، ودليل على عقلية فاسدة، وهو داء عضال انتقل إلينا نتيجة الاحتكاك بالغرب، ومحاكاته وتقليده، حتى أصبح الرجل كالمرأة، والمرأة كالرجل، في الزي واللباس والمشية والكلام.. ونحو ذلك، وهذا أمر مستقبح يأباه الشرع وتنفر منه العقول السليمة.

لأن لكل جنس صفاته الخاصة به وله ما يلائمه من اللبس والزينة، فثبت مما تقدم أنه لا يجوز للمرأة أن يكون زيها مشابهاً لزي الرجل، فلا يحل لها أن تلبس رداءه وإزاره ونحو ذلك، كما تفعله بعض بنات المسلمين -اليوم- من لبسهن ما يعرف بـ(الجاكيت) و(البنطلون)، وإن كان هذا في الواقع أستر لهن من ثيابهن الأخرى[2] ولكن الشرع نهى عن ذلك.

الشرط السابع: أن لا يشبه لباس الكافرات:

لا يحل للمسلم أو المسلمة أن يتشبه بالكافرين في أقوالهم وأفعالهم، ولا في أعيادهم وملابسهم، ولا في أي شأن من شئونهم التي يتميزون بها عن غيرهم.

وقد نهى الإسلام عن هذا التشبه أشد النهي، ليتميز المسلمون بشخصيتهم المتفردة عمن سواهم في كافة شئونهم وأحوالهم؛ لأن موافقتهم للكافرين في أقوالهم وأفعالهم وأعيادهم وملابسهم تدفعهم إلى التشبه بهم فيما يُفسد عقيدتهم فتذوب شخصيتهم ويصبحون تبعاً لأعدائهم[3] وهنا تكمن الخطورة.

ولذلك نجد أنه ظهر في هذا الوقت ما يسمى بـ(الموديلات) التي هي من لباس الكافرات، والتي تتغير كل يوم من سيء إلى أسوأ، وكيف ترضى امرأة شرفها الله بالإسلام ورفع قدرها؛ أن تكون تابعة لمن يملي عليها صفة لباسها؛ بل صفة تجملها عموماً ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر؟!

---

(1) زينة المرأة المسلمة، (ص:45).

(2) عودة الحجاب، (ج3/ 156)

(3) حجاب المسلمة: د. محمد فؤاد البرازي (ص:329).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإن كثيراً من صفات لباس المرأة اليوم، لا يتفق مع الضوابط التي حددها الإسلام في باب اللباس؛ وليس أن يمنع التجديد صفة اللباس والخياطة والتفصيل ما دامت متفقة مع تعاليم الإسلام في صفة اللباس، لكننا الآن نرى كل يوم صفة جديدة للخياطة والتفصيل!!

فمن أين جاءت؟ وما مدى تحقيق شروط اللباس فيها؟ وما دور المسلمة في ذلك؟ أهو التعقل ومعرفة حكم الإسلام، أو هو إجادة التقليد وحب التبعية والإعجاب بما عليه الآخرون من خير أو شر؟!

لقد انتشرت في المكتبات (مجلات الأزياء) التي تُعنى بصفة لباس المرأة، وتنويع التفصيل، وتسابق النساء إلى اقتنائها؛ بل إن مما يؤسف لها أن بعضهن له اشتراك سنوي أو شهري في هذه المجالات، التي هي من وضع مصممي الأزياء الذين خدعوا نساءنا باسم الموضة، وسخروا منهن لترويج بضاعتهم مع إفساد الأخلاق، والقضاء على العفة والتراهة[1].

ولانتشار هذه المجلات محاذير عديدة منها:

1- إن هذه الأزياء والموديلات تتنافى غالباً مع قواعد الإسلام في لباس المرأة؛ لأنها صممت في بلاد الكفر والإباحية التي لا ترى بأساً في العري، أو وصف حجم البدن، أو ظهور ما يسبب الفتنة، ونحو ذلك مما تشتمل عليه.

2- إن المرأة تتطلع إلى كل زي جديد، فيقضي ذلك -بالتدريج- نبذ أحكام ديننا والتأثر بأزياء لا تمت إلى الإسلام بصلة، وإذا كثر الإمساس قل الإحساس، وهذا الواقع.

3- إن التهافت على شراء هذه المجلات واقتناءها يوحي بأن عندنا نقصاً في موضوع لباس المرأة، نريد تكميله من غيرنا، ولا ريب أن تشبه أمة بأمة في غير ما أُذِن فيه ينافي الدين، وهو دليل الضعف والانحطاط والإحساس بالهزيمة وفقدان الثقة[2].

وخلاصة القول: أن مخالفة الكفار وترك التشبه بهم في اللباس وغيره من المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، ولما يترتب على التشبه بالكفار من آثار سيئة على عقيدة المسلمين وسلوكياتهم، وتشبه المرأة المسلمة بالكافرات في اللباس دليل على ضعف وانهزامية، وعقدة نقص، مما جعل المرأة المسلمة تزيل هذا النقص بالتشبه بالكافرات في اللبس والأوضاع والمناهج؛ وهذا يورث مع الأيام الميل إلى حب الكافرات والإعجاب بهن وتقليدهن في كل شيء والعياذ بالله.

---

(1) عبد الله الفوزان: زينة المرأة المسلمة، (ص:48) وما بعدها.

(2) راجع: زينة المرأة المسلمة، (ص:49).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشرط الثامن: أن لا يكون لباس شهرة:

فلا يجوز لامرأة مسلمة أن تختار من ألوان الثياب ما ترضي به رغبة الدعاية، ولا يتعلق بضرورة اللباس، أو حسنه وجماله في حدود المباح، وإنما لأجل أن ترفع إليها الأبصار، أو تفتن تلك النظرات الجائعة! وقد ورد عن عبد الله بن عمر ي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً) [1].

وثوب الشهرة هو الذي إذا لبسه الإنسان اشتهر به بين الناس.

قال الشوكاني[2]: (والحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة، وليس هذا الحديث مختصاً بنفيس الثياب؛ بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوباً يخالف ملبوس الناس من الفقراء، يراه الناس فيتعجبوا من لباسه ويعتقدوه).

وعلى هذا فيكون اللباس لباس شهرة ولو كانت المرأة في مجمع نسائي، والواقع أن هناك ألبسة على بعض النساء لا يبعد أن تكون من لباس الشهرة[3].

ومن ذلك ما تفعله بعض النساء اليوم من ارتياد المتاجر الشهيرة، ذات (الماركات العالمية) والأسعار المرتفعة لشراء حاجاتهن، ثم ارتداء تلك الملابس بقصد أن يرفع النساء إليهن أبصارهن؛ أو ليُعرفن بالزهو والخيلاء على غيرهن، هو من الحرام الذي يورث من تفعله الذل والمهانة، مع ما يصاحبه في الآخرة من عذاب النيران جزاءً وفاقاً على زهوهن، وكسر قلوب من يجالسهن، وجرح مشاعرهن وخواطرهن، وقد يؤدي ذلك إلى وقوع الشقاق بين هؤلاء وأزواجهن، لعدم استطاعتهم تلبية رغباتهن[4].

وخلاصة القول: لقد ذكر العلماء أنه يكره للإنسان مخالفة زي بلده وأن ذلك داخل في لباس الشهرة؛ بل قال بعضهم: يحرم ذلك، فينبغي للمرأة المسلمة أن تلبس لباس بلدها إذا كان موافقاً للشرع لئلا يشار إليها بالأصابع؛ ولأن لباس غير أهل بلدها ربما يزري بصاحبته وينقص مروءتها.

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس (باب:5) في لبس الشهرة، (ج:4/ 314)، وابن ماجه في كتاب اللباس (باب:24) من لبس شهرة من الثياب، (ج:2/ 1192)، وقد حسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3607)، (ج2/ 284)

(2) نيل الأوطار، (ج2/ 126)

(3) زينة المرأة المسلمة: عبد الله الفوزان، (ص:58-59).

(4) حجاب المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين: د.محمد البرازي (ص:307)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومما سبق من شروط الحجاب الشرعي يتبين لنا: أن الإسلام قد قام بتنظيم زينة المرأة وضبطها، فالزينة حلال للمرأة تلبية لفطرتها، فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة، وأن تبدو جميلة. والزينة تختلف من عصر إلى عصر، ولكن أساسها في الفطرة واحد، هو الرغبة في تحصيل الجمال أو استكماله وتجليته للرجال.

والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية، ولكنه ينظمها ويضبطها، ويجعلها تتبلور في الاتجاه إلى رجل واحد -هو شريك الحياة- يطلع منها إلى ما لا يطلع أحد سواه، ويشترك معه في الاطلاع على بعضها المحارم.

والمرأة المسلمة -اليوم- تتلقى أمر الله في الزينة، وهي طائعة مؤمنة لا تتلكأ في الطاعة، بل تطيع فوراً؛ لأنها تعرف أن الإسلام رفع ذوق المسلمة وطهر إحساسها بالجمال؛ فلم يعد الطابع الحيواني للجمال هو المستحب -كما نراه اليوم ونشاهده- بل الطابع الإنساني المهذب هو الأصل وهو الجمال الحقيقي.

وجمال الكشف الجسدي هو جمال غير مهذب يهفو إليه الإنسان الشهواني مهما كان هذا الجمال فيه من التناسق والاكتمال؛ لكن جمال الحشمة هو الجمال النظيف الذي يرفع الذوق الجمالي ويجعله لائقاً بالإنسان.

إن كثيراً من الرجال -اليوم- تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها، أو حُليِّها، أكثر مما تثيرها رؤية جسد المرأة ذاته.

كما أن كثيرين يثيرهم طيف يخطر في خيالهم، أكثر مما يثيرهم شخص المرأة بين أيديهم -وهي حالات معروفة عند علماء الأمراض النفسية اليوم- وسماع صوت الحلي أو الحركة، أو شم شذى العطر من بعيد قد يثير حواس رجال كثيرين ويهيج أعصابهم، ويفتنهم فتنة جارفة لا يمكن لها رداً، والواقع العملي المشاهد يشهد بذلك.

ولذلك نجد أن القرآن الكريم يسد هذه الطرق كلها [وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا تُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ] [النور:31] والذي قال ذلك هو سبحانه وتعالى، الذي خلق المرأة وخلق الرجل، وهو الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير[1].

(1) راجع: دستور الأسرة في ظلال القرآن، سيد قطب (ص:189).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بقيت مسألة قد يثيرها البعض وهي: هل الحجاب عائق عن تقدم المرأة؟!

كثيراً ما يطرح محترفو الإساءة إلى الإسلام، والذين يضيقون به ذرعاً، لارتباطات شخصية أو لأسباب نفسية أمثال العبارات الآتية:

الإسلام كبل المرأة بأثقال الحجاب..! الإسلام فرض على المرأة التخلف عندما ألزمها بالحجاب.. تقدم المرأة وتحررها رهن بتحررها من قيود الحجاب...إلخ.

فإذا بدأنا وحررنا أنفسنا قبل كل شيء من التقيد بالأسبقيات والانقياد لها أياً كانت هذه الأسبقيات فإن الجواب الموضوعي المتحرر من الأسبقيات هو أنه لا تبدو أي علاقة بين الحجاب الذي شرعه الله وبين التخلف، كما أنه لا توجد أي علاقة بينه وبين التقدم.

فلم يكن يوماً ما شكل الثوب الذي ترتديه المرأة، أو نظامه، طولاً وقصراً، أو عرضاً واتساعاً، ذا أثر في توجهها العقلي أو نشاطها الإنساني، ومنذ أقدم العصور إلى اليوم كانت البلاد والمجتمعات الإنسانية ذات تقاليد متنوعة ومختلفة جداً في (هندسة) الثياب وأشكالها، بالنسبة لكل من الرجال والنساء معاً، فما سمعنا وما سمع أحد، أن تنوع الثياب هذا لعب دوراً في تفاوت تلك الأمم والجماعات في خطوط التقدم العلمي والحضاري.

إن الثياب التي يرتديها الهنود -رجالاً ونساء- ذات طابع فريد من نوعه.

والثياب التقليدية العريقة التي ترتديها نساء اليابان، كانت ولا تزال ذات طابع فريد مختلف، كما أن الثياب التي تستريح إليها الأوروبيات والأمريكيات هي الأخرى ذات طابع مختلف. ولم يشعر أي من هذه الأمم بأن هذا التنوع الكبير في (موديلات) الثياب، ينبغي أن ينتج عنه تنوع مماثل في درجة التقدم. والحضارات التي سادت يوماً ما كالحضارة الساسانية، والبيزنطية، والإسلامية، وغيرها، لم تقف عن شيء اسمه مشكلة الثياب ولم تناقش فيها؛ بل لم تشعر بها.

فمن أين جاءت، ومتى ولدت هذه الحقيقة التي لا علم للعالم كله ولا لتاريخه بها؟

وبناءً على هذا المنطق فإننا نجد في أطراف الخليج فتيات ونساء جاهلات يسابقن فتيات الحي (اللاتيني) وأندية (الشانزليزيه) في باريس في المظهر والزينة والتحرر، فهل انعتقن بهذه الرقية السحرية من الجهالة والتخلف، وسجلت أسماؤهن في ديوان العالمات المتقدمات؟

وفي عمق بلادنا العربية كاليمن ومصر والشام، نساء متحجبات، بلغن الذروة في اختصاصات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

علمية متنوعة، وساهمن إلى أقصى الحد في الأنشطة والخدمات الاجتماعية المتنوعة، فهل أهدرت حشمتهن التي استجبن فيها لحكم الله عز وجل كل ما شهد لهن به مجتمعاتهن من الامتياز العلمي والسبق الحضاري، والنشاط الاجتماعي، فتحولن في لحظة سحرية عجيبة إلى جاهلات رجعيات متخلفات؟! [1]

فوائد الحجاب:

تعبد الله نساء المؤمنين بفرض الحجاب عليهن، الساتر لجميع أبدانهن وزينتهن، أمام الرجال الأجانب عنهن، تعبداً يثاب على فعله ويعاقب على تركه، ولهذا كان هتكه من الكبائر الموبقات، ويجر إلى الوقوع في كبائر أخرى، مثل: تعمد إبداء شيء من البدن، وتعمد إبداء شيء من الزينة المكتسبة، وفتنة الآخرين... إلى غير ذلك[2] من آفات عدم الالتزام بالحجاب الشرعي.

(1) بتصرف من المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني: د. البوطي (ص:163).

(2) حراسة الفضيلة: بكر أبو زيد (ص:70).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وللحجاب فوائد عظيمة، ومصالح كبيرة منها:

أولاً: الحجاب طاعة لله ولرسوله:

لأن الله ورسوله أمرا بالحجاب، قال تعالى: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا [الأحزاب:36]

وقال تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ] [الأحزاب:59].

إنه الاستسلام المطلق لشريعة الله عز وجل من المؤمنة، هذه الشريعة التي تقود المرأة المسلمة، وتصرف حركتها؛ والمؤمنة مطمئنة لهذه الشريعة التي تقودها، شاعرة معها بالأمن والثقة واليقين، سائرة معها في يسر وبساطة ولين.

ثانياً: الحجاب إيمان:

قال تعالى: [وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ] [النور:31]، وقال: [وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ] [الأحزاب:59] فالخطاب بالحجاب للمؤمنات؛ وكأن الملتزمة بالحجاب هي المؤمنة الحقة التي أطاعت ربها؛ لأنه وصفها بالمؤمنة، والمؤمنة طائعة لله مؤمنة به.

ثالثاً: الحجاب طهارة لقلب المرأة والرجل:

قال تعالى: [وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ] [الأحزاب:53] ففي الآية أمر من الله للمؤمنين إذا سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً أن يسألوهن من وراء حجاب، وعلل ذلك بأن سؤالهن بهذه الطريقة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يؤدي إلى طهارة القلوب، وعفة النفوس، والبعد عن الريبة وخواطر السوء.

وحكم نساء المؤمنين في ذلك كحكم أمهات المؤمنين؛ لأن قوله تعالى: [ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّ] [الأحزاب:53] علة عامة تدل على تعميم الحكم، إذ جميع الرجال والنساء في كل زمان ومكان في حاجة إلى ما هو أطهر للقلوب وأعف للنفوس... فالآية الكريمة فيها الدليل الواضح على أن وجوب الحجاب حكم عام في جميع النساء، لا خاص بأمهات المؤمنين، وإن كان أصل اللفظ خاصاً بهن؛ لأن عموم علته دليل على عموم الحكم فيه[1].

رابعاً: الحجاب علامة على العفيفات:

فالحجاب علامة شرعية على الحرائر العفيفات، في عفتهن وشرفهن وبعدهن عن دنس الريبة والشك: [ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩] [الأحزاب:59] وصلاح الظاهر دليل على صلاح الباطن، وإن العفاف تاج المرأة، وما رفرفت العفة على دار إلا أكسبتها الهناء[2].

والآية الكريمة تدعو جميع النساء إلى التستر والعفاف؛ لأن التستر بالعفة لا يعرضها للأذى؛ بخلاف المتبرجة فإنها معرضة للأذى ومطموع فيها، خاصة من ضعاف الإيمان.

خامساً: الحجاب حياء:

والحياء مأخوذ من الحياة، فلا حياة بدونه، وهو خلق يودعه الله في النفوس التي أراد سبحانه تكريمها، فيبعث على الفضائل، ويدفع في وجوه الرذائل، وهو من خصائص الإنسان وخصال الفطرة، وخلق الإسلام، والحياء شعبة من شعبة الإيمان، وهو من محمود خصال العرب التي أقرها الإسلام ودعا إليها، قال عنترة العبسي:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يُواري جارتي مأواها

---

(1) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. سيد طنطاوي (11/ 239).

(2) حراسة الفضيلة، بكر أبو زيد (ص:71).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما الحجاب إلا وسيلة فعالة لحفظ الحياء، وخلع الحجاب خلع للحياء[1]، وجرأة على المألوف، وباب إلى كل أسباب الفتنة والفوضى.

سادساً: الحجاب يناسب الغيرة:

إن الحجاب يتناسب مع الغيرة التي جبل عليها الإنسان السويُّ، والغيرة غريزة تستمد قوتها من الروح، والتحرر من القيود تستمد قوتها من الشهوة؛ فهذه تغري بالسفور، وتلك تبعث على الاحتجاب.

والغيرة من آثار تكريم الإسلام؛ لأنه غرس في نفوس المسلمين من الغيرة؛ ويقصد بالغيرة: تلك العاطفة التي تدفع الرجل لصيانة المرأة عن كل مُحرم وشين وعار، وهي من صميم أخلاق الإيمان[2].

والغيرة قد استقرت في نفوس العرب في الجاهلية؛ لأنهم يعتبرون ذلك من معاني فضائل الأخلاق، فهذا رجل جاهلي كان يمشي مع زوجته، فنظر إليها رجل ونظرت إليه، فأخذت زوجها الغيرة، وقال لها: أنتِ طالق؛ فلما سألته عن السبب تمثل هذين البيتين من الشعر:

إذا وقع الذباب على طعـــــــام رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنـــب الأســـود ورود مـــــاء إذا كن الكلاب ولغـــن فيـــه

فهذا رجل جاهلي، ولكنه فُطر على الغيرة، فأخذته الحمية على زوجته، فالرجل يغار مرة واحدة إذا نظر رجل إلى زوجته، ولكنه يغار مائة مرة إذا نظرت زوجته إلى رجل آخر غيره.

ويذكر عن سعد بن معاذ ت أنه شديد الغيرة، فقد قيل: إنه تزوج امرأة من الأنصار فحملها على فرس له، فلما وصل إلى مترله نحر الفرس، أتدري لماذا؟! حتى لا يركب على الفرس رجل بعد زوجته[3].

سابعاً: الحجاب يدعو إلى مكارم الأخلاق:

الحجاب داعية إلى توفير مكارم الأخلاق من العفة والاحتشام والحياء والغيرة، والحجب لمساويها من التلوث بالشائنات كالتبذل والتهتك والسُّفالة والفساد.

---

(1) حراسة الفضيلة، (ص:72).

(2) للتوسع في موضوع الغيرة راجع: عودة الحجاب، محمد إسماعيل المقدم (3/ 113) وما بعدها.

(3) إليك يا ذات النقاب: عبد الرحمن الوهيبي (ص:63).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثامناً: الحجاب يقطع الأطماع والخواطر الشيطانية:

الحجاب وقاية اجتماعية من الأذى، وأمراض قلوب الرجال والنساء، فيقطع الأطماع الفاجرة، ويكف الأعين الخائنة، ويدفع أذى الرجل في عرضه، وأذى المرأة في عرضها ومحارمها، ووقاية رمي المحصنات بالفواحش، وإِذْبَاب قالة السوء، ودنس الريبة والشك، وغيرها من الخطرات الشيطانية[1].

(1) حراسة الفضيلة: بكر أبو زيد (ص:71).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المراجـــــــــع

1) الأحكام التي تخالف فيها المرأة الرجل – لسعد بن شارع بن عوض الحربي – الطبعة الأولى – دار المسلم – (1415هـ-1995م).

2) إليك يا ذات النقاب – لعبد الرحمن بن رشيد الوهيبي – الطبعة الأولى – دار الصميعي – الرياض – (1417هـ-1997م).

3) تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية – للدكتور: عبد الناصر توفيق العطار – الطبعة الأولى – دار الشروق – جدة – (1397هـ-1977م).

4) تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي – دار الدعوة – استانبول – توزيع مكتبة الحرمين – الرياض.

5) التفسير الوسيط للقرآن الكريم – للدكتور سيد طنطاوي – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – (1998م).

6) الجامع لأحكام القرآن – لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – توزيع دار الباز – مكة.

7) الحجاب – للدكتور: علي شريعتي – ترجمة هاجر القحطاني – الطبعة الأولى – دار الفكر المعاصر – بيروت – (1414هـ-1994م).

8) حجاب المرأة المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين – للدكتور محمد فؤاد البنداوي – الطبعة الثالثة – مكتبة أضواء السلف – الرياض – (1420هـ-2000م).

9) حقوق المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى – محمود عبد الحميد محمد – الطبعة الأولى – مكتبة مدبولي – (1411هـ-1990م).

10) دستور الأسرة في ظلال القرآن – لأحمد فائز – الطبعة الثانية – مؤسسة الرسالة – بيروت – (1402هـ-1982م).

11) زينة المرأة المسلمة – لعبد الله الفوزان – الطبعة الثالثة – دار المسلم – الرياض – (1419م-1998م).

12) سلسلة الأحاديث الصحيحة – لمحمد ناصر الدين الألباني – الطبعة الأولى – مكتبة المعارف – الرياض – (1412هـ-1991م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

13) سنن ابن ماجه – لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني – مطبعة استانبول – (1401هـ-1981م).
14) سنن الترمذي – لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي – طبعة استانبول – (1401هـ-1981م).
15) شبهات حول الإسلام – لمحمد قطب – الطبعة الثانية عشرة – دار الشروق – بيروت والقاهرة – (1399هـ-1979م).
16) شريك العمر كيف تخططين بوعي للاقتران به؟ – لعبد الله بن محمد المديفر – الطبعة الأولى – مؤسسة الوقف الإسلامي – (1424هـ).
17) صحيح البخاري – لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري – طبعة استانبول – (1401هـ-1981م).
18) صحيح سنن ابن ماجه – لمحمد ناصر الدين الألباني – الطبعة الثالثة – مكتب التربية العربي لدول الخليج – (1409هـ-1989م).
19) صحيح سنن أبي داود – لمحمد ناصر الدين الألباني – الطبعة الأولى – مكتب التربية العربي لدول الخليج – (1408هـ-1988م).
20) صحيح سنن الترمذي – لمحمد ناصر الدين الألباني – الطبعة الأولى – مكتب التربية العربي لدول الخليج – (1408هـ-1981م).
21) صحيح مسلم – لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – طبعة استانبول – (1401هـ-1981م).
22) عودة الحجاب –لمحمد أحمد إسماعيل المقدم – الطبعة الحادية عشرة – دار طيبة – الرياض – (1417هـ-1996م).
23) عون المعبود شرح سنن أبي داود – لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي – تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان – الطبعة الثانية – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – (1412هـ-1998م).
24) غير متزوجات ولكن سعيدات – لمحمد رشيد العويد – الطبعة الأولى – دار ابن حزم – بيروت – (1419هـ-1998م).
25) فتح الباري بشرح صحيح البخاري – لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني – الطبعة الأولى – دار الكتب العلمية – بيروت – (1410هـ-1989م).
26) في ظلال القرآن – لسيد قطب – الطبعة الخامسة والعشرون – دار الشروق – القاهرة – (1417هـ-1996م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

27) لسان العرب – لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري – الطبعة الأولى – دار صادر – بيروت – (1412هـ-1992م).
28) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي – لأحمد بن محمد بن علي الفيومي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
29) مزايا نظام الأسرة المسلمة – لأحمد حسن كرزون – الطبعة الثانية – دار ابن حزم – بيروت – لبنان – (1417هـ-1997م).
30) المرأة بين الجاهلية والإسلام – دراسة مقارنة على ضوء الإسلام – لمحمد حامد الناصر وخولة درويش – الطبعة الأولى – دار الرسالة – مكة المكرمة – (1413هـ).
31) المرأة بين الفقه والقانون – لمصطفى السباعي – الطبعة السادسة – المكتب الإسلامي – دمشق – (1404هـ-1984م).
32) المرأة في سوق النخاسة العالمي – لمحمد أحمد معبر القحطاني – الطبعة الثانية – الناشر مكتبة دار الوفاء – جدة – (1407هـ-1996م).
33) ماذا عن المرأة؟ – للدكتور نور الدين عتر – دار الفكر – دمشق – (1416هـ-1995م).
34) المرأة في الإسلام حرية أم عبودية – إعداد خديجة البنداوي – الطبعة الأولى – الناشر شركة سوزلر للنشر – مدينة نصر – القاهرة.
35) المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الإلهي – للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي – الطبعة الأولى – دار الفكر المعاصر – دمشق – (1417هـ-1996م).
36) نظرات في تعدد الزوجات – للدكتور محمد مسفر الزهراني – الطبعة الأولى – (1411هـ-1991م).
37) المستدرك على الصحيحين – لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري – دار الكتب العلمية – بيروت.
38) نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار – لمحمد بن علي الشوكاني – حققه الأستاذان: طه سعد ومصطفى الهواري – مكتبة المعارف – الرياض.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الرابع

قضايا إسلامية معاصرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

حقوق الإنسان في الإسلام

تأليف

د. عبد الحكيم عبد اللطيف السروري

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيد

يعتبر موضوع حقوق الإنسان من أهم الموضوعات التي تحظى باهتمام عالمي بالغ، ويتضح ذلك من خلال عقد المؤتمرات والندوات وإبرام المواثيق والاتفاقيات على المستويين الإقليمي والدولي، وذلك من أجل معالجة جميع الجوانب والظروف التي تسهم في تحقيق تعزيز حقوق الإنسان، وتهيئ السبل الكفيلة لحمايتها.

وأياً كانت أسباب ودوافع الاهتمام بحقوق الإنسان وتناولها وتباين تقسيماتها فيبقى للطرح الإسلامي رونقه ووضوحه وعمقه وأصالته؛ لأنه ينطلق من تكريم الله ـــ للإنسان، فالله ـــ هو الذي خلق الإنسان بيديه في أحسن تقويم، ونفخ فيه من روحه، وفضله على كثير من خلقه، وجعله خليفة في الأرض، وسخر له ما في السموات وما في الأرض، وكرمه أعظم تكريم، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، قال تعالى: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ] [الإسراء:70].

فلذلك كانت كرامة الإنسان كما بينها الإسلام سياجاً لحرمة الإنسان وحصانته له وحفظاً لحقوقه، فالإسلام بما احتوى عليه من شريعة غراء كان أول من قرر حقوق الإنسان على الإطلاق سواء من الناحية التاريخية وإحراز فضل السبق، أو من حيث نوعية هذه الحقوق واتساق نطاقها ومداها، ولا تزال الديمقراطيات قديمها وحديثها متخلفة عن مواكبة الدين الإسلامي في هذا الصدد مهما بلغت في ادعاءاتها ودعاياتها، ومهما استخدمت في ذلك من زخرف القول غروراً، ولا أدل على ذلك من وجود التفرقة العنصرية في تلك الدول والاستبداد والمذلة التي تمارس ضد الشعوب.

وحتى نقف على حقوق الإنسان في الإسلام فإنه من المهم بمكان أن نستعرض باختصار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ثم نتبع ذلك بحقوق الإنسان في الإسلام.

أولاً: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:

اعتمد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في العاشر من كانون الأول ديسمبر عام (1948م) في وقت كانت فيه معظم دول العالم مسلوبة الإرادة، وترزح تحت وطأة الاستعمار الغربي، حيث نجد أن عدد الدول التي كانت تتمتع بعضوية الأمم المتحدة حينذاك (58) دولة من أصل (189) دولة التي تشكل عضوية الأمم المتحدة اليوم، كما أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أتى في وقت كانت فيه الدول الغربية التي عملت على صياغة هذا الإعلان وإعداده تقوم بأعمال وممارسات في مستعمراتها منافية تماماً لمواد الإعلان نفسه.

والحقوق التي يتمتع بها الإنسان في هذا الإعلان بوجه عام ترجع إلى حقوق ثمانية رئيسة وهي:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

1- الحق في حرية العقيدة
2- الحرية المدنية
3- حرية الرأي والتعبير
4- الحق في حماية النفس
5- حرية العمل
6- الحق في حماية المال
7- حرية التعليم
8- الحق في حماية العرض

أي حقوق... وأي إنسان...

إن احترام حقوق الإنسان وصيانتها واجب على كل ذي ضمير، فدونها يصبح الإنسان غير آمن على نفسه، لكن يجب أن يتفق الجميع أولاً على ما هو المقصود بمفهوم الحقوق وأي إنسان، ومن ثم العمل على حمايتها وصيانتها.

تتخذ المنظمات الغربية العاملة في مجال الإنسان -على رأسها (منظمة العفو الدولية) ومقرها في لندن وفروعها في عدد من دول العالم، (منظمة مراقبة حقوق الإنسان) الأمريكية المنشأ والمقر- من شعار حقوق الإنسان أداة لغزو فكري منظم، خطط له بعناية؛ لضرب القيم الأخلاقية والاجتماعية، ولمحو الثقافات المخالفة للثقافة الغربية بدعوى العولمة والقرية الكونية الواحدة، ووسيلة للتدخل السافر في الشؤون الداخلية للبلدان.

فالمقصود بالحقوق عند تلك المنظمات هو حقوق إنسان بعينه أو مجموعات محددة دون غيرها، كما أن المقصود حقوق وفق مبادئ معينة (علمانية) دون مبادئ أخرى.

وبعبارة أخرى فإن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان قام على أسس من القيم الغربية، ولم يراع خصوصيات القيم الأخرى التي تختلف مع القيم الغربية، ومن ثم تبدو مختلفة ومتناقضة أحياناً مع مبادئ حقوق الإنسان التي يصر عليها المفهوم الغربي، ومن الأمثلة على ذلك[1]:

الخمر محرم في الإسلام، ويعاقب عليه من شربه، بينما الخمر في القيم الغربية مقبول، والسكر غير منهي عنه... وفي عرفهم أن تحريم الخمر ضد حقوق الإنسان.

البغاء عندهم مباح، وبيوت الغواني ينادى إليها بمكبرات الصوت في الشوارع، بينما لا يستطيع المسجد هناك أن يجهر بالأذان للصلاة... فهم يعتبرون البغاء من حقوق الإنسان، ويعتبرون الأذان ضوضاء ضد حقوق الإنسان.

وقس على ذلك: الشذوذ الجنسي، الزنا، الحجاب.

فالدين عندهم بصفة عامة مسألة شخصية واختيار، بينما الدين عندنا نظام حياة والتزام مجتمع،

(1) انظر: مؤمن الهباء، المسلمون والغرب صراع أم حوار- مجلة الجديد، العدد(3) صيف (2003) (ص: 28-29).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وله قواعد وضوابط تحرمها الدولة، وتقوم على تنفيذها الأجهزة المسؤولة، والقضاء يحاكم من يشوهون الدين وينحرفون عنه، وهذه نقطة اختلاف كانت وستظل مثار جدل، ولا سبيل للتلاقي إلا إذا فهموها.

كذلك تنفيذ حدود الله عندنا هي عبادة وطاعة، وهي عندهم أصبحت مضادة لحقوق الإنسان؛ لأنها تنطوي على وحشية وقسوة.

وهكذا نستطيع أن نسرد عشرات الأمثلة التي تقتضي الاعتراف باختلاف المعايير.

وخلاصة القول: إن هناك بالفعل قيماً مختلف عليها بيننا وبينهم في مجال حقوق الإنسان وغيره من المجالات، ولا سبيل أمامهم وأمامنا إلا التفاهم وتقدير الخصوصيات حتى نتعايش في سلام بدلاً من التنافر والتناحر.

إن المجتمعات لا يكمن أن تتطابق في بيئتها الثقافية والدينية وفي مصالحها وتراثها، وعدم التطابق هذا هو الذي يخلق الاختلاف والتنوع، ويدفع إلى التباعد والتناحر، لكن تلك المجتمعات تستطيع متى بلغت الرشد والنضج والتحضر أن تتجه إلى التعارف والتفاهم والاحترام المتبادل بدلاً من الصراع والعداوة والبغضاء.

وقد أمرنا القرآن الكريم أن نقوم علاقاتنا مع الغير على أساس التعارف والتعاون، قال تعالى: [وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ] [الحجرات:13].

ثانياً: الإسلام وحقوق الإنسان:

كفل التشريع الإسلامي للإنسان حقوقاً واسعة، جعلها من مكملات ومتممات منحة الحياة التي وهبها الله عز وجل للإنسان على الأرض، وهذه الحقوق منحة ربانية وعطاء ونعمة من الله عز وجل لبني الإنسان، فهي تبدأ قبل ولادته، ويتجلى ذلك في ضرورة اختيار أم ذات نسب فاضل شريف، حتى لا يعير بنسبه لأمه بعد الولادة، وضرورة رعاية الأم الحامل؛ لأن مزاج الطفل ونموه يتأثران إلى حد كبير بظروف الحمل وصحة الأم، وهناك أحكام الجنين التي تمثل رعاية تشريعية فريدة ليس لها مثيل، وبعد الولادة تبدأ للطفل حقوق جديدة، أولها اختيار اسم حسن له حتى لا يكون مثاراً للتنابز بالألقاب، ثم تتتابع حقوق الطفل حقاً بعد حق من: الرعاية والحماية والنفقة، وتتتابع حقوق الإنسان رجلاً كان أو امرأة على نحو ما هو مفصل في كتب السياسة الشرعية.

بل إن حقوق الإنسان تظل تصاحبه حتى في قبره، ويتجلى ذلك في تحريم نبش القبور، كما أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حرمة الميت كحرمة الحي فلا يجوز سبه، بل المندوب ذكر محاسنه، وحقاً كما يقول تعالى: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ] [الإسراء:70] فأين هذا في أية شريعة أخرى؟!

فأساس حقوق الإنسان في الحياة وغيرها في المنظور الإسلامي هو تكريم الله للإنسان والحرص على أمنه واستقراره.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام:

في (12) ذي القعدة (1401 هـ) الموافق (19) سبتمبر (1981 م) عقد علماء المسلمين مؤتمراً في مدينة لندن لبحث وصياغة حقوق الإنسان في الإسلام صياغة عصرية، إعلاء للدعوة الإسلامية وإدراكاً منهم لما يعانيه عالم اليوم من أوضاع فاسدة ونظم آثمة، وقد لخصها ذلك الإعلان العالمي على النحو الآتي[1]:

1- حق الحياة.
2- حق الحرية.
3- حق المساواة.
4- حق العدالة.
5- حق الفرد في محاكمة عادلة.
6- حق الحماية من تعسف السلطة.
7- حق الحماية من التعذيب.
8- حق الفرد في حماية عرضه وسمعته.
9- حق اللجوء إلى ديار المسلمين.
10- حق حرية التفكير والاعتقاد والتعبير.
11- حق المشاركة في الحياة العامة.
12- حق احترام حقوق الأقليات.
13- حق الحرية الدينية.
14- حق الدعوة والبلاغ.
15- التمتع بكافة الحقوق الاقتصادية.

---

(1) انظر: البيانات العالمية عن حقوق الإنسان في الإسلام، منشور في كتيب خاص في (21) من ذي القعدة سنة (1401 هـ) الموافق (19) سبتمبر سنة (1981 م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

16- حق حماية الملكية الخاصة.
17- حق العمل.
18- حق الفرد في كفايته من مقومات الحياة.
19- حق بناء الأسرة.
20- حقوق الزوجة.
21- حق التربية الصالحة.
22- حق الفرد في حماية خصوصياته.
23- حق الارتحال والمقاومة.

ولأول وهلة فإنه يتبين من عرض هذه الحقوق التي أوردها البيان العالمي عن حقوق الإنسان في الإسلام مدى رحابة هذه الحقوق في التشريع الإسلامي واستعلائها على ما ورد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام (1948م) من الأمم المتحدة.

لقد ادعت الديمقراطية الحديثة أن العالم الإنساني مدين لها بتفرد هذه الحقوق، فأعرق الإنجليز أنهم أعرق شعوب العالم في هذا المضمار، وزعم الفرنسيون أن تلك الحقوق كانت هي القطوف الدينية لثورتهم الشهيرة (المجيدة) وأنكرت أمم أخرى على الإنجليز والفرنسيون هذا الفضل وادعته لنفسها.

والحق أن الإسلام هو أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان في أكمل صورة لنفسها وأوسع نطاق، فالأمة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده كانت أسبق الأمم في السير عليها[1].

إن نظرة الإسلام إلى حقوق الإنسان لتشمل كافة المجالات التي تهتم بالإنسان بصورة شاملة، ومن أبرز هذه المجالات كما جاءت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام:

1- حق الحياة:

يعتبر حق الحياة أول الحقوق الواجبة على الإنسان؛ إذ يترتب على هذا الحق باقي الحقوق، فإذا عدمت الحياة؛ انعدمت بقية الحقوق، وحق الحياة هو هبة من الله ــ، وقد أجمعت جميع الشرائع والأديان على تقديسه واحترامه وحفظه ورعايته، وحرمت الاعتداء على صاحبه تحريماً قطعياً، وإنا لا نجد مثيلاً لهذا التقديس والصون نظرياً وعملياً في غير القرآن الكريم حين يعلن [أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ

(1) محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة (ص: 2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا] [المائدة:32].

بل شدد الإسلام عقوبة قاتل النفس بأن جعل عقوبته من جنس عمله فقال تعالى: [وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾] [المائدة:45] ، ولم يكتف الإسلام بعقوبة القاتل في الدنيا بل توعده بعقوبة الآخرة فقال تعالى: [وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾] [النساء:93].

أما من يقتل نفسه فإن عذابه لا يختلف عن فعله، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«من قتل نفسه بشيء من الدنيا عذب به يوم القيامة»**[1].

بل إن حماية حق الحياة تسبق ميلاد الإنسان، فقد حرم الإسلام الإجهاض، وهو إسقاط الحمل بعد حدوثه، وقد قرر الفقهاء أن الإجهاض محرم شرعاً، سواء أكان ذلك قبل نفخ الروح فيه أو بعده، ما لم تقم ضرورة من الضروريات التي تبيح المحظورات.

2- حق الحرية:

يعتبر حق الحرية من أهم الحقوق بعد حق الحياة، إذ يعبر هذا الحق عن إنسانية الإنسان وكرامته ومكانته بين المخلوقات؛ إذ أن الإنسان يولد ويموت حراً، ولا يمكن لأي إنسان أن يتحكم في حريته التي وهبها الله ــ له، وقد كان هذا التصور واضحاً لدى عمر بن الخطاب ا وهو يقول «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»، وأصبحت تلك الكلمات شعاراً إنسانياً على مر الزمن.

وحق الحرية يتمثل في جوانب متعددة أهمها:

---

(1) رواه البخاري.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أ- حرية العقيدة:

والمقصود بحرية العقيدة هنا اختيار الإنسان للعقيدة التي يؤمن بها من غير إجبار من أي مصدر من المصادر غير ذاته وضميره، كما تعني أيضاً حق الإنسان في ألا يعتنق أي دين، قال تعالى: [لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ] [البقرة:256] ، وقال تعالى: [وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾] [يونس:99] ، وقال تعالى: [وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ] [الكهف:29]. ومقتضى هذه الحرية، هو ألا يفرض على أي إنسان اعتناق دين معين، من أية سلطة كانت ولو كان هو الدين الرسمي للدولة، ولا أن يكره على مباشرة شعائر دين ما، أو يشترك في طقوسه ومناسكه.

والباحث في التاريخ السياسي للدولة الإسلامية، لا يعثر على حالة واحدة أجبر فيها شخص على اعتناق الدين الإسلامي كرهاً، فقد التزم المسلمون على مر العصور باحترام الحرية الدينية للجميع، وحافظوا عليه، وتمسكوا به حتى في تعاملهم مع البلاد والدول التي خضعت لسيطرتهم ونفوذهم، بل سجلوا هذا المبدأ في عبارات صريحة واضحة فيما عقدوه من معاهدات مع أهل البلاد التي وصل إليها الفتح الإسلامي واستضاءت بنوره.

والحرية الدينية مكفولة للمرأة مثلما هي مكفولة للرجل، وقد أباح الإسلام للمرأة اليهودية أو النصرانية أن تبقى على دينها وهي زوجة المسلم وأم أولاده، قال تعالى: [ٱلۡمُحۡصَنَٰتُ عز وجل وَٱ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ٱلۡمُحۡصَنَٰتُ عز وجل وَٱ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖ] [المائدة:5].

واحتراماً لحرية المرأة المسلمة في العقيدة، حرم الإسلام زواج المسلمة من رجل من أهل الكتاب؛

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لأنه قد يتناولها بالتجريح والإساءة لدينها، فهو لا يؤمن به بل هو كافر به، وهذا المسلك لا ينتظر من مسلم يتزوج كتابية؛ لأنه يؤمن بدينها كما يؤمن بدينه.

ب- حرية الرأي والفكر:

لقد أعطى الإسلام للإنسان حق تبني الرأي الذي يراه مناسباً، وشجعه على التفكير، وحثه على التعبير عن الرأي، واعتبر ذلك عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه ابتغاء مرضاته، فقد قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم : «**الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟! قال: لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم**»[1].

وحين أراد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب منع المغالاة في المهور، تصدت له امرأة على رؤوس الأشهاد، وساقت إليه الدليل الشرعي، فلم يزد الخليفة على أن قال: أخطأ عمر وأصابت امرأة.

وقال له صحابي يوماً وهو على المنبر: لو نعلم فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا.. فلم يزد أن قال: الحمد لله أن وُجد في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يقوم اعوجاج عمر.

إن حرية الرأي وسيلة لإصلاح الأخطاء كما أنها وسيلة لتطوير المجتمع وتقدمه، وحرية الرأي في الإسلام لا تقوم على مصادرة رأي الآخرين، بل تقوم على سماعها واحترامها وقبولها إن كانت مفيدة، وما أجمل قول الشافعي ا: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب».

أما الشرائع الأخرى فهيهات هيهات أن تبلغ معشار ما بلغته الشريعة الإسلامية، فهاكم أوروبا على سبيل المثال، لم تعرف تحرير الفكر وإطلاق سلطان العقل قبل الثورة الفرنسية، حتى إن فولتير وروسو اللذين كدحا في هذا المضمار كدحاً لم يفلتا من اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية تارة، ومن اضطهاد الدولة تارة أخرى، حتى إنه لما آل السلطان إلى الكنيسة، وكانت لا تقر فكراً لمفكر أو نظرية لعالم، إلا إذا صادف ذلك رغبتها واتجاهاتها الفكرية، فحين اخترع شخص ألماني مصباحاً يعمل بالجاز، حكمت الكنيسة بكفره؛ لأنه خالف إرادة الرب في أن يجعل الليل المظلم منوراً. وعندما قال العلماء بكروية الأرض ثارت الكنيسة وعرضتهم على محاكم التفتيش الدينية، التي راحت تحكم بقتلهم، وقدر عدد من عرض على هذه المحاكم السيئة أكثر من (350) ألف إنسان، بينهم الكثير من مسلمي الأندلس.

ولم يكن حظ الإنسان من هذه الحرية في الحضارات القديمة بأحسن من ذلك، فقد قتل سقراط ضحية آرائه التي لم تلق تأييد السلطة آنذاك، وأرسطو نفسه ذلك الفيلسوف الذي أثر بفكره على

---

(1) رواه مسلم. (2/ 37).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإنسانية جمعاء، لم يجد بداً أمام الاستبداد السياسي وقهر رجال السلطة، إلا أن يأوي إلى كهف يعصمه من الاضطهاد الفكري، فانزوى في مخبئه حتى مات.

ومما هو جدير بالذكر، أن الفقه الإسلامي يفرق في صدد حرية الرأي بين الأمور ذات الصبغة الدينية، والأمور غير ذات الصبغة الدينية.

فبالنسبة للأمور الدينية لكل مجتهد أن يدلي برأيه في غير موضع النص، ما دام ملتزماً بأصول الدين الكلية، فلا يخرج عليها، أو يحيد عنها.

أما بالنسبة للأمور غير ذات الصبغة الدينية فللإنسان كامل الحرية أن يبدي من الآراء ما يشاء، ولكن دون عدوان أو إضرار بالمصلحة العامة أو بمصلحة الأفراد، فلا يكون ذلك التعبير مسيئاً إلى الآخرين، أو كاذباً في تعبيره، بل يسعى لإظهار الحق و إلى البناء والخير.

3- حق المساواة:

إن الناس في نظر الإسلام سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، ولا تمييز إلا بالتقوى والعمل الصالح الذي ينفع المجتمع، ولا يعرف الإسلام أي لون من ألوان التمييز العنصري بسبب الجنس أو اللون أو العرق أو الدم أو الطبقة أو غير ذلك، قال تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣] [الحجرات:13].

والإسلام يتعامل مع الناس باعتبار انتمائهم الواحد إلى إنسانيتهم، قال تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١] [النساء:1].

وقد قرر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم المساواة بين الناس، وأعلن وحدة الجنس البشري كما جاء في خطبة الوداع حيث قال «**يا أيها الناس! إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي فضل على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى».

وقد مر رجل من وجهاء الناس أمام مجلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل أصحابه قائلاً: « **ما ترون في هذا؟ قالوا: رجل من أشرف الناس، وهو حري إن خطب أن يزوج، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يسمع لقوله. فسكت رسول الله** صلى الله عليه وسلم ، **ثم مر رجل آخر فسألهم: ما ترون في هذا؟ فقالوا: هذا من فقراء المسلمين، وهو حري إن خطب ألا يزوج، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يسمع لقوله، فقال رسول الله** صلى الله عليه وسلم : **هذا خير من ملء الأرض مثل هذا**»[1]، والمساواة في الإسلام حق كامل للنساء والرجال، وللصغير والكبير، للمسلم وغير المسلم، ولا يعتقد أحد أن هذا الحق للمسلم فقط، فقد حفظ الإسلام لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي حقوقهم، فقد غضب علي بن أبي طالب ا من قاضيه حين فرق بينه وبين خصمه اليهودي حين دعا علياً بقوله: يا أبا الحسن، ودعا خصمه بقوله: يا فلان!

وهذا عمر بن الخطاب ا يلتقي بشيخ كبير يسأل الناس الحاجة، فقال له عمر ا: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، فسأله: ما ألجأك إلى السؤال؟! فقال: الحاجة والجزية، فالتفت عمر إلى من كان معه وقال: والله ما أنصفناه !! اقسموا له من بيت مال المسلمين.

حقوق الأقليات: (غير المسلمين من رعايا الدولة الإسلامية):

إن غير المسلمين اللذين يقطنون الدولة الإسلامية على نوعين: أهل الذمة والمستأمنين.

أولاً: أهل الذمة: هم غير المسلمين الذين يقيمون في ديار المسلمين إقامة دائمة، حتى صاروا جزءاً من الوطن الإسلامي، وهؤلاء كمبدأ عام لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، ويحق لهم تولي الوظائف العامة.

ثانياً: المستأمنون: هم غير المسلمين الذين يقيمون في الدولة الإسلامية إقامة مؤقتة، أي: تحدد لهم مدة إقامة مؤقتة، وهو ما يعرف الآن بتأشيرة دخول الأجانب، وهؤلاء لا يعدون مواطنين، ولا يعدون من أفراد الشعب، ولا يتولون الوظائف العامة، ومع هذا فالإسلام يأمر بأخذهم بالعدل واحترام حقوقهم وحرياتهم، فإذا دخل الإسلام أحدهم عد مواطناً[2].

أهم الفروق بين نظرة الإسلام إلى حقوق الإنسان وبين إعلان هيئة الأمم المتحدة:

أولاً: إعلان هيئة الأمم المتحدة:

عدم التوازن بين الحقوق والواجبات، فتنظر إلى الإنسان باعتباره مخلوقاً نفعياً، مبلغ همه في الدنيا تحقيق أقصى درجات اللذة والاستمتاع، وهو منحا يترل الإنسان مترلة تجعله أكثر قرباً من «الحيوانية»

(1) أخرجه البخاري في الحدود (5/ 1958، 2369).

(2) محمد سلام مدكور، معالم الدولة الإسلامية (ص: 99).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التي أداها القرآن الكريم في قوله تعالى: [وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾] [محمد:12].

فالإنسان في الغرب يركض دائماً وراء ما هو له، ولا يهتم بما هو عليه، فهو يدور حول حاجته، ولا يدور حول قيمه وأخلاقه:

1- لا تنظر إلى الإنسان بوصفه مخلوقاً صاحب رسالة، أو مكلفاً بإعمار الأرض والدفاع عن الحق والفضيلة.

2- تأسست على مبدأ النسبية الذي يرفض الاعتقاد بثبات القيم والأخلاق والعقائد الدينية.

3- تأسست على مبدأ وعقيدة معينة هي الفكر العلماني الغربي الحديث منذ نشأته في القرن الثامن عشر الميلادي وحتى الآن.

4- لا تتوفر فيها الشروط الآتية:

أ- العدل بين الناس دون تمييز.

ب- الرحمة بالإنسان وتكريمه.

ت- غياب التصور الشامل للإنسان من حيث تكوينه الروحي والجسمي وغاياته القريبة والبعيدة.

ثانياً: مزايا حقوق الإنسان في الإسلام:

تتميز حقوق الإنسان في الإسلام بالمزايا الآتية:-

1- مصدر هذه الحقوق مبني على أن السيادة والحاكمية لله عز وجل ، قال تعالى: [إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾] [الأنعام:57] ، وقال تعالى: [أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾] [الأنعام:62].

فاستناد الحق إلى الله عز وجل وشريعته يؤدي إلى اقتران الحق بالواجب، واقتران حق الفرد بحق الجماعة، واقتران الحقوق الفكرية والسياسية بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية، ومن خلال أداء الواجبات ترعى الحقوق، إذ ما من حق لفرد أو جماعة إلا كان واجباً على غيره، وحقوق المحكومين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إنما هي واجبات على الحكام، وحقوق المستأجرين إنما هي واجبات على المالكين، وحقوق الأولاد إنما هي واجبات على الوالدين[1].

2- الثبات، فلا تتغير بتغير الزمان وتبدل الظروف والأحوال.

3- الشمول وسمو الهدف، فحقوق الإنسان في الإسلام شملت الرجال والنساء والأطفال، كما شملت المسلمين وغير المسلمين في داخل دولة الإسلام وخارجها؛ لأن البر في الإسلام إنساني عالمي، قال تعالى: [لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾] [الممتحنة:8].

4- انطلاقها من مقام الإحسان، أي: من المقام الذي يكون فيه العبد تحت مخافة الله عز وجل ، فيضمن حمايتها ورعايتها، ويرعى وجودها وحرمتها، ويسأل المرء عنها أمام الله في السر والعلن.

5- إضافة إلى السبق الزمني لحقوق الإنسان في الإسلام على غيره، فإن هذه الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان لم تتحقق عبر صراعات فكرية أو ثورات ومطالبات كما هو الشأن في تاريخ حقوق الإنسان في النظم الديمقراطية، وأسباب نشأتها، كالحال في فرنسا وبريطانيا، وإنما تلقت مبادئها وأحكامها وحياً من عند الله عز وجل دون سابق حديث عنها أو تطلع إليها أو كفاح في سبيلها.

6- التوازن بين الحقوق والواجبات، قال صلى الله عليه وسلم : «**أدوا الحق الذي عليكم، وأسألوا الله الذي لكم**»[2].

7- أنها واقعية ومرتبطة بالحياة، وتلمس حاجة الإنسان.

(1) د. فتحي عثمان. حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون الغربي.

(2) سنن البيهقي الكبرى (16392) (8/ 157).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

العلمـــــــانيـــــــــــــة

تأليف

د. علـــــــي محمـــــــــد مقبـــــــــول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيد

تعتبر العلمانية كلمة لها أكثر من مدلول، وهي ذات تاريخ طويل، وقد انتقلت مع الزمن من معنى إلى معنى آخر.

وقد حاول مترجموها عن اللغات الغربية إخفاء حقيقتها، حتى لا تصدم الحس العربي وتبقى في نطاق العلم، هو نطاق يرد عنها عادية الاتهام. ويبقى هدفها الحقيقي مختفياً وراء اللفظ المشتق من أقرب الأسماء إلى نفوس العرب والمسلمين[1].

والعلمانية مادة علمية متشعبة ؛ وقد بحثت كثيراً وفيها رسائل علمية كثيرة.. ولذلك سوف أتكلم وباختصار شديد عن النقاط الآتية في العلمانية:

أولاً: تعريفه العلمانية.

ثانياً: نشأة العلمانية.

ثالثاً: هل للعلمانية مسوغ في العالم العربي والإسلامي؟

رابعاً: نماذج لبعض صور العلمانية.

خامساً: وسائل العلمانية في تحريف الدين.

أولاً: تعريف العلمانية:

لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة (Secularism) في الإنجليزية أو (Secularite) بالفرنسية. وهي كلمة لا صلة بلفظ (العلم) على الإطلاق ولا حتى مشتقاته. والعلم في اللغة الإنجليزية والفرنسية معناه (Science) والمذهب العلمي نطلق عليه كلمة (Scientism) والترجمة الصحيحة لكلمة (Secularism) هي «اللادينية» أو «الدنيوية» وتتضح الترجمة الصحيحة من التعريف الذي تورده المعاجم ودوائر المعارف الأجنبية للكلمة، فدائر المعارف البريطانية تقول وفي مادة (Secularism) هي: «حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها».

ويقول معجم إكسفورد «الرأي الذي يقول أنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية».

---

(1) سقوط العلمانية، أنور الجندي، (ص:7).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو: «فصل الدين عن الدولة»، وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى الذي قد لا يكون له صلة بالدولة، ولو قيل أنها «فصل الدين عن الحياة لكان أصوب» ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية هو: «إقامة الحياة على غير الدين سواء بالنسبة للأمة أم للفرد»[1].

ثانياً: نشأة العلمانية:

أما عن النشأة فيمكن تلخيصها في الآتي:

1- الطغيان الكنسي:

فقد نشأت العلمانية في أوروبا إثر صراع مرير بين الكنيسة ورجال الدين فيها وبين الجماهير الأوروبية ؛ لأن رجال الدين تحولوا إلى طواغيت ومحترفين سياسيين ومستبدين تحت ستار الدين، وقول الراهب جروم: «إن عيش القسوس ونعيمهم كان يزري بترف الأمراء والأغنياء المترفين. وقد أنحطت أخلاق البابوات انحطاطاً عظيماً، واستحوذ عليهم الجشع وحب المال ؛ بل كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع، وقد تباع بالمزاد العلني، ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك، وتذاكر الغفران...» ودخلت الكنيسة -أيضاً- في نزاع طويل وحاد مع الأباطرة والملوك لا على الدين والأخلاق ولكن على السلطة والنفوذ..

2- تحريف النصرانية:

وكانت القاصمة التي بها تم ذلك انفصام النكر بين الدين والحياة وهو الجناية الكبرى التي جنتها الكنيسة الغربية على نفسها وعلى الدين النصراني.. هو احتجاز الكنيسة لنفسها حق فهم الكتاب المقدس وتفسيره، وحظرت على أي عقل من خارج الكهنوت أن يحاول فهمه أو تفسيرة.

وأوجدت الكنيسة بعض المعميات في العقيدة النصرانية لا سبيل لإدراكها أو تصورها أو تصديقها.. ومثال ذلك العشاء الرباني وهي مسألة مستحدثة ما جاء بها الكتاب المقدس، وقصتها:

إن النصارى يأكلون في الفصح خبزاً، ويشربون خمراً، ويسمون ذلك العشاء الرباني ؛ وقد زعمت الكنيسة أن ذلك الخبز يستحيل إلى جسد المسيح وذلك الخمر يستحيل إلى دم المسيح المسفوك فمن أكلهما وقد استحالا هذه الاستحالة فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه...

وقد فرضت الكنيسة على الناس قبول هذا الزعم ومنعتهم من مناقشته ؛ وإلا عرضوا أنفسهم

---

(1) انظر: العلمانية، د. سفر الحوالي، (ص:21)، تهافت العلمانية، د. عماد الدين خليل، (ص:7)، ومذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، (ص:445).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للطرد والحرمان.

3- الصراع بين الكنيسة والعلم:

والأدهى من ذلك وقوف الكنيسة ضد العلم وهيمنتها على الفكر، وتشكيلها لمحاكم التفتيش وقتل العلماء مثل: كوبر نيكوس الذي ألف كتاب حركات الأجرام السماوية وقد حرمة الكنيسة هذه الكتب، وجردانو الذي صنع التلسكوب فعذب عذاباً شديداً حتى توفي وغيرهم كثير..

وخلاصة القول: إن هذا الدين المحرف هو الذي ثارت عليه أوروبا ؛ وهي ملابسات أوروبية تحته وليست إنسانية عالمية، ومتعلقة بنوع معين من الدين لا بحقيقة الدين..

هذه هي قصة العلمانية رد فعل خاطئ لدين محرف وأوضاع خاطئة كذلك، ونبات خرج من تربة خبيثة ونتاج سيئ لظروف غير طبيعية.. ولا شك أنه كان من المفترض على أوروبا التي ابتليت بهذا الدين المحرف أن تبحث عن الدين الصحيح ولا تكون مجتمعاً لا دينياً..

ثالثاً: هل للعلمانية مسوغ في العالم العربي والإسلامي:

إذا وجدنا مجتمعاً آخر يختلف في ظروفه عن المجتمع الذي تحدثت عنه، ومع ذلك يصر على أن ينتهج اللادينية ويتصور أنها حتم وضرورة فماذا نحكم عليه؟! وكيف يكون الحكم -أيضاً- إذا كان هذا المجتمع الآخر يملك الدين الصحيح...

فقط نثبت السؤال، ونترك -ولا نقول لكل مسلم- بل لكل عاقل الإجابة عليه[1].

رابعاً: نماذج لبعض صور العلمانية:

1- في الحكم والتشريع:

نحيت الشريعة عن الحكم، ولم يبق إلا بعض التصورات الخاطئة ؛ لأن الجاهلية الأوروبية هي التي كانت تتولى قيادة الفكر البشري وتوجيه الحضارات الإنسانية ؛ ونتيجة لهذا الوضع تسربت العلمانية إلى العالم الإسلامي وانتقضت تلك العروة الكبرى.

فمن الوجهة التشريعية كالقضاء -مثلاً- كان غير منظم من العالم الإسلامي يعتمد على الشروح والحواشي والمختصرات المتأخرة التي كانت أشبه إلى الطلاسم والمعميات.. فنادى المنادون بتجديد

---

(1) راجع للتوسع: العلمانية، د. سفر الحوالي، (ص:12) وما بعدها، مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، (ص:445)، المستقبل لهذا الدين، سيد قطب، (ص:27) تهافت العلمانية، د. عماد الدين خليل، (ص:7)، لماذا نرفض العلمانية، محمد محمد بدري، (ص:72)، سقوط العلمانية، أنور الجندي، (ص:18).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفقه الإسلامي وأنه لا يصلح أن يكون المصدر الوحيد للتشريع فأوجدوا بجانبه القوانين الوضعية، وأهواء ذوي السلطة، وأعراف المجتمع، وتقاليد القبيلة..إلخ.

2- في التربية والثقافة:

في فترة الركود العلمي عند المسلمين وجدت أجيال سوغت ذلك العجز في الأمة الإسلامية بصنوف المعاذير ثم استساغت الانغلاق وفسرت الدين نفسه تفسيراً ضيقاً، وحددت علومه تحديداً نابعاً من واقعها المظلم لا من حقيقة الدين وجوهره.

ومن هنا فتح المسلمون أعينهم على وسائل جديدة، وإمكانات حديثة تسندها علوم ناهضة، وتعززها بحوث دائبة، وكان من الممكن -عقلاً- أن ينهضوا من كبوتهم مستفيدين مما رأوا ولكنهم -واقعاً- لم يفعلوا ذلك لأنهم:

أولاً: لم يكونوا يملكون القدرة على التمييز وتقدير التجربة حق قدرها.

ثانياً: كان اقتران العلوم الجديدة بتلك الحملة الصليبية الوحشية التي انتهكت حرمة الأزهر نفسه، دافعاً لمقت تلك العلوم ورفضها..

وهنا استغلت العلمانية الحدث فنشأت الازدواجية الخطرة في العالم الإسلامي: تعليم ديني ضيق محدود وتعليم لا ديني يشمل نشاطات الفكر كلها.

وهذا ولد بدوره دعوات ونتائج سيئة منها على سبيل المثال:

1. الدعوة إلى الارتماء في أحضان الغرب وأخذ حضارته دون وعي أو تمييز..
2. احتقار الماضي الإسلامي وتربية الأجيال تربية لا دينية حديثة..
3. تطوير الأزهر وإن شئت فقل تطويعه..
4. الدعوة إلى العامية: فليست اللغة العربية أداة الثقافة الإسلامية فحسب؛ بل هي مقوم من مقومات الشخصية الإسلامية للفرد والمجتمع وليس غريباً أن يشن المستشرقون والمبشرون عليها هجمات شرسة تتعلق بألفاظها وتراكيبها ومقدرتها على مسايرة العصر، فقد كانوا يرمون هدم القرآن بهدم لغته ليصبح كالإنجيل لا يقرأه إلا رجال الدين..
5. اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب..

وكان الهدف من ذلك واضحاً وهو ما أوصى به مؤتمر القاهرة التبشيري المنعقد سنة (1906م) من وجوب إنشاء جامعة علمانية على نمط الجامعة الفرنسية لمناهضة الأزهر والذي قالوا إنه: «يتهدد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كنيسة المسيح بالخطر».

3- في الاجتماع والأخلاق:

عاش المجتمع المسلم في انحراف بفعل الضعف والتخلف، ولما احتك المجتمع المسلم المنحرف بالمجتمع الغربي الشارد عن الدين وأحس المجتمع المسلم المنحرف بالتقدم المادي المذهل للغرب، ودائماً فنظرة المغلوب إلى الغالب لا تسمح بالرؤية الصحيحة عادة...

ومن هنا أحس المجتمع الإسلامي الشرقي بالانبهار القاتل واستشعر النقص المرير، ولم يتردد الغربيون الكفرة الهاربون من دينهم المنحرف أن يقولوا: للمسلمين بأن سبب تخلفكم هو الإسلام وهو الدين.. وهكذا كان الطريق مفتوحاً لمهاجمة الأخلاق الإسلامية، وتدمير مقومات المجتمع من خلال مهاجمة ذلك الواقع المتخلف الذي لا يمثل الإسلام.. وكان النموذج الغربي المشاهد الذي فصل الأخلاق عن الدين يزداد قوة ووضوحاً[1].

خامساً: وسائل العلمانية في تحريف الدين:

للعلمانية وسائل متعددة في تحريف الدين في نفوس المسلمين منها:

1- إغراء بعض ذوي النفوس الضعيفة والإيمان المزعزع بمغريات الدنيا من المال والمناصب، أو النساء لكي يرددوا دعاوى العلمانية على مسامع الناس ؛ لكنه قبل ذلك يعمل لهؤلاء الأشخاص دعاية مكثفة في وسائل الإعلام التي يسيطر عليها العلمانيون لكي يظهروهم في ثوب العلماء والمفكرين وأصحاب الخبرات الواسعة، حتى يكون كلامهم مقبولاً لدى قطاع كبير من الناس، وبذلك يتمكنون من التلبيس على كثير من الناس[2].

2- تجزئ الدين والإكثار من الكلام والحديث والكتابة عن بعض القضايا الفرعية، واشغال الناس بذلك، والدخول في معارك وهمية حول هذه القضايا مع العلماء والدعاة لإشغالهم وصرفهم عن القيام بدورهم في التوجيه والتصدي لما هو أخطر من ذلك بكثير[3].

ومن الأمثلة على ذلك:

أ) طالب في السنة الخامسة في كلية الطب في جامعة أسيوط الذي كان يذهب إلى المشرحة

---

(1) بتصرف: من كتاب العلمانية، د. سفر الحوالي، (ص:561) وما بعدها، ومذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، (ص:545) وما بعدها.

(2) العلمانية وثمارها الخبيثة أ محمد شاكر الشريف، (ص:29).

(3) المرجع نفسه، (ص:30).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

راكباً ناقة.

ب) طالبة كلية الطب -أيضاً- التي تسأل وهي في السنة النهائية عن حرمة تشريح جثة الميت الذكر، وعن حل أو حرمة أن تخلع ملابسها أمام كلب ذكر.. وبعض طلبة الجامعات الذين حرموا بيع القرع والباذنجان.. بحجة أن الباذنجان يحشى والقرع يحشى، وأن الحشو رمز جنسي يثير لواعج النساء وأحرى بهن أن يمتنعن عن التعامل معه أخذاً بالأحوط[1].

ج) ويقول أحدهم في إشغال الناس بقضايا ومعارك وهمية: «أن للسفور مساوئ لكنها أقلٌّ قطعاً من مساوئ الحجاب والنقاب، وشبيه بمن يدعونا إلى الحجاب من يدعونا إلى ركوب النياق والحمير والبغال..»[2].

3- الوسيلة الثالثة من وسائل العلمانية لتشويه الدين الإسلامي: الحديث بكثرة عن المسائل الخلافية، واختلاف العلماء وتضخيم ذلك الأمر، حتى يخيل للناس أن الدين كله اختلافات وأنه لا اتفاق على شيء حتى بين العلماء بالدين، مما يوقع في النفس أن الدين لا شيء فيه يقيني مجزوم به ؛ وإلا لما وقع هذا الخلاف والعلمانيون كثيراً ما يركزون على هذا الجانب، ويضخمونه، لإحداث ذلك الأثر في نفوس المسلمين مما يعني انصراف الناس عن الدين[3].

(1) انظر: مشكلة الغلو في الدين، د. عبد الرحمن اللويحق، (2/ 510).

(2) المرجع نفسه، (2/ 507).

(3) العلمانية، محمد شاكر الشريف، (ص:31)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث

العـــــــــــــولمـــــــــــــــة

تأليف

د. علـــــــــي محمـــــــــــــد مقبـــــــــــــول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيد

كلمة العولمة باتت اليوم على كل لسان وفي كل منتدى، و لم لا وقد أضحى الناس في كل مكان في الأرض يعيشون شكلاً من أشكال العولمة، ويعانون لوناً من ألوان لأوائها.

وحتى نُكوّن رُؤية واضحة حول هذه القضية ومعرفتها لا بد من ذكر النقاط الآتية:

أولاً: تعريف العولمة.

ثانياً: نشأتها.

ثالثاً: أهدافها.

رابعاً: مجالاتها.

خامساً: موقف المسلم من العولمة.

أولاً: تعريف العولمة:

كلمة العولمة جاءت ترجمة لأصل المعنى المعبر عنه باللغة الانجلزية (Globalization) وهذه الكلمة تعني في معجم ويبستر: إكساب الشيء طابع العالمية وذلك بجعل امتداد الشيء أو العمل به يأخذ الصفة العالمية.

وقيل: العولمة هي واحدة من ثلاث كلمات عربية جرى طرحها ترجمة للكلمة الإنجليزية السابق ذكرها والكلمتان الأخريان هما: الكوكبة والكونية[1].

وهي في اللغة العربية كما قال الدكتور/ عبد الصبور شاهين عضو مجمع اللغة العربية: «العولمة تولدت من كلمة عَالَمْ وافترض لها فعلاً هو عِوْلم يُعولم عِوْلمة بطريقة التوليد القياسي. ومصدرها الصناعي العولمية»[2].

وخلاصة القول: إن العولمة ستجعل العالم يعيش في عصر القرية الكونية الموعودة.

وأول من أشار إلى مصطلح «العولمة» بمفهومه الجديد هو العالم الكندي مارسال ماك أستاذ

---

(1) البعد الديني ومفهوم العولمة، رسالة ماجستير، الخضر الشيباني، (ص:1).

(2) العولمة وخصائص دار الإسلام ودار الكفر، عابد السفياني، (ص:17).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإعلاميات السوسيولوجية في جامعة تورنتو في كندا عندما صاغ في عقد الستينات مفهوم «القرية الإلكترونية» ثم ذاع وانتشر هذا المصطلح في مجال الاقتصاد والأسواق والاتصالات وفي بداية عقد التسعينات[1].

أما تعريفها اصطلاحاً: جرى العرف في الأدبيات الغربية على تعريف العولمة بأنها: «زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الإنسانية، من خلال عمليات انتقال السلع، ورؤوس الأموال، وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات[2].

أما في الأدبيات الإسلامية فالعولمة هي: مرحلة من مراحل الصراع الحضاري يسعى فيها الغرب لسيطرة نموذجه عالمياً بالاعتماد على التفوق المادي لتحقيق مكاسب أكبر في مختلف مجالات الحياة البشرية[3].

إذن نستطيع أن نقول: إن العناصر المهمة للعولمة في عالمنا المعاصر اليوم هي:

- تجاوز الأفكار والخبرات والنظم والسلع والمشكلات لبيئتها المحلية، وعبورها للحدود السياسية والجغرافية على مستوى العالم.
- نظام العولمة قائم على عدم الاكتراث بالخصوصيات المحلية والتراثية والبيئية للدولة والشعوب التي تغزوها؛ لأن العولمة تصنع بآلياتها الجبارة الميزات والخصائص والأجور التي تنسجم مع رواجها ومصالح القائمين عليها.
- تضاؤل الاعتبارات المحلية من فكرية واقتصادية وسياسية واجتماعية في تشكيل حياة الناس وأذواقهم وأوضاعهم المختلفة، لصالح إسهامات وانعكاسات دوليه عامة.
- تسارع وتيرة الاتصال العالمي، وتقدم وسائله ؛ مما سهل انتقال كل ما يراد نقله[4]..

ثانياً: نشأة العولمة:

إن المقدمات الأساسية لبداية نشأة العولمة بدأت بالنتائج التي خلفتها الحرب الكونية الثانية وهي محطة مهمة في تاريخ العولمة؛ إذ أنه بدأ واضحاً أن الهيمنة الحقيقية لا ينبغي أن تكون عسكرية، وإنما ثقافية واقتصادية. وهذا ما سيؤدي في النهاية إلى سيطرة شاملة. ومن هذا الأفق تم وضع الخطط

(1) العولمة مقاومة واستثمار، د. إبراهيم الناصر، (ص:17)

(2) العولمة، د. عبد الكريم بكار، (ص:11).

(3) البعد الديني ومفهوم العولمة، الخضر الشيباني، (ص:8).

(4) العولمة، د. عبد الكريم بكار، (ص:12).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لتجاوز النتائج المأساوية للحرب العالمية الثانية. وقد ضخت الولايات المتحدة من أجل إعادة بناء الدول الصناعية الغربية واليابان، وعبر مشروع (مارشال)، أكثر من اثني عشر مليار دولار بين عامي (1948-1951م). ولم يكن ذلك كرماً ذاتياً من أمريكا، وإنما كان يستهدف -فيما يستهدف- جعل أوروبا واليابان جزءاً من سوق مفتوحة، والمساعدات على استيراد المصنوعات الأمريكية، وإيجاد فرص للاستثمار ؛ بالإضافة إلى إعادة تنظيم العلاقات النقدية وأسعار الصرف ووسائل الدفع الدولية. وقد تمثل ذلك بظهور (البنك الدولي) و (صندوق النقد الدولي). ومن هنا فإن بعض الباحثين يعد أواسط عقد الأربعينيات الحقبة التي وضع فيها حجر الأساس لعولمة أطلسية...

ومن المؤكد أنه لم يكن معترفاً بالعولمة في الدوائر العلمية على أنها مفهوم له أهميته قبل عقد الثمانينات، مع أنها كانت تُستخدم على نحو متقطع. أما خلال النصف الثاني من ذلك العقد، فقد اختلف الأمر حيث أعلن (جورباتشوف) عن قيام ثورة التغيير وإعادة البناء، وكان ذلك يعني في الحقيقة انهيار الاتحاد السوفيتي سياسياً واقتصادياً، كياناً ونفوذاً، كما أنه كان يعني اتجاه الخصم العنيد للغرب خطوات واسعة نحو المنهجية الغربية في السياسة والاقتصاد ؛ وكان ذلك في كل المعايير انتصاراً لليبرالية والرأسمالية. وتلا ذلك سقوط (جدار برلين) عام (1989م)، وأخذت الدولة التي كانت تشكل (حلف وارسو) تنظم الواحدة تلو الأخرى إلى الحلف الأطلسي. وبعضها ما زال يطرق الباب ولما يُفتح له. وتبع ذلك انهيار أسوار عالية كانت تحتمي بها الأسواق في الصين وأوروبا الشرقية وروسيا، وصار انتقال الأفكار وأنماط العيش ورؤوس الأموال والخبرات التنظيمية والتقنية أكثر سهولة، وأوسع مدى من أي مرحلة سابقة. وهذه المرحلة الأخيرة ما زالت مستمرة، وفيها يتعمق، استخدام مصطلح العولمة ويكتسب معان ودلالات جديدة عند كل بزوغ شمس[1].

ثالثاً: أهداف العولمة:

للعولمة أهداف ؛ ويتفق المؤيدون لها على أن من أهم أهدافها -وسأذكر لاحقاً رأي المعارضين لها- ما يلي:

- تقريب الاتجاهات العالمية نحو تحرير أسواق التجارة ورأس المال.
- التوسع على مدى العالم في بنى الإنتاج وإنشاء فرص للنمو الاقتصادي على المستوى العالمي.
- زيادة الإنتاج العالمي والمحلي.
- زيادة حجم التجارة العالمية مما يؤدي إلى الانتعاش الاقتصادي العالمي.

---

(1) انظر: العولمة، محمد سعيد أبو زعرور، (ص:16)، العولمة، د. عبد الكريم بكار، (ص:19)، العولمة والبعد الديني، الخضر الشيباني، (ص:21)، وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- حل المشكلات الإنسانية المشتركة التي لا يمكن حلها من منظور السيادة الوطنية المطلقة للدولة التي يقوم عليها النظام الدولي القائم حتى اليوم مثل: انتشار أسلحة الدمار الشامل، والتهديدات النووية، والبيئة، وتطور الأوبئة والأمراض المعدية، وانتقال الأيدي العاملة بكثافة من منطقة إلى منطقة أخرى، وانتشار الجريمة والمخدرات وغيرها..
- إيجاد الاستقرار في العالم والسعي إلى توحيده.
- فتح أبواب التنافس الحر ولا سيما في مجال التجارة.
- نشر التقنية الحديثة وتسهيل الحصول على المعلومات العالمية الهامة من خلال الاستفادة من الثورة المعلوماتية الحديثة.

هذه هي أهم الأهداف العامة لنظام العولمة في نظر المؤيدين لها.

أما المعارضون لها فيرون أن أهداف العولمة لها آثار سلبية خطيرة، من أهمها ما يلي:

1- الهيمنة على اقتصاديات العالم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية من خلال السعي لسيطرة الاحتكارات والشركات الأمريكية الكبرى على اقتصاد الدول.

2-التحكم في مركز القرار السياسي وصناعته في دول العالم لخدمة المصالح الأمريكية وما يسمى بالأمن القومي الأمريكي على حساب مصالح الشعوب وثرواتها الوطنية والقومية.

3- إلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي للشعوب.

4- تدمير الهويات القومية والثقافة القومية للشعوب.

5- مضاعفة فرص المجموعات الأقوى التي كانت تسيطر في الأصل على عناصر القوة الاقتصادية والعلمية والتقنية والثقافية وغيرها.

6- زيادة الدول القوية غنيً بينما تزداد الدول الفقيرة فقراً أي أن هناك (دولاً قناصة ودولاً مقنوصة).

7- اختراق القومية والقيام بتفتيت بعض الدول والكيانات.

8- فرض السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية على الشعوب بقصد استغلالها ونهب ثرواتها. بمعنى أوضح: بروز نوع جديد من الاستعمار في القرن الحادي والعشرين أبشع لوناً، واشد خطراً، وأبلغ ضرراً مما سبق من أنواع الاستعمار التي عرفها العالم.

9- القضاء على الهوية الثقافية والقومية وعلى تراث الأمة والشعوب الفكرية والحضارية[1].

---

(1) العولمة، محمد سعيد أبو زعرور، (ص:30) وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وخلاصة القول: فالعولمة من أهم أهدافها وهو هدف أصيل لها: طمس هوية الشعوب وتشويه عقائدها وثقافتها وتاريخها ؛ والنماذج على ذلك كثيرة وتكاد ألاّ تحصى ؛ فمنها دراسة للدكتور جاك شاهين استاذ علوم الاتصال الجماهيري بجامعة ألينوي الأمريكية، رصد فيها نيات الإعلام الأمريكي تجاه الإسلام والمسلمين من خلال تحليل مضمونه خلال عشرين سنة مضت. يرى الدكتور شاهين أن صورة العربي المسلم في الذهن الغربي يمكن تلخيصها بعبارة (الآخر الثقافي الخطير) الذي يهدد محاولات الانفراد الأمريكي بقيادة العالم بعد انهيار الشيوعية، ومن توابع هذه العبارة أن يكون مصطلح (الجهاد) و (عدم التسامح) و(واضطهاد المرأة) في الرؤية الغربية مرادفاً ل(كراهية الآخر) و(للتعصب) و(العنف).

حتى في الكتب المدرسية الأولى ككتاب المواد الاجتماعية -المقرر على الصف السادس الابتدائي- يقدم المسلم على أنه راعي غنم يعيش في الخيام، ويرتدي العباءة، ويتزوج عدداً غير نهائي من النساء، ويُطلِّق كما يشاء، ولا هم له إلا الجنس والعنف، ويخطف الطائرات، ويدمر المنشآت، وفي السينما يصور المسلم على أنه (إرهابي)[1] .

رابعاً: مجالات العولمة:

تظهر العولمة في مجالات عديدة من مجالات الحياة التي تشكل شبكة من العلاقات الدولية المعاصرة، وأهم هذه المجالات:

أولاً: المجال الاقتصادي:

وتركز العولمة فيه على وحدة السوق، وإزالة العوائق أمام حركة رأس المال، وحرية الاقتصاد، واتخاذ الدولار معياراً للنقد وتحويل المجتمعات إلى دول منتجة هي مجتمعات الدول الصناعية ومجتمعات مستهلكة هي مجتمعات الدول الأخرى، ليصبح مظهر التأثر الاستهلاكي للعولمة هو لبس الجيتز، وشرب الكوكا كولا وأكل الهمبرغر ومشاهدة المحطة الإخبارية (**CNN**) وكلها نتاج أمريكي؛ لدرجة أن الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران وقف يخطب في الجموع المحتشدة محذراً من تفشي ظاهرة لبس البنطلون الجيتز بين الشباب الفرنسي؛ لأنه مظهر من مظاهر الغزو الأمريكي...

ثانياً: المجال الاجتماعي:

---

(1) انظر: الإسلام والعولمة، د. سامي الدلال، (ص:70).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وذلك بتنميط العالم على نحو من نمط المجتمعات الغربية (تغريب العالم) ولا سيما أمريكا (ولذلك قيل عولمة أو أمركة) ؛ وذلك بنقل قيم المجتمع الغربي والأمريكي خاصة ليكون المثال والقدوة، سواء ما نقل منها بإرادة مقصودة أم ما انتقل منها نتيجة طبيعية لرغبة تقليد الغالب ؛ لأن الأمة المغلوبة مولعة بتقليد الغالب ؛ كما قال ابن خلدون...

ثالثاً: المجال الفكري والثقافي:

وذلك بترويج الأيدلوجيات الفكرية الغربية، وفرضها في الواقع من خلال الضغوط السياسية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية -أيضاً- ؛ وذلك في مجالات عدة كحقوق الإنسان، والديمقراطية، وحقوق الأقليات، وحرية الرأي، وحتى يتحقق ما روج له دعاة العولمة من (نهاية الأيدلوجيات) والتي تعني القضاء على الدين والفكر والقيم والأخلاق..

رابعاً: المجال السياسي:

وذلك من خلال استخدام الأمم المتحدة بعد الهيمنة عليها وعلى مؤسساتها السياسية المؤثرة، خاصة مجلس الأمن الذي تعد قراراته ملزمة عالمياً، واستخدام حق النقض (الفيتو) عند الضرورة أو التلويح باستخدامه لمنع أي قرار لا يريده الغرب وخاصة أمريكا. ولعل ما يجري الآن من تعسف أمريكي بدعم بريطاني، ومجاملة من بقية الأعضاء الدائمين في استعمال هذه المنظمة العالمية لتكريس هيمنة أمريكا دليل على ذلك. وما كشفه (بطرس غالي) الأمين العام السابق للأمم المتحدة في كتابة (بيت من زجاج) والكتاب مطبوع متداول بعد خلافه مع أمريكا هو غيض من فيض.

خامساً: المجال العسكري:

وذلك من خلال الأحلاف والمعاهدات العسكرية التي تعقدها الدول الكبرى ؛ وبخاصة أمريكا مع الدول الصغيرة، ومن خلال الأحلاف الإقليمية التي تكون هذه الدول طرفاً فيها، وكذلك من خلال حلف الأطلسي الذي حددت أهدافه تجاه الجنوب بعد أن كان تجاه الشرق بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، وانحلال حلف وارسو[1].

خامساً: موقف المسلم من العولمة:

---

(1) انظر في كل ما سبق: العولمة مقاومة واستثمار، د. إبراهيم الناصر، (ص:11) وما بعدها. وراجع للزيادة: العولمة، د. عبد الكريم بكار، (ص:65)، العبد الديني ومفهوم العولمة - رسالة ماجستير، الخضر الشيباني، (ص:70)، فخ العولمة، هانس بيتر مارتين، هارالد شومان، ترجمة: د. عدنان علي، (ص:21) وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أول خطوة على طريق التعامل مع العولمة يجب أن تتمثل في توعية الناس بطبيعة العولمة ؛ إذ أن هناك جهلاً عظيماً بهذه الظاهرة بين العامة والخاصة. ونظراً لتشتت ردود فعل المثقفين عليها حيث تجد المحبذ والخائف والمهاجم والمتفائل والمتشائم ؛ فإن نوعاً من الارتباك ساد في صفوف الشباب حيال تنظيم موقف واضح من العولمة.

إن مهاجمة العولمة أو الاستسلام لها من أسهل الأمور التي يمكن أن نقوم بها ؛ لكن الشاق حقاً هو التحليل العميق لجوهر عمليات العولمة وجذورها وامتدادها والآثار المترتبة عليها، وكيفية علاجها.[1]..

والذي أراه أن نتخذ الخطوات الآتية لمواجهة العولمة:

- تعميق البعد العقائدي والديني والخلقي ؛ ذلك أن العولمة تحمل روحاً علمانية مادية، وتؤسس حياة استهلاكية دنيوية تختزل الإنسان في بعده المادي والاستهلاكي، وتهون من شأن القيم والمعايير الأخلاقية والثوابت الدينية. والتركيز على التربية الدينية والأخلاقية للحماية من تيار الشهوات الجارف الذي تغذيه، وتدفع به فكرة العولمة من جهة الآليات والمحتوى.
- المحافظة على الخصوصية الثقافية مع الانفتاح الذي يجعلنا نستوعب ما عند الآخرين من علوم ومنجزات حضارية، ونمتنع عن التأثر السلبي لهذا الانفتاح.
- الاستعلاء بالإيمان، والثقة بأن المستقبل لدين الإسلام ولهذه الأمة، وتحرير العقل من ثقافة الغرب المادية والولوع بها، واليقين بأن ذلك طريق النهضة الإسلامية التي لا بد من الإيمان بها، وأنها من مقتضيات الولاء لهذا الدين والبراء من خصومه، وهي من لب الرسالات، وطرائق المرسلين، وأن لا نكون أقل من ذلك الرجل غير المسلم (مانديلا) الذي أراد أن يحرر شعبه من هذه التبعية عندما قال: «حَرِّروا عقولكم من ثقافة الرجل الأبيض تحرروا أرضكم من هيمنته»[2].

(1) العولمة، د. عبد الكريم بكار، (ص:29).

(2) العولمة مقاومة واستثمار، استثمار، د. إبراهيم الناصر، (ص:55).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهـــــــرس المحتويات

المقدمة العامة للكتاب **5**

الباب التمهيدي

مفهـــــــــــــــــــوم الثقافـــــــــــة الإسلاميـــــــــــــــة

مصادرها – خصائصها – أهداف دراستها

المبحث الأول: مفهـــــوم الثقافـــة **9**

مفهوم الثقافة الإسلامية: 10

المبحث الثاني: مصادر الثقافة الإسلامية: 11

أولاً: القرآن الكريم: 11

ثانياً: السنة النبوية: 12

المبحث الثالث: خصائص الثقافة الإسلامية: 14

1- الربانية: 14

2- الشمولية: 15

3- التكامل والترابط: 15

4- التوازن: 16

5- العموم والعالمية: 16

المبحث الرابع: أهداف مقرر الثقافة الإسلامية: 17

المبحث الخامس: أهمية مقرر الثقافة الإسلامية: 19

الباب الأول

أصول العقيدة الإسلامية

(أركان الإيمان)

الفصل الأول: أهمية دراسة العقيدة الإسلامية **23**

المبحث الأول: أهمية دراسة العقيدة **25**

المبحث الثاني: أنواع العقيدة **29**

المبحث الثالث: أصول العقيدة الإسلامية (أركان الإيمان) **31**

الفصل الثاني: الركن الأول من أركان الإيمان: الإيمان بالله **35**

تمهيد: **37**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول: الإيمان بوجود الله: 38
المبحث الثاني: الإيمان بربوبيته (توحيد الربوبية): 40
بيان استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية: 42
ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية: 44
المبحث الثالث: الإيمان بألوهيته أو (توحيد الألوهية): 50
الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية: 53
أولاً: معنى العبادة: 54
ثانياً: أركان العبادة: 56
ثالثاً: شروط العبادة: 56
رابعاً: أنواع العبادة: 58
خامساً: مفاهيم خاطئة لمفهوم العبادة: 59
المبحث الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته (توحيد الأسماء والصفات): 66
أولاً: تعريف توحيد الأسماء والصفات 66
ثانياً: أركان توحيد الأسماء والصفات: 68
ثالثاً: مجمل اعتقاد أهل السنة في الأسماء والصفات: 69
رابعاً: بيان صحة مذهب أهل السنة في الأسماء والصفات 70
خامساً: الفرق الضالة في الأسماء والصفات: 74
سادساً: ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته: 77
الفصل الثالث: الركن الثاني من أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة **79**
تمهيد: **81**
المبحث الأول: تعريف الملائكة لغة واصطلاحاً: 81
المبحث الثاني: الإيمان بوجود الملائكة والرد على من أنكر وجودهم: 82
المبحث الثالث: الإيمان بأسماء من علمنا منهم (أي الملائكة): 85
المبحث الرابع: الإيمان بما علمنا من صفاتهم الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة: 85
المبحث الخامس: الإيمان بما علمنا من أعمالهم وهو ما يعبر عنه بقولنا: علاقة الملائكة بالكون والإنسان: 88
المبحث السادس: ثمرات الإيمان بالملائكة: 91
الفصل الرابع: الركن الثالث من أركان الإيمان: الإيمان بالكتب **93**
تمهيد: **95**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول: تعريف الكتب: 95
المبحث الثاني: الإيمان بهذه الكتب إجمالاً: 96
المبحث الثالث: الإيمان بما سمي لنا من هذه الكتب على وجه الخصوص: .. 98
المبحث الرابع: الإيمان بأن القرآن ناسخ لجميع هذه الكتب: 98
المبحث الخامس: تحريف الكتب السابقة، وأمثلة على هذا التحريف:.... 100
المبحث السادس: القرآن الكريم: 102
[مزاياه: 102
[تعاليمه: 104
[القرآن هو الكتاب الذي تصح نسبته إلى الله:..... 108
[القرآن كلام الله:..... 111
[مكانة القرآن في نفس المؤمن:..... 114
المبحث السابع: ثمرات الإيمان بالكتب: 120
الفصل الخامس: الركن الرابع من أركان الإيمان الإيمان بالرسل 123
تمهيد: **125**
المبحث الأول: تعريف الإيمان بالرسل والفرق بين الرسول والنبي: 125
المبحث الثاني: وجوب الإيمان بالرسل؛ والواجب علينا نحو الرسل:..... 126
المبحث الثالث: مهمة الرسل ووظائفهم:..... 130
المبحث الرابع: حاجة البشر إلى الرسل:..... 133
المبحث الخامس: خصائص الرسالة المحمدية:..... 133
المبحث السادس: أثر الإيمان بالرسل:..... 135
الفصل السادس: الركن الخامس من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر 137
تمهيد: **139**
المبحث الأول: تعريف الإيمان باليوم الآخر: 139
المبحث الثاني: وجوب الإيمان باليوم الآخر وأدلته: 141
أولاً: الإقسام على وقوع البعث: 141
ثانياً: التنبيه بالنشأة الأولى على النشأة الثانية: 142
ثالثاً: التنبيه بخلق السموات والأرض على إحياء الموتى أو النظر في مخلوقات أكبر وأعظم من خلق الإنسان: 143

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رابعاً: ومن الأدلة على البعث: التنبيه بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى: 150
خامساً: إخبار الله تعالى بما وقع من البعث الحسي المشاهد في الحياة الدنيا: ليكون إحياء الله للموتى في الدنيا دليلاً على البعث في يوم القيامة.. كما حصل ذلك في عدة آيات في القرآن الكريم:..... 150
سادساً: تنزه الله عن العبث في الخلق وأن حكمة الله تقتضي بعث العباد للجزاء والحساب: 151
المبحث الثالث: أسباب إنكار البعث قديماً وحديثاً: 153
المبحث الرابع: ثمرات الإيمان باليوم الآخر؛ وأثرها في سلوك الفرد والجماعة:154
الفصل السابع: الركن السادس من أركان الإيمان: الإيمان بالقضاء والقدر **159**
تمهيد: **161**
المبحث الأول: تعريف الإيمان بالقضاء والقدر: 161
المبحث الثاني: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر: 162
المبحث الثالث: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:..... 163
أولاً: الإيمان بعلم الله القديم (مرتبة العلم):..... 163
ثانياً: الإيمان بالكتاب الأول (مرتبة الكتابة):..... 163
ثالثاً: الإيمان بعموم المشيئة (مرتبة الإرادة والمشيئة):..... 163
رابعاً: الخلق (مرتبة الخلق): 164
المبحث الرابع: الفِرق في الإيمان بالقضاء والقدر ومذهب أهل السنة في ذلك:164
والرد على الفرقة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:..... 165
والرد على الفرقة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل:..... 165
المبحث الخامس: الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي والرد على ذلك: . 166
المبحث السادس: الأخذ بالأسباب لا ينافي الأخذ بالقدر: 171
المبحث السابع: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: 172
المراجع..... **175**

الباب الثاني

التغريب الثقافي وخطورته على الأمة العربية والإسلامية

الفصل الأول: التغريب الثقافي **185**
المبحث الأول: أطوار التغريب الثقافي **187**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطور الأول: الإسرائيليات:..... 187
الطور الثاني: الحروب الصليبية الأولى:..... 188
الطور الثالث: الغزو الفكري: 189
الطور الرابع: التغريب الثقافي:..... 190
الاختلاف بين التغريب الثقافي والغزو الفكري:..... 190
المبحث الثاني: وسائل التغريب الثقافي **192**
أولاً: مناهج التعليم: 192
ثانياً: الإعلام:..... 195
الفصل الثاني: مؤسسات التغريب الثقافي..... **197**
المبحث الأول: الاستشراق..... **199**
أولاً: التعريف والنشأة: 199
- تعريف الاستشراق: 199
- نشأة الاستشراق: 200
ثانياً: دوافع المستشرقين وأهدافهم: 200
أولاً: الدافع الديني ويتلخص في الآتي:..... 202
ثانياً: الدافع الاستعماري:..... 203
ثالثاً: الدافع السياسي:..... 204
رابعاً: الدافع التجاري والشخصي: 205
خامساً: الدافع العلمي:..... 205
ثالثاً: أهداف الدراسات الاستشراقية:..... 206
رابعاً: خصائص الدراسات الاستشراقية ووسائلها:..... 208
أولاً: خصائص الدراسات الاستشراقية:..... 208
ثانياً: وسائل الاستشراق:..... 209
المبحث الثاني: التنصير 213
أولاً: تعريفه وتأريخه: 213
- تعريف التنصير:..... 213
- نشأة التنصير:..... 213
ثانياً: أهداف التنصير:..... 215
ثالثاً: وسائل التنصير: 216

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولاً: التعليم: 216
ثانياً: التطبيب: 217
رابعاً: إمكانيات الصليب: 217
المبحث الثالث: الاستشراق والتنصير **219**
المبحث الرابع: موقف المسلمين من النشاطات الاستشراقية والتنصيرية **221**
المراجع 227

الباب الثالث

الإســـــــــــلام والمـــــــــــــرأة

الفصل الأول: المرأة بين النظام الإسلامي والنظام الغربي **233**
المبحث الأول: مكانة المرأة في ظل الحضارات القديمة والحديثة..... **235**
أولاً: المرأة عند الإغريق:..... 236
ثانياً: المرأة عند الرومان:..... 237
ثالثاً: المرأة عند الصينيين: 237
رابعاً: المرأة عند الهنود: 237
خامساً: المرأة عند الفرس: 239
سادساً: المرأة عند اليهود:..... 239
سابعاً: المرأة عند النصارى: 240
ثامناً: المرأة في بلاد الغرب (بلاد الحرية والديمقراطية):..... 241
المبحث الثاني: مظاهر تكريم الإسلام للمرأة..... 247
أولاً: المساواة في الإنسانية:..... 248
ثانياً: المساواة في التكاليف الإيمانية -إلا ما اختص به الرجال-:..... 248
ثالثاً: المساواة في حق الملكية الفردية:..... 249
رابعاً: المساواة في جزاء الآخرة: 250
خامساً: ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة:..... 250
سادساً: ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة:..... 251
سابعاً: ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة: 252
ثامناً: ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة: 252
تاسعاً: ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة: أن القرآن ينتصر للمرأة:.. 253
الفصل الثاني: الفوارق بين الرجل والمرأة وموقف الأنظمة الغربية من ذلك **255**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول: المسائل التي تخالف فيها المرأة الرجل 257
أولاً: القِوامة: 258
ثانياً: من الأمور التي تخالف فيها المرأة الرجل: الطلاق: 264
ثالثاً: من الأمور التي تخالف فيها المرأة الرجل: تعدد الزوجات: 269
أسباب تعدد الزوجات: **271**
رابعاً: من الأمور التي تخالف فيها المرأة الرجل: حق الميراث: 283
خامساً: من الأمور التي تخالف فيها المرأة الرجل: الشهادة: 287
سادساً: من الأمور التي تخالف فيها المرأة الرجل: الحجاب: 289
المبحث الثاني: شروط اللباس الشرعي **311**
شروط الحجاب الشرعي ثمانية شروط هي: **311**
فوائد الحجاب: **315**
المراجع **321**

الباب الرابع
قضايا إسلامية معاصرة

الفصل الأول: حقوق الإنسان في الإسلام **327**
تمهيد: **329**
أولاً: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: 330
أي حقوق... وأي إنسان 330
ثانياً: الإسلام وحقوق الإنسان: 332
الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام: 333
1- حق الحياة: 335
2- حق الحرية: 336
أ- حرية العقيدة: 336
ب- حرية الرأي والفكر: 338
3- حق المساواة: 339
حقوق الأقليات: (غير المسلمين من رعايا الدولة الإسلامية): 341
أهم الفروق بين نظرة الإسلام إلى حقوق الإنسان وبين إعلان هيئة الأمم المتحدة: 341
أولاً: إعلان هيئة الأمم المتحدة: 341
ثانياً: مزايا حقوق الإنسان في الإسلام: 342

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني: العلمانيـــــة 345
تمهيد: 347
أولاً: تعريف العلمانية: 347
ثانياً: نشأة العلمانية: 347
1- الطغيان الكنسي: 348
2- تحريف النصرانية: 349
3- الصراع بين الكنيسة والعلم: 350
ثالثاً: هل للعلمانية مسوغ في العالم العربي والإسلامي: 350
رابعاً: نماذج لبعض صور العلمانية: 351
1- في الحكم والتشريع: 351
2- في التربية والثقافة: 351
3- في الاجتماع والأخلاق: 351
خامساً: وسائل العلمانية في تحريف الدين: 353
الفصل الثالث: العـــــــولمـــــــــة 355
تمهيد: 357
أولاً: تعريف العولمة: 357
ثانياً: نشأة العولمة: 359
ثالثاً: أهداف العولمة: 360
رابعاً: مجالات العولمة: 363
أولاً: المجال الاقتصادي: 363
ثانياً: المجال الاجتماعي: 364
ثالثاً: المجال الفكري والثقافي: 364
رابعاً: المجال السياسي: 364
خامساً: المجال العسكري: 365
خامساً: موقف المسلم من العولمة: 365
فهرس المحتويات 367